بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــــــامعة أم درمـــان الإسلامـــية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قسم الدراسات النظرية

البلاغة النبوية في الأربعين النووية

دراسة تطبيقية تحليلية لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالب:
خالد عبد العزيز الزويع

إشراف الدكتور
عبد الرحمن عطا المنان

١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م

المقدمة

الحمد لله العليّ الرّحمن القائل:((الَرَّحَمَن علَّمَ القَرْانَ خَلَقَ الإنْسَانَ علَّمه البَيَانَ)) خالق الإنسان وواهب البيان والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيّد ولد عدنان، خاتم النبيّين وإمام المرسلين سيدِّنا محمّد صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين وأبلغ المتكلمين،وعلى اله وصحبه نجوم الهدى وحملة راية العلم والعرفان وبعد:

فالحقيقة التي لا يخالطها أدنى شك أن الحديث النبوي الشريف قد بلغ أعلى الدرجات في البلاغة والفصاحة بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه قول وكيف لا وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى باستعمال سلاح الكلمة البليغة المؤَّثرة في ردّ المنافقين إلى الهدى وإرجاع العصاة إلى سبيل الرشاد،فقال عز من قائل :{وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَّهُمْ فِيْ أَنفُسَهَمْ قَوْلاَ بَلِيغاً} وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم أنّ ممّا اختصّه به الله سبحانه جوامع الكلم وهذه حقيقة واقعيّة اعترف له بها محبّوه ومناوئوه على حدّ سواء .

ولما كانت بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا منتهى منه ،كما كانت أفضليّته صلى الله عليه وسلم على من سواه من الخلق قضيةً محسومةً عند كل المسلمين ، والمنصفين من أصحاب الملل الأخرى ،بقية مهمّة الوقوف على هذا الكتر النفيس وتحليل وجوه بيانه وتطلع النفوس وأسرها له ،ودراسة أسباب إصغاء الناس إليه حين يتكلم أو يروى عنه ، وسرعة قبولهم لدعوته، ووقوفنا على جملة من أقواله يجعل إيماننا قائما على محجّة بيضاء ليلها كنهارها، وتحليلا يطلعنا على نفائس أسلوبه وروائع بيانه ومناحي بلاغته وأفانين براعته ،حتّى يهلك من هلك عن بيّنه ويحيا من يحيّا عن بينه ، ويتسنّى للذين يرجون مرضاة الله التأسِّي بأسلوبه قولا ،كما يتأسّون بمنهجه عملا .

فمهمّ تذوّق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان مواطن روعته وكشف أفنان حسنه وإلى غير ذلك من الخصائص والمزايا التي تجعل أسلوبه صلى الله عليه وسلم في القمّة من أساليب البيان وقد وقف العلماء أمام بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم الفائقة معجبين ومعتزِّين، وأشادوا بفصاحته الساحرة بما يضيق المجال عن سرده ، وهذا هو الجاحظ ([1]) يصف كلامه صلى الله عليه وسلم قائلا:

" هذا الكلام الذي ألقى الله عليه من المحبّة ، وغشاه بالقبول ،وجمع له بين المهابة والحلاوة ،وبين حسن الإفهام وقلّة عدم الكلام ،ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع معاودته ،لم تسقط له كلمة ،ولا زلّت له قدم ،ولا بارت له حجّة ولم يقم له خصم ،ولا أفحمه خطيب ،ثمّ لم يسمع الناس كلاماً قطّ أعمّ نفعا ،ولا أقصد لفظا،ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا،ولا أكرم مطلبا ،ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح في معناه ولا أبين في فحواه ،من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا!،،([2])"

وصنيع الجاحظ والكثير من أمثاله قاصر على الإشادة وإبداء الإعجاب، مكتف بسرد بعض أحاديث يسيرة كأدّلة على صدق القول، عار من التحليل والتنظيم وسبر الأغوار في كثير من الأحيان، ممّا يجعله أشبه في الانطباعات التأثّيريّة أو الخواطر المرسلة أكثرَ منه بالكلام العلمي المعتمّد والبرهانِ القائم المقنِع. ومنهج الإجمال والتعميم لا يتّفق ومقتضَياتِ البلاغة المنهجيّة والبحث العلمي الدقيق، وهذا هو الذي أعلنه إمام البلاغيين الشيخ عبد القهار الجرجاني ([3]) حيث يقول: "لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصبّ لها قياسا ما، وأن تصفها وصفا مجملا ،وتقولَ فيها قولا مرسلا، بل لا تكون في معرفتها في شيء حتّى تفصّل القول وتحصّل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم، وتعدها واحدة

---

[1] - هو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ عالم وأديب وناقد بارع ولد سنة : ١٥٠ وتوفي سنة ٢٥٥هـ له مصنفات عدة اشهرها : البخلاء والبيان والتبيين

[2] - البيان والتبيين ٢/ ٨-٩

[3] - هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الشافعي أمام البلاغيين له باع في النحو التفسير ولد في جرجان وتوفي بها سنة ٤٧١هـله عدة تصانييف منها : أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز والعمدة في التصريف

واحدة، وتسّميها شيئا فشيئا . وتكون معرفتك معرفة الصَّنَع الحاذق الذي يعلم علم كلّ خيطٍ في الإبر يسم الذي في الديباج، وكلّ قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل أجرة من الآجر الذي في البنـــاء البـــديع، وإذا نظـــرت إلى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب احتجت إلى صبر على التأمّل ، ومواظبة على التدبر، وإلى همّة تأبى لك أن تقنع إلاّ بالتمام، وأن تربع إلاّ بلوغ الغاية)([٤]).

أسباب اختيار البحث :

كان هذا القول وغيره داعيا للبحث والوقوف على جملة مـــن تلـــك الأســـرار البلاغية البيانية مع كلامه عليه الصلاة والسلام فعزمت وتقدمت لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في معهد وبحوث دراسات العالم الاسلامي ولتقـــديم أطـــروحتي الماجستير في البلاغة والنقد

عنوان البحث ومنهجه:

وكان عنوان البحث: البلاغة النبوية في الأربعين النووية دراسة تطبيقيـــة تحليلية ومنهجي في هذا البحث المنهج التطبيقي التحليلي،

مجاله وحدوده:

ولقد كان حد البحث الأربعين النووية وكل طباعات الأربعين النوويـــة سواء بشرح أو لا كلها متحدة العدد والرواية وقد بينت تلـــك التفاصـــيل في الفصل الأول مفصلا وبعد الاستعانة بالله وحده واكتملت عندي معالمـــه بعـــد التقصي والاستفادة من أهل الخبرة والدراية شرعت فيه.

خطة البحث :

وقد أشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة أما المقدمة فذكرت فيها جملة من الأسباب التي دعتني لختيار البحث وذكرت فيها أيضا طـــريقتي في البحث وبعضا من الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث والمدارســـة ثم انتقلـــت للتمهيد وفيه تكلمت عن ثلاثة قضايا رأيت أنها مما يستلزم الحديث عنها وهي:

[٤] - دلائل الإعجاز : ٣٠

وقفة مع جوامع الكلم ومكانة الحديث النبوي عند البلاغيين ثم عرجت على بعض من الدراسات المعاصرة لبلاغة الحديث النبوي أما فصول البحث فقد جاءت على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بالإمام النووي وكتابه وأسباب البلاغة النبوية وقد قسمته إلى مبحثين:

الأول: التعريف بالإمام النووي وكتابه وفيه المطالب:

١- التعريف بالإمام النووي

٢- التعريف بالأربعين النووية

٣- شروح الأربعين النووية

الثاني: البلاغة النبوية أسبابها وسماتها

الفصل الثاني :فقد خصصته لعلم البيان وجعلته ثلاثة مباحث

الأول: علم البيان والعلوم الأخرى وفيه المطالب التالية

١-نشأة علم البيان وعلاقته بالعلوم الأخرى

٢-تعريف علم البيان.

الثاني: فنون علم البيان ودراسة الشواهد وفي المطالب التالية:

١- التشبيه

٢- المجاز اللغوي والعقلي

٣- الكناية

الثالث: بلاغة علم البيان من خلال الشواهد

الفصل الثالث: فقد جعلته خاصا بعلم المعاني وقسمته لثلاثة مباحث:

الأول: التعريف بعلم المعاني

الثاني: فنون علم المعاني ودراسة الشواهد وفي المطالب التالية:

١- أغراض الخبر

٢- أضرب الخبر

٣- الإنشاء الطلبي ــ الاستفهام

٤- الأمر

٥- النهي

٦- النداء

٧- أحكام المسند والمسند إليه

٨- أسلوب القصر

٩- الفصل والوصل

١٠- الإطناب

١١- المساواة

١٢- الإيجاز

الثالث : بلاغة علم المعاني من خلال الشواهد

الفصل الرابع : وهو خاص بعلم البديع وفيه أربعة مباحث:

الأول: التعريف بعلم البديع والنشأة

الثاني: المحسنات البديعية المعنوية وفيه المطالب التالية:

١- فن الطباق

٢- فن المقابلة

٣- أسلوب الحكيم

الثالث : المحسنات البديعية اللفظية وفيه المطالب التالية :

١-فن الجناس

٢-فن السجع

٣-رد الإعجاز على الصدور

الرابع : بلاغة علم البديع من خلال الشواهد

ووصلت بعد ذلك للخاتمة وقد ذكرت فيها ابرز النتائج وبعضا من التوصيات لنفسي المقصرة ولإخواني الباحثين من بعدي وألحقت بالرسالة الفهارس التالية :

١- فهرس الآيات
٢- فهرس الأحاديث
٣- فهرس الأعلام
٤- الابيات الشعرية
٥- فهرس المصادر والمراجع
٦- فهارس المحتوى العام للرسالة

المنهج الفني للبحث:

وكانت طريقي وسير ي في معالجته على النحو التالي:

١- أفتتح كل مبحث بتعريف كلّ مصطلح بلاغي مستعينا بالكتب المصنفة في البلاغة قدر الإمكان ، ومبديا خلاله علّة إفادته مبتعدا قدر الاستطاعة عن التعقيد والجمود ساعياً لإبراز الجمال في النصوص والشواهد.

٢- أقتصر على الأحاديث الواردة في الأربعين النووية في تجلية معالم البلاغة النبوية مبديا النكتة البلاغيّة فيها من خلال شرحها، معتمدا في ذلك على ما يهديني إليه ذوقي في الغالب، راجعا إلى كلام الشرّاح والبلاغيّين حيث أرى لذلك لزوما أو حسنا في إيضاح المعنى وقد أورد بعض الأمثلة على المصطلحات البلاغية من الحديث مما هو في غير الأربعين النووية لتوسيع دائرة التذوق.

٣- أتعرّض لبعض الشواهد الشعريّة التي تفيد التشويق أحيانا، وذلك بغية الإفادة منها في التنظير، وإظهار الروعة البلاغيّة حسب المستطاع ومما يخدم الشاهد في الحديث.

٤- أخرّج كلّ أحاديث الصحيحين المستشهد بها في كلّ مبحث، مشيرا إلى الجزء والصفحة والكتاب والرقم التسلسلي للحديث ليتيسّر الرجوع إليها ما أمكن.

٥-اذكر معلومات الكتاب كاملة في أول ذكري للمصدر أو المرجع، وأكتفي بذكر الصفحة والجزء -إن كان الكتاب أكثر من جزء- في الإحالات اللاحقة.

٦-أكتفي بإيراد الجزء الذي يدل على الشاهد البلاغي المسوق له الحديث، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى بتر الحديث أو الإخلال بالحكم الشرعي الذي قيل فيه.

٧- لم أترجم من الأعلام إلا ما كان له صلة بالبلاغة والأدب من الشعراء ونحوهم.

٨- خرجت من الأحاديث ما جاء خلال التعريف بفنون البلاغة تخريجا على البخاري ومسلم أو الحكم على صحنه أما الأربعين نووية أفردت له تخريجاً مستقلاً نظرا لتكرار ورودها

٩- عزوت الأبيات لمصادرها والتعريف بشعرائها.

١٠- اعتمدت على التاريخ الهجري في إثبات تاريخ الطبعات وإذا اجتمع الاثنان اكتفيت بالهجري.

١١- جعلت لكل حديث رقم شاهد مع كونه قد يتكرر الشاهد على كل فن بلاغي في الحديث الواحد أكثر من مرة وذلك باعتباره شاهداً واحداً في الحديث.

١٢- اعتمدت على تقسيم الفنون البلاغية ومباحثها حسب ما استقر عليه العلماء من فنون ثلاثة مع الاعتماد على تقسيم الخطيب في الإيضاح لكونه أقرب للدراسات المعاصرة.

١٣-وضعت فهارس عامة وخاصة للبحث فعملت فهارساً للآيات وفهرساً للأحاديث وكذلك فهرساً للأعلام وفهرساس للمصادر والمراجع ثم الفهرس العام لمحتويات البحث.

صعوبات واجهتني:

قد يُظنُّ أنّ مثل هذا العمل العلميّ سهلٌ ميسور لا يكلّف الكثير، وذلك من أجل شهرة ميدانها الأساسي (الأحاديث النووية) وتوافره ولكنّني حقًّا تعبت في إعداده، وذلك للأسباب التالية:

١- جدّة الموضوع، حيث إنّه لم يطرق سابقا في أبواب معيّنة عند البلاغيين ، ولذا يتطلب القراءة الفاحصة والممعنة في كل مبحث بلاغي لتلمس الشواهد البلاغية.

٢- تشعُّب موضوع الرسالة حيث يحوي معظم مباحث البلاغة العربية بعلومها الثلاثة، وهذا من شأنه أن يجعل الوقوف عليها (تعريفا وتحليلا وتدليلا)أمراً يتطلّب وقتا ليس بالقليل ، علما بأنني بذلت في تلك العلوم بما فيها من مباحث متعددة قصارى جهدي

٣- حاجة الموضوع إلى الدقة المتناهية والتأمل الطويل لاتصاله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يتطلب مراجعة الشروح العديدة وآراء علماء السلف وكبار علماء الحديث، ليتسنى لي الوقوف على الوجه اللائق في تحليله.

٤- سعة مجال الموضوع حيث أنه يجعل الأحاديث النووية ميدانا له، وهذا يجعل مادته العلمية غزيرة والإلمام بها يتطلب نفسا طويلا أكثر مما يبدو لأول وهلة.

٥- ندرة الدراسات البلاغية ذات الصلة بالأحاديث النبوية وهذا ما يستلزم مني قراءة فاحصة متأنية لتلمس الشاهد البلاغي في ثنايا الأحاديث وتلك الدراسات لا تعدو ان تكون قراءة انطباعية تأملية بعيدا عن تصنيفها في علوم البلاغة الثلاثة .

٦-تناول بعض شرّاح لأحاديث النبوية معنى الحديث وإعطائه شرحا أدبيا، أو الإشارة العابرة لمعنى بلاغي كما هو الحال في دليل الفالحين أو بعضا من شرح بدر الدين العيني للبخاري وذلك التناول لا يوفي الأحاديث حقها من الدراسة والبحث فضاعف علي الجهد لعدم وجود من استأنس برأيه من هؤلاء الأعلام .

٧- قلة بضاعتي في علم مصطلح الحديث مما دفعني للتزود والقراءة فيه ولله الحمد

٨- كثرة التعقيد لمباحث البلاغة في الكتب البلاغية ومحاولة تعين الشواهد بلاغيا مما أبعد البلاغة عن ثوبها القشيب فزاد من تحملي حتى أكتشف الجميل في تلك الشواهد وأبعدها عن كل تعقيد أو تقعيد .

٩- أن هذا البحث في عامته تطبيقي ذو منهج تحليلي وذلك صعب على دارس مبتدىء مثلي ، وخاصة في مجال البحث البلاغي ، وزاد من صعوبة ذلك أن شراح الحديث النبوي لم يعنوا بالإشارة إلى الأسرار البلاغية ،واللطائف البيانية التي اشتمل عليها الحديث الشريف ، خلافاً لكتب التفسير ومعاني القران الكريم التي عني بعضها عناية تامة بإظهار النكات البلاغية في كتاب الله جلّ جلاله

كلمة شكر:

ثم إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حثنا على إسداء الشكر والعرفان لأهله فقال: من أعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يعطه،كان كلابس ثوبي زور ومن هنا فإنني أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لوالدي الكريمين، اللذين كان لهما الفضل بعد الله عز جل في حسن الرعاية والتربية والتوجيه لطلب العلم وتحصيله في رحاب هذه الجامعة المباركة أسأل الله أن يطيل في عمرهما ، وان يبارك لنا في وجودهما ، وأن يوفقهما لكل خير ويعجل بشفائهما

والشكر المعطر والدعاء الصادق لهذه الجامعة الأم ولمعهده المبارك والتي فتحت أبوابها لراغبي العلم والتحصيل

ثم إنني أتقدم بعظيم الامتنان والعرفان لشيخي الفاضل وأستاذي الكبير الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عطا المنان، الذي كان مشرفا ناجحا بكل المقاييس والمعايير على هذه الأطروحة العلمية ، فقد كان خير معين لي بعد الله في إعدادها وإنجازها، شملني برعايته وتوجيهاته وعنايته السديدة طيلة فترة إشرافه علي كان رحب الصدر ، غزير العلم، منحني من وقته وعمله الشيء الكثير فلا يتبرم ولا

يمل ، بل كان يفيض بالمحبة والألفة وحسن الصحبة لي ، ويعلم الله أن عبـــارات الثناء والشكر لتقصر عن أداء حقه تجاه ما قام به معي، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأمد الله في عمره ، ومتعه طيلة أيام حياته بالصحة والعافية .

والفضل والحمد لله من قبل ومن بعد.

التمهيد

١- مع جوامع الكلم

لم تكن فصاحته عليه الصلاة والسلام مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعنى بل جاوزت ذلك إلى الأداء وربما رجع ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم ضليع الفم إذ كان يستعمل فمه جميعه إذا تكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين وحسب.

ومن أبرز الملامح البلاغية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تميُّزه بخاصية الإيجاز والاختصار في غالب أقوله صلى الله عليه وسلم، ولا غرابة في ذلك فقد أيّده الله بمعجزة القرآن الكريم الذي استقى منه جوامع الكلم، ونوابغ الحكم، وقد قال صلى الله عيله وسلم: (**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**) ([٥]).

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الخصوصية البلاغية في بيانه الرفيع بقوله: (**فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض ظهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**) ([٦])، وفي رواية: (**نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم**) ([٧]).

وقد بين الرافعي السر وراء اختيار النبي صلى الله عليه وسلم التعبير بالفعل: "أعطيت وأوتيت" دلالة على أن هذا النوع من الكلم الجامعة التي هي حكمة البلاغة هبة إلهية ومنحة ربانية اصطفاه الله بها نعمة منه عليه، فما هو اكتساب ولا تمرين، ولا هو أثر من أثرهما في التفكير والاعتبار، ولا هو غاية من غايات هذين في الصنعة والوضع، إنما هو (إعطاء وإيتاء) فمن لم يعط لم يأخذ، ومن لم يأخذ لم يكن له من ذلك كائن و لم تنفعه منه نافعة ([٨]).

---

[٥] - رواه أبو داود في سننه، كتاب: السنة ، باب: في لزوم السنة، (٤٦٠٤)
[٦] - رواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، (٥)، ١/٣٧١.
[٧] - رواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، (٨) ، ١/ ٣٧٢.
[٨] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٤٠.

وجوامع الكلم عبارات موجز حكيمة تتضمن كل عبارة منها معاني كثيرة مع الوفاء بالمعنى الذي تضمنته... وهذا ما تراه في كلامه صلى الله عليه وسلم فإننا لنقرأ الكلمة، ونفهم منها المعاني الكثيرة، ولو حاولنا أن نحذف من الجملة كلمة لعرضناها للفساد ([٩]).

وقد أشار لهذه الخصيصة في البيان النبوي كثير من علماء البلاغة قديما وحديثا، وذلك بعد سردهم لبعض الشواهد الحديثية الدالة على موضع الإيجاز والاختصار في بيانه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك ما قاله أبو هلال العسكري بعد أن ساق طائفة مختارة من أقواله وعباراته القصيرة صلى الله عليه وسلم التي تضمنت المعاني الكثرة:

"فمعاني هذا الكلام أكثر من أفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحلّها وابنها بناء آخر، فإنك تجدها تجيء في أضعاف هذا الألفاظ ([١٠]).

ومن قبله قال الجاحظ في وصف بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم: "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه" ([١١]).

ويقول العز بن عبد السلام: " الحمد لله الذي بعث نبيا بجوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، ليكون أسرع إلى فهم الفاهمين، وضبط الضابطين، وتناول المتناولين، فكل كلمة يسيرة جمعت معاني كثيرة، فهي من جوامع الكلم "([١٢]).

وأما ابن الأثير فقد تحدث عن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم مبينا المراد بها: "أنه صلى الله عليه وسلم أوتي الكلم الجوامع للمعاني" ([١٣]).

---

[٩] - بلاغة الرسول: ٥٠، د/ علي المعماري، دار الأنصار بالقاهرة، ١٤٠٧هـ.

[١٠] - الصناعتين: ١٨٤ ، وانظر العمدة في صناعة الشعر ونقده: ١/ ٤٣٦، لابن رشيق، ت: محمد قرقزان، ط: ١/ ١٤٠٨هـ دار المعرفة- بيروت.

[١١] - البيان والتبيين: ٢/ ١٦، ت: عبد السلام هارون، ط ، ٧/ ١٤١٨هـ - مكة الخانجي- القاهرة.

[١٢] - مجاز القرآن (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز): ٩١

[١٣] - المثل السائر: ١١٧/١.

وقد قسم جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم إلى قسمين:

القسم الأول: "ألفاظ تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل في مكانها، فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة" ([١٤]).

ومما مثل به للأول: "قوله صلى الله عليه وسلم: (**بعثت في نفس الساعة**) فقوله: (**نفس الساعة**) من العبارات العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها، لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه، لكن قربها منه لا يدل على ما دل النفس، وذاك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها، كما يحس الإنسان بنفس من هو إلى جانبه، وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى، ولو قال: بعثت على قرب من الساعة، أو والساعة قريبة مني، لما دل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة ([١٥]).

وأما القسم الثاني من جوامع الكلم" فالمراد به الإيجاز، الذي يدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة، أي أن ألفاظه صلوات الله وسلامه عليه جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها، وجل كلامه جار هذا المجرى فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة به" ([١٦]).

ثم أضاف مبينا الفرق بين القسمين:

"فإن قيل: فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما، فإنهما في النظر سواء؟ قلت في الجواب: إن الإيجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى، من غير أن تزيد على ذلك المعنى، ولا يشترط في تلك الألفاظ أنها لا تظير لها، فإنها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز، وحينئذ يكون إيجازاً وزيادة".

---

[١٤] - المصدر السابق: ١١٧/١.
[١٥] - المصدر السابق: ١١٧/١- ١١٨.
[١٦] - المثل السائر: ١١٩/١.

وأما هذا القسم الآخر، فإنه ألفاظ أفراد في حسنها لا نظير لهـــا، فتـــارة تكون موجزة، وتارة لا تكون موجزة، وليس الغرض منها الإيجاز، وإنما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير لها فيه..." ([١٧]).

وقد وصف المحدثون – إيضا- الحديث النبوي بالإيجاز، ويأتي في مقدمتهم الرافعي حيث قال: "ومن كمال تلك النفس العظيمة ، وغلبة فكره صلى الله عليه وسلم على لسانه قل كلامه، وخرج قصدا في ألفاظه، محيطا بمعانيـــه، تحســـب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة، والكلمات المعدودة بكل معانيها، فـــلا ترى من الكلام ألفاظا ولكن حركات نفسية في ألفاظ، ولهذا كثرت الكلمـــات التي انفرد بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه، وخلص أسلوبه، فلم يقصر في شيء، ولم يبالغ في شيء، واتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه .." ([١٨]).

وموضع آخر أشار إلى أن الإيجاز مما امتازت به البلاغة النبوية فقال: "وأما القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه، ومـــن طبيعـــة الألفاظ في معانيها، ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهتيـــه (اللفظيـــة والمعنوية)، فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كأن الكلام لا يعـــدو فيهـــا حركة النفس، وكأنّ الجملة تخلق في منطقه خلقا سويا، أو هي تنزع من نفســـه انتزاعا، وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل إلا أعطاه حظ نفسه من العجب" ([١٩]).

وعن هذا الجانب – أيضا – يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات مشيرا إلى السبب وراء شيوع جوامع الكلم في حديثه صلى الله عليه وسلم: "والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، غالب على أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه

[١٧] - المصدر السابق: ١١٩/١-١٢٠.
[١٨] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٠٠.
[١٩] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٣٣٥.

صفات تلازم قوة العقل، وقوت الروح، وقوة الشعور، وقوة الـــذهن، وهـــذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول صلى الله عليه وسلم، ومـــن هنـــا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه" ([٢٠]).

وقد لقي إيجاز الكلام في بيانه الكريم صلى الله عليه وسلم عناية المحـــدثين وشراح الحديث، الذين كانوا يتناولون الكلمة والجملة من الحـــديث الشـــريف بالشرح الطويل والتحليل المستفيض، ومن أمثلة ذلك ما قام به ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في كتابه: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حـــديث مـــن جوامع الكلم" حيث بين في مقدمة كتابه هذا معنى "جوامع الكلم" ثم أشـــار إلى العلماء الذين صنفوا كتبا في جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ([٢١]).

يقول العقاد: "الإبلاغ أقوى الإبلاغ في كلام النبي هو اجتمـــاع المعـــاني الكبار في الكلمات القصار، بل هو اجتماع العلوم الوافية في بعض كلمات، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات" ([٢٢]).

[٢٠] - من وحي الرسالة: ١٠٧/٣، ط ١٣٩٣/٦هـ ، دار الثقافة، بيروت.
[٢١] - انظر جامع العلوم والحكم: ١٥- ١٨،
[٢٢] - عبقرية محمد: ١١٧، عباس محمود العقاد، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢- مكانة الحديث النبوي عند البلاغيين:

لما كان الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم فلا غرابة أن ينال حظا وافراً من العناية والاهتمام، فلقد انبرى للحديث رجال وهبوا أنفسهم لخدمته، ونذروا أعمارهم للبحث فيه وعنه، فجابوا الأقطار لتوثيقه، وأفنوا أعمارهم في جمعه وتمحيصه، فتفرع عن ذلك علوم شتى كلها تصب في صالح الحديث النبوي، من حيث روايته، وصحة نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن حيث التوفيق بين ألفاظه وأساليبه التي يظهر بينها بعض التباين، وقد كانت عناية علماء الإسلام بالحديث في غاية الدقة والاهتمام: فالحديث تفصيل لما أنزل مجملاً في القرآن الكريم وتوضيح لما أبهم وبيان لما تشابه منه، كذلك الأحكام التي وردت في السنة المطهرة و لم يرد لها ذكر في القرآن هي أحكام شرعية صحيحة ثابتة يجب العمل بها كما يجب العمل بما جاء في القرآن إذ السنة هي المصدر الثاني للشريع.

فللحديث النبوي مكانة خاصة في نفوس المسلمين فهو يحظى باهتمام العلماء والدارسين الذين يتصدرون للدعوة علهم يجدون في حكما، أو تعليلاً لأمر، أو تفسيراً لمشكلة وهو – الحدث – كذلك يحظى باهتمام المسلمين كافة لأنه أثر النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه صاحب الرسالة، فهم يتعلقون به تعلق محبة، ويهيمون به حب قداسة لا حب فهم ودراسة...

فلا غرو – على هذا – أن نهتم بالحديث اهتماماً يمزج فيه الحب بالفهم، والقداسة بالدراسة.

وليس بدعاً أن نهتم بالحديث النبوي فقد اهتم به سلفنا من العلماء، وفرطنا من المفكرين على امتداد التاريخ العلمي للمسلمين، ولا تزال المطبعة تنفحنا الجديد من البحوث، والطريف من الدراسات التي تدور حول الحديث.

وإذا كان الحديث يحتل هذه المكانة لدى المسلمين من حيث التشريع والحب والقداسة فقد عني به المسلمون أيما عناية.

ولم تعن أمة من الأمم في تاريخ الإنسانية بقول نبي أو عظيم من عظمائها كما اعتنت الأمة الإسلامية بقول خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ما هي إلا وحي من الوحي: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) فكان جبريل عليه السلام يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما يترل عليه بالقرآن ويعلمه إياها، فقد ورد عن حسان بن عطية أنه قال: (كان جبريل عليه السلام يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما يترل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن) فلما كانت السنة النبوية هي القسم الثاني من أقسام الوحي الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فقد وجدت العناية القصوى من علماء الأمة الإسلامية في سبيل حفظها وصيانتها وأدائها كما سمعت منه صلى الله عليه وسلم، فقد وجدت العناية في حياته صلى الله عليه وسلم من أصحابه، ثم من التابعين وتابعي التابعين خلفا بعد سلف.

وإذا كانت الأمة الإسلامية قد اهتمت بأمر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث تدوينه، والتدقيق في صحة نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرح معانيه وتبويبه، فإن دراسة الحديث من حيث بلاغته لم تكن إلا لمحات في ثنايا الشروح لاتكاد ترقى إلى استيفاء الفن البلاغي الذي يلمح إليه من خلال شرح الحديث، فكلامهم مثلا عن الصورة البلاغية لا يتجاوز التسمية لتلك الصورة من دون تعمق في فنيتها وعلاقتها بالمعنى، (لقد كان كلام الذين تحدثوا موزعا في مواطن قلما يحلل الواحد منهم هذه الصورة التحليل الأدبي الذي تستحقه، وإن حللوا فلقد كانت التسميات التي وضعوها لأقسام التشبيه

والاستعارة متحكمة في تحليلهم، لقد كان أكثرهم يورد النصوص الجميلة من الحديث... ولا يعقب عليها ولا يرتبها فلم تكن الصورة الفنية مجموعة على حدة... بل كانت ترد إلى جانب نصوص تعتمد السجع أو غيره مما يستحسنه المؤلفون.

وإذا كان بعض الأدباء يتناول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الوصف لا من حيث الدراسة البلاغية كالجاحظ فإن البعض الآخر قد درسه من الناحية البلاغية البحتة كما فعل الشريف الرضي في المجازات البلاغية، ولكن مع ذلك فلم يحظ الحديث بدارسة بلاغية مفصلة حتى من المتأخرين، حيث تقوم أغلب الدراسات البلاغية على الناحية الانتقائية بعيدا عن الشمولية البلاغية فيدرس الحديث بلاغيا ضمن دراسته من نواح أخرى لغوية وشرعية، وليس هناك من دراسة بلاغية شاملة لأحاديث موضوع معين إلا ما كان من دراسات جامعية مماثلة لهذه الدراسة في هذا البحث.

وخلاصة القول أن لعلماء الإسلام جهداً مشكوراً في العناية بالحديث الشريف من جميع جوانب البحث التي تخدم السنة من حيث التدوين والتبويب والإسناد إلى غير ذلك من علوم الحديث.

و لم يقف هؤلاء العلماء الفضلاء عند ما أشرنا غليه من وجوه العناية برواية الأدب النبوي، ثم بتدوينه وتوثيقه وشرحه، واستخلاص أحكام الشريعة الغراء والقيم الأخلاقية منه ولكنهم أضافوا إلى تلك العناية عناية أخرى بدراستهم المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دراسة تهتم بالبحث عن بلاغة الأدب النبوي، واستخراج أسرار الجمال في هذا الأدب.

ولعل من أقدم العلماء الذين فتقوا أسرار البيان النبوي عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) ثم توافرت تلك العناية عند كثير من علماء المسلمين كالذي في كتاب "البديع" لعبد الله بن المعتز، وكالجهد المتخصص في

هذه الناحية عند الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية" وكالذي في كتاب " شرح السنة" للبغوي و "الفائق في غريب الحديث" للزمخشري، وكالذي في كتاب " البرهان في وجوه البيان" لابن وهب، وكعناية أبي هلال العسكري في كتاب " الصناعتين) ومثله ما حرره العلوي في "الطراز" وابن الأثير في "المثل السائر وغيرهم كثير.

بل إننا نجد مظاهر تلك العناية عند علماء الحديث ممن عنوا بشرح صحيح البخاري، وصحيح مسلم، كالذي في "عمدة القارئ" لبدر الدين العيني وكالذي في كتاب " فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني، وكشرح النووي لصحيح الإمام مسلم وغيرهم.

٣- الدراسة المعاصرة حول بلاغة الحديث النبوي

شرفت كل الدراسات بمحور ما تدور حوله ولكن الدراسة حول بلاغة الحديثالنبوي شرفت أيما شرف لأنها اختصت بالإيجاز في ذلك البحر العميق والكتر الدقيق الحاوي على أسرار البلاغة والفصاحة.

ومما هو مستقر في الأذهان وصادفني في جمع مادة البحث أن جل الدراسات حول بلاغة الحديث النبوي دراسات فيه جدة والقديم منها له مسار المحدد له خاصة البحث في قيمة الحديث النبوي ويتبعه الأدب النبوي بوصفه نصا أدبيا وهذا ما نراه في بعض تعليقات العيني أو الإمام مسلم في شروحهما على الصحيحين.

وإذا تقدمنا قليلا نحو دراسة أوسع نلحظ تلك الوقفات البلاغية في كتب الجاحظ وكتب الأدب التي كان لها سبر للحديث ولكن انطباعاً عاما أو الحديث حول ؟؟؟ وأسلوبه بعيدا عن الفنون البلاغية الثلاثة.

ولعلي أقف هنا عدة وقفات مع أبرز الدراسات المعاصرة حول قيمة الحديث النبوي بلاغيا وما قيل فيه.

١- **روائع من أقوال الرسول** صلى الله عليه وسلم للشيخ الفاضل عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني صادر عن دار القلم بدمشق عام ١٤١٢ه أشار مؤلفه أنه يتناول الأحاديث لغويا وفكريا وأدبيا وهذا ما تم فقد تناول خمسة وعشرين حديثا بروايتها ونراه يذكر الحديث ثم يقف مع الحديث بالشرح واستنباط الفوائد التربوية والأخلاقية ويختم بحثه عن الحديث ببحث خاص عن شرح لغريب الألفاظ الواردة في الحديث ووقفات مع بعض الجوانب البلاغية.

ومن خلال هذا العرض يبين لنا الملاحظات التالية:

١. التركيز على الجوانب اللغوية ونلمس بعض المباحث البلاغية أثناء البحث.

٢. سار الكتاب على ذلك النسق وجمع بين الشرح الإجمالي للحديث والشرح الأدبي الانطباعي.

٣. شاب بحثه البلاغي التركيز على فنون بلاغية وترك أخرى ومن ذلك شدة بحثه في فنون البيان وشيء من الترك لفنون البديع.

أما الدراسة الثانية فهي:

٢- **قطوف من رياض السنة** للدكتور: صالح أحمد رضا تناول فيه خمسين حديثا وكما هو واضح من خلال الغلاف الخارجي للكتاب يقول عنه: (دراسة تحليلية لأحاديث مختارة) وقد صدر الكتاب عن دار القلم ١٤١٠ه كذلك وكانت طريقة الكتاب مثل سابقه إلا أن إبحاره في الفنون البلاغية أكثر مع كونه أطال كثيرا في شرح وإيضاح ما يخص الحديث من الراوي ومن غريب الحديث والأحكام الفقهية والأخلاقية وقد قام اختياره على هذه الأحاديث دون غيرها ربما للأمور التالية:

١. كونه اختارها من كتاب رياض الصالحين للإمام النووي لشهرتها وسريانها على كثير من ألسنة الناس.

٢. أن تلك الأحاديث ترسم للناس صورة متكاملة عما قد يحتاجه المـــرء في حياته من التوجيهات الأخلاقية والشرعية.

٣. قصر الأحاديث والتي هي قليلة الألفاظ كثرة المعاني وعند التأمل في ثنايا الكتاب قد تستدرك الأمور التالية:

١. الكتاب يعتبر نافذة لمن يريد تذوق البلاغة النبوية وقد اســـتفدت منـــه كثيرا خلال جمع المادة العلمية للبحث.

٢. لم أعثر في ثنايا الكتاب تناوله لمباحث الإنشاء على حد ســـواء كـــان الإنشاء طلبي أو غير طلبي و لم أجد من خلال تناوله للأحاديث سببا يبين ذلك.

٣. إدراجه خلال كلامه على الحديث بلاغيا أراد انطباعية مع تضـــمينها فنون البلاغة الثلاثة.

٤. طول نفسه البلاغي لبعض الأحاديث والمرور العابر لبعضها الآخر وهذا تجده عند ما يطيل في شرحه للحديث إجمالا أو إيضاحا.

٥. جودة التقسيم في عناوين الدراسة للحديث فكل يجد ما يحتاجـــه مـــن الأحاديث من خلال عناوين الكتاب الداخلية.

٣- أدب الحديث النبوي للإستاذ شكري شيخ أمين عـــن طريـــق دار الشروق بيروت عام ١٣٩٩ه أخذ ثمانية وعشرين حديثا مع مقدمة واسعة وقـــد سمه إلى ثلاثة أبواب:

١. خصه بعلوم الحديث ومصطلح الحديث.

٢. تحدث فيه عن أسباب بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض فيه على بعض الفروق بين الحديث والقرآن.

٣. خص في هذا الجزء بعض الأحاديث جمعها هو من عنده ثم تناول فيها الأساليب البلاغية، والقسم الثالث احتل الجزء الأكبر من الحديث لكنه لم يفصل في المباحث البلاغية وعليه يمكن إدراك ما يلي:

١. ذكره لبعض المباحث أثناء الكتاب التي ليس لها اختصاص بأدب الحديث كالشرح المفصل لمباحث مصطلح الحديث.

٢. يكاد عند تناوله للمباحث البلاغية في الحديث يشير فقط لموضع الشاهد اختصارا وليس تحليلا له.

٣. عدم تقصيه للفنون البلاغية الثلاثة في النص مع كونها قد تكون ظاهرة كالحديث عن فنون علم البديع وقد لا يذكر بعض الأحيان أي مبحث ويشير إلى شرحه شرحاً أدبيا تأثيراً.

٤- من بلاغة الحديث الشريف للدكتور عبد الفتاح لاشين من إصدار مكتبات عكاظ في جدة بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٢هـ.

تحديث في أوله عن بعض الجوانب النظرية للحديث كالرواية له وبعضا من بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم شرع في تناول الأحاديث وقد كان عددها تسعة وعشرين حديثاً أشار المؤلف في مقدمة الكتاب أنه جاء بتلك الأحاديث شاهداً على جوامع كلمه.

وقد كانت معالم الكتاب على النحو التالي:

١. لم يتعرض للأحاديث شرحا إجماليا أو أدبيا.

٢. يتناول كل حديث من زاويتين من اللغة ومن البلاغة.

٣. إطالته في شرح المفردات لغويا وصرفيا.

وما قد نلحظ على الكتاب:

١. الرصد الكبير لمباحث علم البيان ولجميع فنونه ووقوفه كـــيرا في تناولها.

٢. ذكر في المقدمة أنه اختار هذه الأحاديث دليلا على جوامع الكلم عند الرسول وقد ذكر أحاديث طويلة جـــداً كحـــديث أم زرع وحديث تفاصيل ما حدث في معركة أحد.

٣. في الجوانب البلاغية نرى له آراء انطباعية جعلها من ؟؟؟ مباحث البلاغة مما ؟؟؟ بعض الأحيان تناوله للحديث وكأنه شـــرح لـــه وليس إيضاحا لبلاغته.

٤. قلة عدد ما تناوله من الأحاديث فهي تسعة وعشرين حديثاً وبحق تعد دراسته للحديث بلاغياً منهجية إذ يبدأ بما يصادفه من فنـــون بلاغية بعلم البيان ثم المعاني والبديع.

٥- من بلاغة السنة للدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر يقع في حوالي مائة وخمسين صفحة بلا دار نشر ولا تاريخ طباعة، ذكر مؤلفه في مطلع كتابه انـــه أراد إخراج البلاغة من التقعيد إلى التذوق والتطبيق المفضي لاستدراك مواقع قيمة النص الأدبي وقد تناول فيه أربعين حديثا مختارة وقد سار على الطريقة التالية:

١. التعريف براوي الحديث والجوانب اللغوية والنحوية.

٢. تناول الفنون البلاغية كلها والفن البلاغي الواضح يشير له إشارة عابرة وغير ذلك نراه يذكره ويضمن معه شرحاً انطباعيا كما هو الحال عند بكري شيخ أمين وليس هنالك كبير فرق بينهما.

٣. تتبع النص رواية وتخريجا والتعريف ببعض رجالات السند.

٤. تناول المفردات بالشرح والرجوع لأصل الكلمات والـــدخول في الجوانب الصرفية.

وقد يلاحظ أثناء تصفح الكتاب ما يلي:

١. عدم تقصيه لفنون البلاغة وهذا قد أشار إليه في بداية الكتاب وأنه فقد يدل والباقي تطلبه الناس دفعا لتذوق الأدب الرفيع كما يقول.

٢. لم يفصل في النواحي البلاغي لا يقع – كما يقول – في التفاصيل المملة.

٣. ركز على فهم النص وبسط معانيه لأنه مفتاح لفهم الأسرار البلاغية وهذا فيه جانب صواب وفيه غير ذلك.

٦– من كنور السنة للشيخ محمد علي الصابوني، الصادر عن مكتبة الغزالي بدمشق عام ١٤٠١ه وهو كما يظهر على غلافه الخارجي دراسات أدبية ولغوية كما فيها المؤلف يجمع خمسة وثلاثين حديثاً ثم أتبعها باثني عشر حديثاً وبعضاً من أجزاء بعض الأحاديث أشار إليها أنها أمثلة على جوامع الكلم لدى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قام بحثه على ما يلي:

١. جعل لكل حديث مباحث لغوية مع الإيضاح للكلمة بالشرح والتمثيل.

٢. بعد ذلك يجعل مباحث بلاغية لكل حديث ويبين فيها ما جاء في الحديث من شواهد بلاغية تسلسلا لا باعتبار الفنون الثلاثة حتى ينتهي من الحديث مع إخلال في تتبع الفنون البلاغية في علم المعاني.

٣. بعد ذلك يشرع في إعراب مفردات الحديث إعرابا يسيرا غير مطول.

٤. يعرف بالراوي مطولاً وذكر طرفا من سيرته.

٥. أطال النفس في تناول الأحاديث شرحاً أدبياً وقد يتخلل ذلك تناول بعض الفوائد التربوية والأخلاقية أو الشرعية.

وقد يلاحظ ما يلي:

١. عمله في هذا الكتاب أنه وضع تلك المباحث المختلفة لطلاب الكلية كمنهج إضافي لإحدى المواد المقررة وما يطرح للطلاب غير ما يطرح كدراسة متخصصة.

٢. قدم عدة وقفات بلاغية عند تناوله للأحاديث ويعتبر من الكتب التي مهدت الطريق لمتذوقي الحديث الشريف بلاغيا.

٣. إيراده للفنون البلاغية يستخرجها استخراجاً وليس كل فن على حدة بل تراه يذكر التشبيه ثم شاهداً على الجناس ثم يعود على الكناية وهكذا..

٤. إيضاحات المباحث النحوية والإعرابية أكثر تتبعاً من المباحث البلاغية فكأنها إشارات عابرة.

وفي الجملة يتغير هذا الكتاب مع كتاب الدكتور صالح أحمد رضا باكورة إنتاج أدبي رفيع فتح الباب لمحبي التذوق البلاغي بابا رائعا أنار لهم الطريق وأنسوا بما وجدوا فيها.

وقد عثرت على العديد من الكتب والدراسات البلاغية التي تناولت الأحاديث النبوية ولكنها سارت على طريق الدراسة العامة دون ذكر الفنون البلاغية وإنما تناول الأسلوب أوالألفاظ أو دراسة البنية اللفظية للأحاديث أو دراسة لما قدمه علماء الإسلام حول البلاغة في كتبهم المتناثرة وهذا ما تجده لدى عز الدين السيد في كتابه الحديث النبوي وكذلك التصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور محمد لطفي الصباغ وغيرهم كثير.

الفصل الأول :

التعريف بالإمام النووي وكتابه وأسباب البلاغة النبوية وهو مبحثان :

الأول : التعريف بالإمام النووي وكتابه وفيه المطالب :

١- التعريف بالإمام النووي

٢- التعريف بالأربعين النووية

٣- شروح الأربعين النووية

الثاني : البلاغة النبوية أسبابها وسماتها

الفصل الأول :المبحث الأول:

المطلب الأول: التعريف بالإمام النووي:

نسبه ومولده: هو الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام وعَلَم الأولياء ومحي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ويقال عنه النواوي ([1]) نسبة إلى قرية نـــوا ([2]) ولد رحمه الله في العشر الأول من شهر الله المحرم عام: (٦٣١) إحدى وثلاثـــين وستمائة ونشأ ببلدة وكان أوبه من أهلها المستوطنين وقرأ القـــرآن وتفقـــه في أصناف العلوم ومتون الأحاديث.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ في أسرة مسلمة زكية وكان الله عز وجل أعده لأمور عظام وهيأه لخدمـــة هذا الإسلام ونشر العلم فكان رحمه الله تعالى منذ صباه تظهر عليه معالم الذكاء والجدية في الأمور بعيدا عن اللهو والعبث وإضاعة الزمان بما لا طائل من ورائه.

رآه بعض أهل الفضل في نوا وهو غلام فتفرس فيه النجابة ولمح فيـــه الـــذكاء وحسن الأدب فخلا بأبيه وأوصاه به ثم حرض الصبي على طلب العلم وحفـــظ القرآن فصادف في نفس الإمام النووي ونفس أبيه قبولاً لأمر قضـــاه الله تعـــالى وأراده لهذا الغلام فالتفت من يومها إلى البدء لما خلقه إليه ويسره له فشرع رحمه الله تعالى يقرأ القرآن ويأخذ مبادئ العلم والأدب عن أهل الفضل والعلم في بلده وقد حفظ القرآن وهو لما يبلغ سن الاحتلام.

قال عنه شيخه الشيخ يس بن يوسف الزركشي رأيت الشيخ وهو ابن عشـــر سنين بنوا والصبيان يكرهونه على اللعب وهو يهرب منهم فوقع في قلبي حبـــه، وجعله أبوه في دكان فكان لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن .

---

[1] - قلت مرج ذلك إلى مذاهب على العربية في كيفية نسبة ما كان آخره ألف أو حرف علة و ذكر الزر كلي أنه النووي استنادا للمخطوط الذي أورده الزر كلي في كتابه: ١٥٠/٨ وانظر مقدمة شرح ابن علان على الأذكار النووية ٣/١.

[2] - نوا: بلدة من أعمال حوران بينها وبين دمشق منزلان وسبب التسمية أخذت من الجمع لكلمة نواة ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ٣٠٦/٥.

قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن ، فوصيته به وقلت: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به فقال لي: منجم أنت؟!! قلت: لا؛ وإنما أنطقني الله بذلك فذُكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن أتم ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام ([1]).

ولما بلغ النووي التاسعة عشرة من عمره قدم به أبوه إلى دمشق راجياً أن يتحقق ما تفرس فيه بعض الصالحين فنزل مدرسة الرواحية بدمشق ([2]) وهي قرب الجامع الأموي وفي رحابها بدأ طلب العلم.

قال عن نفسه ([3]) ولما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي في سنة تسع وأربعين وستة مائة إلى دمشق فسكنت المدرسة الرواحية وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي على الأرض وأتقوت بجراية المدرسة – أي ما يوزع على الطلبة من الخبز– وحفظت التنبيه في نحو أربعة أشهر ونصف شهر هم حفظت العبارات من المهذب في باقي السنة وهذا يدل بوضوح على شغف الإمام النووي – رحمه الله – بالعلم والعزيمة وقوة التحمل وجديته.

قال الإمام الذهبي: (ذكر شيخنا أبو الحسين ابن العطار أن الشيخ محي الدين ذكر له أنه كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً) ([4]) .

وكما يعلق جميع ما يتعلق بها من شروح وتوضيح عبارة أو ضبط اللغة، قال مرة في مجلس له: (وخطر لي أن أشتغل في الطب واشتريت كتاب القانون لابن سينا فأظلم قلبي وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال فأفقت على نفسي وبعت القانون فاستنار قلبي) ([5]).

---

[1] - انظر دليل الفالحين شرح رياض الصالحين لابن علان، ٥/١.
[2] - المدرسة الرواحية أنشأها زكي الدين هبة الله الأنصاري المعروف بابن رواحة لأنه نسبة للصحابي الجليل وهي شرقي مسجد ابن عروة لصيق بالجامع الأموي كانت وقفاً على طلاب العلم درس بها جملة من العلماء / منادمة الأطلال ، ١٠٢.
[3] - المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي للسيوطي
[4] - وقد بيناها الذهبي انظر تذكرة الحفاظ ١٤٧٢/٤.
[5] - طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي ٣٩٥/٨.

شيوخه:

للإمام النووي – رحمه الله – شيوخ كثر تلقى عنهم في فنون كثيرة ليس من غرضنا أن نستقصيهم ونذكر أخبارهم في هذا الصدد([1]).

ومنهم:

١. أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي المقدسي وقد أخذ عنه الفقه وبعضا من مفردات المذهب.. وقد توفي عام ٦٥٠ه رحمه الله .

٢. أبو محمد عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسي مفتي دمشق في وقته توفي عام ٦٥٤ه رحمه الله.

٣. أبو الحسن سلّار بن الحسن الإربلي الحنبلي وهو من أعلام المذهب الشافعي توفي عام ٦٧٠ه رحمه الله.

٤. أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي الحافظ المتقن توفي عام ٦٦٣ه رحمه الله.

٥. أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي وقد أخذ عنه بعضاً من شروح الأحاديث توفي عام ٦٦٨ه رحمه الله .

٦. القاضي أبو الفتح عمر بن بندار بن علي التفليسي وقد أخذ عنه علم الأصول توفي عام٦٧٢ه رحمه الله .

٧. أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي قرأ عليه صحيح مسلم شرحاً و تعليقاً والكثير من البخاري توفي عام ٦٦٨ه رحمه الله.

٨. الإمام جمال الدين بن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو أخذ عنه النحو والإعراب توفي عام ٦٧٢ه رحمه الله.

---

[1] - وقد عدد من أفرده بالتصنيف عشرات المشائخ له ويرجع كثرتهم إلى إبحاره في طلب العلم وافيا له عليه ، انظر مثلا: أعلام المسلمين : عبد الغني الدقر : ١٨٤.

تلاميذه:

مما عرف به الإمام النووي جلوسه للعلم كثيرا وتوافد الناس عليه منذ أن دخل المدرسة الأشرفية:

ومن أبرز تلاميذه:

١. الحافظ جمال الدين المزي المحدث المشهور.

٢. قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة.

٣. المحدث أبو العباس بن فرح الأشبيلي.

٤. القاضي صدر الدين سليمان بن هلال الجعفري الخطيب المفوه.

٥. علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الدمشقي المعروف بابن العطار، وقد كان من أقرب التلاميذ لشيخه حتى قيل عنه مختصر النووي كتابة عن تشبيهه به وملازمته.

ولي يرحمه الله مشيخة دار الحديث الأشرفية ([1]) سنة (٦٦٥) خمس وستين وستمائة إلى أن مات وقد نشر بها علماً جماً وأفاد الطلبة وحدث بالصحيحين سماعاً وبحثاً وبعضاً من سنن أبي داود وكان ينوب بالمدرسة الركنية ([2]) أوقاتاً متباعدة وجلس يعلم الناس بالمدرسة الإقبالية ([3]) والفلكية ([4]) .

مؤلفاته:

خلف الإمام النووي رحمه الله تركة من العلم كثيرة بارك الله فيها وانتشرت ويرجع الأمر –والله أعلم – إلى أخلاص الشيخ وطلبه لمرضاة ربه.

---

[1] - أو قفها الملك الأشراف مظفر الدين موسى بن العادل وكانت عامرة بالعلماء والتلاميذ وفيها سكناهم وهي بالقرب من جبل قاسيون من نواحي الشام كانت مدرسة حنبلية ثم صارت إلى ما صارت عليه، منادمة الأطلال . عبد القادر بدران ٣٣.

[2] - أوقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين كان صالحاً تقياً وهي بمحلة يقال لها الأكراد على طريق يوصل إلى جبل قاسيون: منادمة الأطلال، ١٧٠.

[3] - أوقفها الإمام شرف الدين أبو الفضل أفيال ابن الحبشي كان قائداً مهماً وهي بجوار المدرسة الركنية يرس بها الإمام النووي طويلاً . منادمة الأطلال، ٨٢،

[4] - الفلكية ، أوقفها فلك الدين وهو الذي أوقف المدرسة الركنية درس بها جماعة من أهل العلم والفضل كا النووي وابن جماعة، والقاضي ابن سناء الدولة ، منادمة الأطلال، ١٣٨.

وله العديد من الكتب منها ما أتمه ومنها لم يدرك الوقت ومنعه الأجل.

ومن أهمها:

١. الروضة أو ما يعرف بروضة الطالبين وهو مرجع من أهم المراجع في إيضاح المذهب الشافعي حشر فيه الإمام النووي مفردات المذهب مع الترجيح.

٢. المنهاج شرح صحيح مسلم الحجاج وهو شرح ضاف يتجلى فيه رسوخه في العلم .

٣. الأذكار وهو كتاب مطبوع مشهور ذكر فيه كل ما يحتاج إليه المسلم من الأذكار والدعوات.

٤. رياض الصالحين وهو كتاب فسمه لعدة أبواب كتب الله له الانتشار والقبول في بقاع الأرض قال النووي رحمه الله في المقدمة لهذا الكتاب (فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة ومحصلاً لآدابه الباطنة والظاهرة جامعاً للترغيب والترهيب وغير ذلك من مقاصد العارفين ألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات من الكتب المشهورات وأصدر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات) ([1]).

٥. تهذيب الأسماء واللغات وقد كتبت في كراريس ثم قام تلميذه البار الحافظ المزي فبيضها بعد موته يرحمه الله الجميع.

٦. الأربعون النووية وهو كتابنا وسيأتي الكلام عنه مفصلاً في نهاية هذا الفصل .

٧. التقريب والتيسير في مصطلح الحديث وله شرح مشهور تدريب الراوي .

٨. التبيان في آداب حملة القرآن: صغير الحجم عظيم القدر أوضح في جملة من الآداب التي ينبغي لحافظ القرآن التحلي بها.

[1] - انظر مقدمة رياض الصالحين تحقيق عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الرقاق. ٤.

عدد له الزركلي ما يزيد على العشرين كتاباً منها المخطوط والمطبوع ([1]) وأحصى له حاجي خليفة وصاحب معجم المؤلفين ما يزيد على الثلاثين كتاباً ([2]).

أخلاقه وعبادته:

ما كان ينام من الليل إلا أقله وإذا غلبه النوم استند إلى الكتب لحظة ثم انتبه قال عنه الذهبي: (وضرب به المثل في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً وهجر النوم إلا عن غلبة وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة أو التردد على الشيوخ حتى إنه إذا مشى في الطريق كان يشتغل في تكرار ما يحفظ أو يطالع ما يحتاج إلى مطالعة وكان – رحمه الله – قوي المدرك حاضر البديهة تنثال عليه المعاني انثيالاً وقت الحاجة إليها وكان عميق الفكرة بعيد الغوص لا يكتفي بدراسة ظواهر الأمور بل يذهب إلى أعمق أغوارها ([3]) .

وقد أجمع كل من كتب عن الإمام النووي – رحمه الله – أنه كان رأساً في العبادة والزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعديد من الخصال الحميدة.

وقد عرف عنه بين أهل زمانه بالزهد شكلاً ومضموناً إذ لم يتظاهر بالزهد في الدنيا وقلبه معلق بها بل كان تصرفه وفعله يشهدان له بذلك ومن تلك الحوادث أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق ولما سئل عن السبب قال: إنها كثيرة الأوقاف والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً ولا يجوز التصرف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة والمعاملة فيها على وجه المساقاة.

---

[1] - الإعلام لنصير الدين الزركلي، ١٤٩//٨.
[2] - كشف الفنون عن الأسماء والفنون ٦/ ٥٢٤ ، عمر رضا كحاله معجم المؤلفين ٥٠٢/١٣.
[3] - تذكرة الحفاظ للحافظ الإمام الذهبي ٤/ ١٤٧٣.

وكان لا يقبل إلا من والديه وأقاربه فكانت ترسل إليه القميص ونحوه ليلبسه وكان والده يرسل له الخبز من حوران فيبلله بالماء ليتقي مدة أكثر وربما أكمل معه الدبس والتين وكان يخشى أن يكثر الطعام فيغلبه النوم فيضيع وقته .

ولم يتزوج الإمام النووي قط في حياته لا لأن الزواج مكروه بل لأن الاشتغال بالعلم والعبادة لمن لا يتشوق إليه أفضل في عرف النووي وقيل بل لقلة ذات اليد ([1]).

قال السبكي: (لم يبال بخلاب الدنيا إذ صير دينه ريعاً معموراً له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والمصابرة عن أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة ([2]).

وكان الإمام النووي رحمه الله يتمثل الآداب التي ذكرها في بداية كتابه الرائع عظيم البدائع: المجموع شرح المهذب لمن ينصب نفسه للتعليم وهي:

١. أن يقصد بتعليمه وجه الله ولا يقصد توصلاً إلى غرض دنيوي كتحصيل جاه أو مال أو شهرة.

٢. أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التي أرشد إليها من التزهد في الدنيا والتقلل منها وملازمة الورع والخشوع والتواضع والإقلال من المزاح مع طلاقة الوجه والحلم والصبر ومكارم الأخلاق.

٣. الحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات وأحسن طريق لنفي العجب عن نفسه: أن يعلم أن العلم فضل من الله ومعه عارية فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيئ عنده بأجل مسمى.

---

[1] - انظر العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ، عبد الفتاح أبو غدة ، ٩٥.
[2] - طبقات الشافعية الكبرى : التاج الدين السبكي ، ٨/ ٣٩٥.

٤. دوام مراقبة الله تعالى في علانيته وسره محافظاً على قراءة القرآن والأذكار والدعوات ونوافل الصلوات والصوم وغيرها معولاً على الله في كل أمره معتمداً عليه مفوضاً كل الأحوال أمره إليه.

٥. أي يستمر مجتهداً في الاشتغال بالعلم ولا يضجر من تعليم من هو أقل منه سناً أو نسباً أو ديناً.

٦. ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له فيطلع على حقائق العلم وعجائبه مما يضطره إلى كثرة المطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على كلام الأئمة الأعلام ويراعي عدم العجلة والتسرع في طرحه للناس.

٧. وينبغي له أي يحرض طلابه على الاشتغال في كل وقت وينير أذهانهم بطرح الأسئلة عليهم والثناء على المجتهد منهم والنابغة فيهم ترغيباً له وشحذاً للآخرين ([1]).

ثناء الأئمة عليه:

هنالك الكثير من ثناء العلماء عليه وقد لخصه المحدث أبو العباس بن فرح في قوله: (كان الشيخ قد صار إليه ثلاث مراتب بكل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت إليه آباط الإبل، الأولى: العلم والقيام بوظائفه، الثانية: الزهد في الدنيا، الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قلت وشهد لذلك العديد من الرسائل التي ساقها عبد الغني الدقر في كتابه أعلام المسلمين ([2]).

قال الحافظ ابن حجر: لا أعلم نظيره في قبول مقالة عند سائر أرباب الطوائف .

وقال الحافظ ابن كثير : شيخ المذهب الشافعي وكبير الفقهاء في زمانه.

---

[1] - بتصرف يسير ، انظر مقدمة المجموع شرح المهذب ١/ ٢٦.
[2] - أعلام المسلمين عبد الغني ص ١٨٥، وما بعدها.

وفاته:

وفي سنة ست وسبعين وستمائة رجع الإمام النووي إلى نوا بعد أن رد الكتب المستعارة من الأوقاف وزار مقبرة شيوخه فدعا لهم وبكى وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل ثم رجع إلى نوا فرض بها حتى توفي في الرابع والعشرين من عام ست وسبعين وستمائة من الهجرة.

ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجت هي وما حولها بالبكاء وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً وتوجه قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ إلى نوا للصلاة عليه في قبره.. وهكذا انطوت صفحة من صفحات علم من أعلام المسلمين بعد حياة حافلة بالعطاء وبذل ما في الوسع لنشر العلم وتعليمه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.. ([1]).

[1] - مزيدا من معرفة حياة ذلك العلم انظر، ١- البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٩٤، ٢- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ٤/ ١٤٧٠، ٣- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي ٨/ ٣٩٥، ٤- الإعلام لخير الدين الزركلي، ٨/ ١٤٩، ٥- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١٣/ ٥٠٢، ٦- أعلام المسلمين لعبد الغني الدقر ١٨٥ ومابعدها، ٧- مقدمة المحققين لشرح الإمام مسلم للإمام النووي، ٩، ٨- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج عبدالفتاح أبو غدة ، ٩٢، ٩- النظائر للشيخ بكر أبو زيد ٢٥٣.

المطلب الثاني :التعريف بالأربعين النووية ونسبة الكتاب إلى مؤلفه

– اتفق كل من ترجم للإمام النووي رحمه الله أن من أبرز ما سطره العلامة الحافظ النووي من مؤلفات كتاب الأربعين حديثاً وقد جاءت تسميته بهذا الاسم عند شرحه على البخاري أحال عليها بعض الإحالات في تقرير أهمية الأحاديث التي عليها مدار الإسلام والدين وصفها النووي رحمه الله بالأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام ، وقد ذكره الزر كلي في الإعلام وحاجي خليفة في كشف الفنون ([1]) ومعجم المؤلفين ([2]) والمعتمد والمعول ما ذكره ببنانه رحمه الله حيث قال: (وقد استخرت الله في جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأعلام ([3]).

وقد سعيت ما استطعت سبيلاً للتعرف على إحدى مخطوطات الكتاب وإرفاق جزء منها ولكن قدر الله وما شاء فعل وعليه التكلان ومنه الحول والقوة.

التعريف بالأربعين النووية

شاع عند كثير من العلماء والمحدثين التصنيف على الأربعين فتعددت طرق وأنواع التأليف على الأربعين فمنهم من ألف الأربعين في الجهاد والبعض في الأحاديث القدسية ومنهم من ألف الأربعين في النبوة ومنهم من ألف في الحج إلى غير ذلك من المواضيع المتناثرة ([4]) وربما كان المعول في ذلك – والله أعلم – ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء) ([5]) وإذا علم أن هذا الحديث لا يثبت من أي وجه بل كل طرقه ضعيفة ضعفاً لا يمكن به أي يقوي بعضها بعضاً فكيف ينطوي هذا الأمر على المحدث الحافظ النووي؟ وجواباً على

---

[1] - كشف الظنون حاجي خليفة ٥٩/١.
[2] - معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ٥٠٢/١٣.
[3] - مقدمة شرح النووي على الأبعين ص ٤.
[4] - انظر المعجم المنصف لمؤلفات الحديث محمد خير يوسف ٢/ ١٠٩١ وقد ذكر ما يزيد على المائة مصنف في الأربعين وكذلك الرسالة الستظرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للعلامة محمد بن جعفر الكتاني ص ١٠٢.
[5] - أخرجه القاضي عياض في الإلماع وعلقه الدار قطني عن محمد بن إبراهيم الشامي كما في العلل لابن الجوزي وقال ابن الجوزي : (محمد بن إبراهيم الشامي يضع الحديث لا تصل الرواية عنه واتهمه الدار قطني بالكذب وقال ابن حجر رحمه الله عنه: روى أحاديث موضوعة وقال لا يثبت من طرقه شيئ ، انظر الإلماع للقاضي عياض ١٩- العلل المتناهية لابن الجوزي ١١٧/١.

هذا التساؤل الكبير نورد ما خطه ببنانه الحافظ النووي إذ قال : (وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ([1]) ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) ([2]) وقوله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها) ([3]) أصله مجلس أملاه الحافظ أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ه وقد سماه الأحاديث الكلية جمع فيه ستة وعشرين حديثاً.

ثم إن الإمام النووي أخذ هذه الأحاديث وزاد عليها تمام الاثنين والأربعين حديثاً وسماه كتاب الأربعين ([4]) فتح كتابه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات) واختتمه بالحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالئ : (ياابن آدم إنك ما دعوتني ...) وغلب عليها لفظ الأربعين النووية لأن العرب يحذفون الكسر في الأعداد ويقولون أربعون و إن زاد واحداً أو اثنين انتقص تغليباً...

وكانت طريقة في الكتاب كما أشار إليها أن يورد ما صح من الأحاديث محذوفة الأسانيد ثم أتبعها بباب في ضبط ما خفي من ألفاظها

الشروح والطبعات للكتاب

لقد كتب الله القبول لهذا الكتاب حتى طبقت شهرته الآفاق وأقبل عليه صغار طلاب العلم قبل كباره بالحفظ والمدارسة حتى رأينا أن أصبح منهجاً يحفظ ويدرس في بعض المدارس الإسلامية والحلقات المعاصرة ولعل مرجع ذلك – والله أعلم – النية الصالحة والمقصد الكريم الذي رامه مؤلفه.

---

[1] - قلت والإجماع محل نظر هنا إذا خالف العمل بالحديث الضعيف طائفة من أهل العلم وحتى من قال بالعمل به اشترط شروطاً ليس هذا محل بسطها ، انظر الأقوال في كتاب العمل بالحديث الضعيف للدكتور عبد الكريم الخضير ٣٠٥ ، دارالعلم.

[2] - الحديث رواه مسلم باب القسامة والقصاص رقم/ ١٦٦٩

[3] - مقدمة الإمام النووي رحمه الله على الأربعين ص ٥ .

[4] - الدليل إلى المتون العلمية للشيخ عبد العزيز القاسم: ٢٤٨.

ولعل ما ذكره الإمام النووي أنه حذف الأسانيد منها واختار ما كان منـــها ذا عبارة مشهورة سبب في الانتشار والذيوع لهذا السفر العظيم.

وقد تباينت طبعاته وشروحه بين مقل ومكثر ممن أكمل الـــدرس بعـــد الإمـــام النووي قدمه لذلك الكتاب الجميل وسوف تستعرض بعضاً من طبعات الكتاب المتوفرة.

١. الأربعون حديثاً تحقيق محمد طاهر طبع عام ١٤٠١ه ويقـــع في (١٠٧) مائة وسبع صفحات وعمل المحقق هو تحقيق الأحاديث وتتبع أسانيدها ورواتهـــا مع إيضاح يسير للكلمات المستغلقة.

٢. الأربعون حديثاً النووية اعتنى بها محمد بن أمين الزهيري طبعه دار المغـــني ١٤١٩ه بالرياض ويقع في (٩٤) أربع وتسعين صفحة.

٣. الأربعون النووية تحقيق إبي محمد عصام بن مرعي طبعـــة دارا لأنـــدلس الخضراء ١٤١٨ه ويقع في (٨٦) ست وثمانين صفحة.

٤. الأربعون النووية وتتمتها بالخمسين لابن رجب اعتنى بها وخرج أحاديثها عبد محمد المنصور وطبعه دار الوطن ١٤١٢ه ويقـــع في (١٠٤) مائـــة وأربـــع صفحة.

٥. كتاب الأربعين النووية للإمام النووي ضبط ألفاظه المشـــكلة نشـــر دار البخاري ١٤١٠ه ويقع في (١٢٦) مائة وست وعشرين صفحة وهو كما ترى لم يتجاوز ضبط الألفاظ وحسب.

٦. الأضواء السماوية في تخريج أحاديث الأربعين النووية لفوزي بن عبدا لله محمد نشر في عمان المكتبة الإسلامية ١٤١٣ه ويقع في (٣٠١) صـــفحة وهـــو تخريج فقط.

٧. متن الأربعين النووية تحقيق الصادق مزيغ بيروت طبعة دارا لجنوب عام ١٤٠٠ه ويقع في (١٣٣) صفحة.

٨. متن الأربعين النووية للندوي تحقيق عصام فارس الحرستاني طبع في بيروت المكتب الإسلامي ١٤٠٩ه ويقع في ثمانين صفحة.

٩. متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية تحقيق محمد الأرناووط وراجعه عبد القادر الأرناووط وطبع في دار البشائر ١٤١٧ه ويقع في اثني عشر صفحة ([1]) وهو من أجود الكتب التي عنيت بتحقيق متن الأحاديث النووية ودراسة لأسانيدها ويرجع ذلك لكون المؤلفين من أصحاب الرسوخ في التحقيق ومعرفة الأسانيد والرجال.

١٠. الأربعون النووية تحقيق محي الدين مستو نشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٨ه ويقع في أبع وتسعين صفحة وهو تحقيق فقط ولا يخلو من إيضاح الشكل لبعض مفردات الأحاديث.

١١. الأربعون النووية قدم وعلق عليها عدنان عرعور نشر دار الراية بالرياض ويقع في تسع وأربعين صفحة وهو من أقل شرح المتن حجماً وتعليقاً.

١٢. الأربعون النووية في الأحاديث النبوية نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية عام ١٤١٠ه ويقع في اثنتين وستين صفحة.

١٣. متن الأربعين النووية في الأحاديث النبوية للنووي شرح الحديث مكتبة دار العروبة ١٤٠٩ه ([2]).

---

[1] - انظر المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف، محمد خير رمضان، ٢/ ١١١٨.
[2] - دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوع محي الدين عطبة وزملاؤه ٢/ ٦٥٩ وما بعده.

المطلب الثالث

شروح الأربعين النووية

قبل الشروع في سرد أهم الشروح أو حصرها نشير إلى كثرة الشراح لهذا المتن النفيس فقد جاوزت الشروح الخمسين ([1]) شرحاً للمتأخرين والمتقدمين و لم يعرف من المتون العلمية من نال حظه من الشرح والتعليق كمثل الأربعين النووية وهذا يبين لنا انتشار وتلقي الناس له بالقبول وما جعل العلماء يقدمون بسطه وتفهيمه للطلاب الذين بدؤوا في الطلب والتحصيل العلمي الجاد ومجمل هذه الشروح لا تتعدى طريقة شراح الأحاديث في الطريقة التقليدية من إيضاح الغامض فيها ثم ما فيها من معالم أو أحكام وحسب...

وفيما يلي سرد لأهم الشروح

١. الأربعون النووية وشرحها: تأليف صاحب المتن وقد طبع عدة طبعات وأحسن تلك الطبعات التي بتحقيق الشيخ محي الدين مستو ويقع في ١٤٤ صفحة .

٢. شرح العلامة تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي القشيري المشهور بابن دقيق العيد المتوفى سنة (٧٠٢) رحمه الله وله عدة طبعات أنفسها طبعة مكتبة التراث الإسلامي في مصر ويقع في ١١٢ صفحة.

٣. شرح العلامة الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوي الحنبلي المتوفى سنة (٧١٦) رحمه الله تعالى واسمه: التعين في شرح الأربعين نشرته مؤسسة الريان في بيروت عام ١٤١٩ه ويقع في ٣٤٦ أطال في النفس كثيرا وأتى بكل ماله علاقة بالحديث من أحكام وعقائد.

[1] - ممن حصرها : دليل مؤلفات الحديث الشريف ٢/ ٦٧١ ومابعده.

٤. شرح الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة (٩٧٤) رحمه الله تعالى واسمه الفتح المبين بشرح الأربعين له عدة طبعات منها طبعة المطبعة الميمنية في مصر.

٥. شرح الشيخ أحمد بن الحجازي المتوفى سنة (٩٧٨) رحمه الله تعالى واسمه المجالس التنبيهية في الكلام على الأربعين النووية طبع في مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية في القاهرة بدون تاريخ ويقع في ١٣٦ صفحة ومعه حاشية لكتاب آخر البينات في مواعظ البريات لعبد الرحمن الهمذاني.

٦. شرح الشيخ إبراهيم بن مرعي بن عطية المتوفى سنة (١١٠٦) ه رحمه الله تعالى واسمه الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثاً النووية طبع في المطبعة الأزهرية سنة (١٢٠٨)ه ويقع في (٥٥١) صفحة وفيه جملة من أقوال المتقدمين بالأخلاق والآداب.

٧. شرح الشيخ ملا علي بن سلطان القاري الهروي الحنفي المتوفى سنة ١١١٤ه رحمه الله تعالى واسمه المبين المعين لفهم الأربعين طبع في المطبعة الجمالية في مصر عام ١٣٢٨ه ويقع في ٢٣٩ صفحة تتبع في المؤلف أسانيد ما تكلم عليها.

٨. شرح الشيخ عبد الله محمد النبرواي المتوفى سنة (١٢٧٠)ه رحمه الله تعالى واسمه عروس الأفراح طبع في مطبعة بولان (١٢٩١) ويقع في (١٨٦) صفحة.

٩. شرح الشيخ العلامة محمد حياة السندي المتوفى سنة (١١٦٣)ه رحمه الله تعالى أحد مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الجميع طبع سنة ١٤١٥ه في (١٢٧) صفحة وحققه حكمت بن أحمد الحريري.

١٠. شرح الشيخ محمد بن عبد الله الجر واني الشافعي المتوفى سنة (١٣٣١)ه رحمه الله تعالى طبع باسم الجواهر اللؤلؤة في شرح الأربعين النووية ، وحققه مصطفى الذهبي ويقع في ٣٨٣ صفحة.

١١. التحفة الربانية في شرح الأربعين النووية للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري المتوفى سنة (١٣١٧)ه رحمه الله تعالى طبعة المكتبة السلفية ١٣٨٠ه ويقع في (١٠٤) صفحة.

١٢. المختار في شرح الأربعين النووية للشيخ عبد الخالق مسعود طبعة مكتبة المنار بالأردن عام ١٤٠٣ه ويقع في (٣٢٤) صفحة وهو خليط منتقى من عدة شروح ([1]).

١٣. شرح الشيخ ناظم بن محمد سلطان طبعة الدار السلفية بتونس الطبعة الأولى سنة (١٤٠٨) واسمه قواعد وفوائد من الأربعين النووية ويقع في (٣٧٣) صفحة .

١٤. شرح الشيخ محمد تاتاي من علماء المغرب العربي واسمه إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية وقد قامت بنشره دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في مصر، عام (١٤١٤)ه وهو شرح عصري سار فيه مؤلفه على طريقة المتقدمين وجمع معها شرح عصري يتلمس فيه تطبيقات للحديث بواقعنا المعاصر وما فيه من أحداث ومستجدات.

١٥. شرح الحافظ ابن رجب رحمه الله المسمى: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم تأليف الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي المشهور بابن رجب المتوفى سنة (٧٩٥)ه وقد شرح الأحاديث وزاد عليها ٨ ثمانية أحاديث وهو أجل الشروح فائدة ومعنى له عدة طبعات أجودها طبعة دار الصحابة للتراث نشرت عام ١٤١٥ه بتحقيق ومقابلة على عدة مخطوطات قام بها الشيخ طارق أحمد محمد عبد المنعم تقع في مجلدين، وهنالك شروح خمسة مخطوطة لم ترالنور، ذكرها بعض من حصر شروح الأربعين النووية.

[1] - وبعد التأمل وجدت أنه خليط من عدة شروح لمن شرح الأربعين النووية من المتقدمين والمتأخرين وقد اعتنى بالنقل على وجه الخصوص من كتاب ابن رجب الحنبلي .

١٦. شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين على الأربعين النووية في مجلد واحد تناول فيه – رحمه الله – الأحاديث تناولاً مستقصياً شاملاً ما في من أحكام وعظات ويتميز هذا الشرح عمن سبقه بتناول بعض المفردات الغوية الواردة في الأحاديث وشرح غريبها مع مباحث متفرقة في البناء الأعرابي للأحاديث طبع عدة طبعات ، أصدرته مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية منذ عام ١٤٢٢هـ ([1]).

وبعد هذا التطواف والترحال مع شروح السفر الجليل الأربعين النووية أجد هنا فرصة لإيضاح ما اجتمعت عليه تلك الشروح من خصائص فأقول وبالله التوفيق.

١. الاعتناء من الشراح بالتخريج ودراسة الأسانيد.

٢. السواد الأعظم من الشراح شرقوا وغربوا في إيضاح ما في تلك الأحاديث بين مقل ومكثر.

٣. إسقاط الأحكام والدروس الأخلاقية المستنبطة من حدائق تلك الأحاديث المشرقة.

٤. إغفال الجوانب اللغوية لبعض ما يرد في الأحاديث من غريب وبسط الكلام فيه بلا نرى جل الشراح يتعرضون لتلك المعاني إجمالاً من خلال تناولهم للأحاديث خلا شرح العلامة المحدث محمد بن عثيمين رحمه الله.

٥. لم أعثر في جل تلك الشروح على وقفات بلاغية أو إشارات بيانية ولعل العلماء الأفذاذ الذين شرحوا النووية آثروا نثر الفوائد والنكت العلمية على الوقفات البلاغية وهي حسبهم وأعظم الله لهم الأجر والمثوبة وجمعنا بهم في مستقر رحمته.

[1] - الدليل إلى المتون العلمية للشيخ عبد العزيز بن أبراهيم القاسم ص ٢٤٧ ومابعدها، وكذلك دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوع القديمة والحديثة ٢/ ٦٧١، وكذلك المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف ٢/ ١٠٩١.

٦. تأكيد الشراح لهذه الأحاديث على علو مكانها لاشتمالها على ما يحتاجه المؤمن في عاجله وآخرته من أصول العقائد والأحكام والمعاملات والأخلاق .

٧. كان المقصد من حذف أسانيدها كما وضحها الإمام النووي دافعاً لحفظها وانتشارها واعتناء العلماء بها وما يدل عليه تنوع شروحها.

المبحث الثاني البلاغة النبوية وأسبابها وسماتها

جاء الحديث النبوي على نسق الأسلوب الدارج عند العرب في التخاطب تتجلى فيه لغة المحادثة والحوار الداخلي ويعالج القضايا والمسائل ويحاور ويناقش كما يتخاطب سائر الناس بعضهم لبعض ولكنه يتميز من الكلام العربي المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية فيه إحكاماً بالتعبير وجمعاً للمعاني بأوجز طريق وأقربه دون حشو أو تكلف

(البيان النبوي وبلاغته أرفع أدب بشري تصدر عن لسان ناطق وله طابعة الموشى بالفصاحة والإعجاب) ([1]).

وصفها الأديب الأريب مصطفى صادق الرافعي – رحمه الله – بقوله: (ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه محكمة الفصول محذوفة الفضول) ([2]).

حاول الكثير من الباحثين تلمس أسباب تلك الفصاحة والبلاغة فكل بهم السير واجتهد البعض فاجتمعوا على طائفة من الأسباب لتلك الفصاحة الغراء:

أولاً: منها: تتلمذه عليه الصلاة والسلام على القرآن الكريم وتأثره بمنهجه وقيامه على نسقه وترسمه خُطاه خصوصاً أنه عليه الصلاة والسلام يبسط ما أجمله القرآن الكريم ويفسر ما أبهم فيه وما يدعو له من التمسك بالقيم والأخلاق والعجب كل العجب أن يكون محمد رسول الله أمياً لا يخط كلمة ولا يقرأ حرفاً طوال حياته قبل النبوة وبعدها وأن يكون القرآن أفاض عليه من البيان والبلاغة وشيت بأبهى الحلل([3]).

---

[1] - البيان النبوي د/ محمد رجب بيدمي : ٣٠٣.
[2] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي: ٢٧٩.
[3] - أدب الحديث النبوي د/ بكري شيخ أمين : ٩٩.

ولايزال القرآن الكريم الأعجوبة الأدبية والفكرية في لسان العرب يقرأه الإنسان أو يحفظ شيئاً منه فيضيء كلامه ويسمو أسلوبه ويعلو بيانه على بيان الآخـــرين هذا مع الإنسان العادي فكيف إذا كان ذلك مع محمد يوحى إليه به.

ثانياً: ومن جملة الأسباب ربما أن الله عز وجل أعده تمهيداً إلى أئمـــة البيـــان و زعماء الكلمة حتى تكون له الزعامة بدون منافس وتخلص له القيادة بدون نزاع ولا يقف أحد في وجهه بل بذلك هو عليه الصلاة والسلام متميز عنهم والعور عندهم ما تطلبه البادية ترفضه المدينة وما يفخر به العربي ينفر منه مختلط الجنس.

ثالثاً: ومن جملة الأسباب كذلك: الفطرة السليمة والطبع المستقيم فقد تنقل منذ نشأته بين أفصح القبائل وأصفاها بياناً وأسلسلها منطقاً ([1]) إذ ولد في بني هاشم ورضع في بني سعد ونشأ في قريش وتزوج من بني سعد وهاجر إلى المدينة وعاش بين الأوس والخزرج فجمع ميزات القدم مجتمعة ولا غرو إذ يقول عليه الصـــلاة والسلام أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد ([2]).

ومن جملة الأسباب اطلاعه الدامع على ألسنة القبائل على اخـــتلاف مشـــاربها ووقوفه على مختلف لهجاتهم وشتى لغاتهم وتمكنه من الحديث لكل ما يتلاوم معه وعند ما سأله بعض الصحابة عن ذلك وقالوا له إنك تكلم وفود العرب بلغاتهم أشار لهم أنه يفهم لغاتهم وهو أقرب لفهمهم منه عليه االصلاة و السلام

خامساً: ومما يستوجب التأمل والنظر أن كفار قريش برعوا في قـــول الشـــعر وحفظه ولهم القدح المعلا في ذلك ولا يبزهم أحد ... ولما جاء الرسول بنثـــره واتجه إلى جنس آخر من البيان شد أنظار قومه إلى ما صنع ووجههم إلى احتذائه فانصرفوا عن الشعر وصرحوا على مجاراته ولكن دون جدوى ولما عجزوا عـــن ذلك رموه بالسحر وحاشاه بأبي هو وأمي.

---

[1] - انظر تأملات في البيان النبوي : ص ١٨ بتصرف يسير.
[2] - تخريج الحديث: الحديث صحح الامام البزار ولبعض الائمة كلام فيه / كشف الخفاء ومزيل الالباس

كل هذا جعل الحديث النبوي في مرتبة من الفصاحة لا تدانى ورفع الأدبـــاء إلى استظهار عبارات عليه الصلاة والسلام والإيناس منها والاستعانة بها في شـــعرهم ونثرهم تسمو فوق مستوى كلام الناس ويكون بها من العقد والنظم ما لـــيس لكلام الآخرين ([1]).

إن بلاغة النبي الكريم مدرسة تخرج فيها فحول الشعراء والكتاب والخطباء مـــن لدن عصره إلى يومنا هذا، ولذلك كان الأدب النبوي قبلة الأدباء كل يرتشـــف منه ما يكفي غلته ويقضي به حاجته ومن هنا أصبح ظاهراً لكل عيان مدى تأثر أو تأثر ذلك الأدب والفصاحة الجمة على سائر البلغاء من الناس على اخـــتلاف مشاربهم وتنوع وجهاتهم.

[1] - أدب الحديث النبوي: ١٠٤، بتصرف يسير.

٢/ :سمات البيان النبوي

كان ولازال الحديث النبوي نص أدبي في الذروة من البيان ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة.

وفصاحته عليه الصلاة والسلام أمر لا يشك فيه عاقل ذلك أن القوم الذين أرسل إليهم هم أئمة البيان وهم في خصومته قوم ألدّاء لا تنقطع بهم وجه ولا يعوزهم منطق بليغ نعتوه بأوصاف فيها الكيد والمخاصمة إما فصاحة فلم يفلحوا لأنهم يعلمون أن هذه الفرية زائفة باطلة.

لم تكن فصاحته وبيانه مقصراً على جودة الأسلوب وعمق المعنى بل جاوزت ذلك إلى الأداء.

ولقد كان للبيان النبوي العديد من السمات أعرض ما تيسر لي خلال البحث والمناظرة والاطلاع.

فمنها

١. جمعه بين الجزالة في المفردات والوضوح في الدلالة وعند اقترانها يصبح الكلام قطعة رائعة من البيان الساحر يفتح مغاليق القلوب لتر النور.. وما تأثير كلامه على كفار قريش عنا ببعيد.

٢. ومن ذلك بعده عن التكلف مع تجديده في أساليب النثر فتجده أسلوباً حراً من كل قيد خال من الزخرفة المستكرهة.

٣. ومن ذلك القدرة الرائعة على التصوير في أوضح عبارة وما قوله عليه الصلاة والسلام:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد)([1]) إلا أبلغ تصور لتلك اللحمة ([2]).

[1] - تخريج الحديث: رواه مسلم في كتا ب البر والصلة برقم : ٢٥٨٦

[2] - انظر التحرير الفني في الحديث النبوي ، محمد الصباغ: ص ٢٤.

٤. ومن تلك السمات: الإيجاز في القول كيف لا وقد أعطي جوامع الكلم وكم لاح لمتأمل أنه وصل للمطلوب وما يريد الرسول لإفهام السامع بعبارة وجيزة لو تكلم غيره عليه الصلاة والسلام لأطال وأتى بعبارات كثيرة، وغلبة الإيجاز الطامع المميز في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما مُنحه من كمال العقل وغلبة فكره على لسانه ومن هنا قل كلامه وتتره عن الحشو.

٥. ومنها أيضاً: تطابقه على نسق واحد في جميع فنونه فما تجده في البيان المباشر من دقة التصوير ووضوح العبارة وحسن الديباجة تجده كذلك في البيان الخطابي والقصص على سواء وكذلك ما تجده في البيان المطول تجده في البيان الموجز ويلحظ البراعة والدقة وحسن المنطق في بداية البيان هو نفسه في الختام على أحسن حال.

٦. عدم التكلف في كل حالاته إذ كان عليه الصلاة والسلام يرتشف من معين لغوي لا ينضب وما كان عليه الصلاة والسلام في بيانه يضطر إلى إقامة بيانه على أسباب الصنعة والتكلف لأنه لم يكن يجاوز بكلامه مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريد لأن معانيه وحيا وإلهاماً وإعداداً ربانياً إذ يصفه خالقه يقول: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ([1])، وأن العجب في كون هذا الأدب يستهدي الناس على اختلاف مشاربهم ولهجاتهم كل بما يناسبه دون عجز أو تردد ([2]).

٧. وحدة الموضوع في البيان النبوي ودورانه في كل ألفاظه داخل إطار هذا الموضوع بحيث لا يخرج عنه قيد أنملة في دائرة الدعوة إلى دين الله والقيام بشرائعه والتوضيح لمبادئه والتمسك بقيمه مع ما يصاحبه من وسائل بيانية جرساً وإيحاء معنى وفكرة وصورة وخيالاً.

---

[1] - سورة النجم آية:

[2] - تأملات في البيان النبوي، إبراهيم عوضين، ١٤٩.

٨. عبقرية البلاغة النبوية في عقد المناسبة بين الألفاظ ومعانيها التي تتجلى في الدقة البالغة في اختيار اللفظ لمناسبة معناه ورعاية الصلة الواضحة بينهما وبراعة الملاءمة بين فرائد الكلام ومن باب التدليل وحسب تأمل مع مصداق ذلك وجماع قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) ([1])، فمع إيجاز هذه العبارة الشريفة وفصاحتها تجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أجاد اختيار اللفظ المناسب للمعنى المراد فكلمة (بوائقه) التي تحمل بين طياتها معنى الاغتيال والهلاك والغدر والمباغتة أوضح دليل على ما تقدم . وهكذا يمضي بنا الركب والنفوس تلهو معلقة في فضاء واسع بيد العقول ويشنف الأسماع ويصيبك الكلل ويضني بك التعب والإعياء وأنت تلهث وراء معين لا ينضب ونهر متدفق من البيان النبوي الآسر الأخاذ.

وكل من له حظ في العربية وكان عنده شيء من عقل وعدل وذوق حكم أن القرآن الكريم أفصح كلام وهو المقام الأول وأن الحديث النبوي له المقام الثاني، وما كان لعلماء العربية قاطبة أن يصلوا لهذا المقام إلا بعد دراسة مستفيضة ونظر ثاقب وبصيرة متأملة.

كان الرسول عليه الصلاة والسلام أفصح العرب على أنه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة بل تحدرت ألفاظه وأنارت معانيه كل من طرقت أذنه أو وقعت عليه عيون ناقد ، وصف الجاحظ أدب الرسول عليه الصلاة والسلام وفصاحته فكان مما قاله في حق ذلك الأدب العظيم: (هو الكلام الذي قل عدد دونه وكثر عدد معانيه وجُل عن الصنعة ونَزُه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسيط وهجر الغريب الوحشي، جمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام هو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولازلت له قدم ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب لم يسمع الناس بكلام قط

[1] - صحيح مسلم: ٦٨/١.

أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه من كلامه عليه الصلاة والسلام ([1]).

[1] - البيان والتبيين للجاحظ ج: ٢ ص ١٧ ، بتصرف يسير طبعة دار الفكر ، بلا تاريخ.

الفصل الثاني

علم البيان

وفيه مبحثان :

المبحث الأول علم البيان والعلوم الأخرى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأة علم البيان وعلاقته بالعلوم الأخرى

المطلب الثاني :تعريف علم البيان

المبحث الثاني : التعريف بفنون علم البيان ودراسة الشواهد

وفيه أربعة مطالب :

الأول : فن التشبيه

الثاني : الاستعارة

الثالث : المجاز اللغوي والعقلي :

الرابع : بلاغة علم البيان من خلال الشواهد

المطلب الأول : نشأة علم البيان وعلاقته بالعلوم الأخرى

وقبل الحديث والتفصيل في تعريف كل علم من علوم البلاغة الثلاثة نطرح شيئا من الفروق والنشأة وكلام أرباب البلاغة والتأليف فيها:

فمن المقرر في تاريخ البلاغة أن العلوم الثلاثة لم تكن من أول أمرها متميزة واضحة المعالم محددة الموضوعات، وإنما نشأت تدريجاً وعلى اختلاط من موادها وقد استغرقت في ذلك عدة قرون، أربعة قرون في الأقل، كانت بدايتها في القرن الثاني أو الثالث و لم تتميز تماماً إلا في القرن السابع.

ويبدو أن كلمة (بديع) أول ما وجد من هذه المصطلحات الثلاثة، وجدت لتدل على الجميل، المبتدع، الجديد من استعمال خاص لعله الذي عرف فيما بعد بالاستعارة، فلقد ذكر الجاحظ (الذي عاش بين أواسط القرن الثاني وأواسط القرن الثالث) البيت:

هـمُ سَاعِدُ الدّهْر الذي يُتْقَى به ومَا خَيرَ كفٍّ لا تَنوءُ بسـاعِد ([1])

فقال: (هم ساعد الدهر) (هو الذي سماه الرواة: البديع). وإذا عدنا إلى (ساعد الدهر) بالمصطلحات المتأخرة وجدناه استعارة، فليس للدهر ساعد، وإنما الساعد حقيقة في يد الإنسان، نقله الشاعر إلى الدهر على سبيل المجاز.

ثم ذُكر في معنى (البديع) كلمات أخرى مع الاستعارة كالتشبية والجناس والطباق والكناية، وأكثر ما تردد ذلك عندما بدأ الشعراء يكثرون من استعمال هذه الوجوه استعمالاً يلفت النظر بكثرته ودرجة المبالغة فيه، وكان أشهر من أكثر منه أبو تمام، وكان الشعراء الذين يستعملونه كثيراً يفخرون به ويرون أنفسهم مجددين ومبتكرين لم يسبقهم أحد إليه ويجدون في ذلك الأنصار والمناوئين. و لم يرتض ابن المعتز ([2]) (المتوفى أواخر القرن الثالث) ما ادّعاه

---

[1] - البيت للشاعر : الاشهب بن رميلة شاغر مخضرم أسلم ولت تعرف له صحبة للنبي هجا الفرزدق انظر الاصابة في تمييز الصحابة ٤٦/٤ والبيت في خزانة الادب ٣/ ٥٠٩

[2] - عبد الله لن المعتز شاعر وأديب صنف كتاب البديع ٢٤٧هـ

المجددون لأنفسهم، فمضى يؤلف كتاباً يرد فيه عليهم ويبين أن هذه الأمور من البديع التي يفخرون بها قديمة عند العرب، وفي القرآن، وقبل الإسلام وبعده، وليس الذي للمحدَثين منه إلا المبالغة والإكثار إلى درجة الإفساد، وقد سمى ابن المعتز كتابه (البديع). وعرض (الآمدي) ([1]) في (القرن الرابع) في كتابه (الموازنة بين الطائفتين): أبي تمام والبحتري إلى البديع، فسماه وحده مواده، وهكذا كثر الكلام فيه وكثرت المواد التي ينطوي عليها... وجاء في القرن الخامس مؤلف كبير هو عبد القاهر الجرجاني فألف كتابين مهمين هما: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، بحيث في (دلائل الإعجاز) أكثر ما بحث في الجملة، وعقد فصولاً على (التقديم والتأخير) والحذف والخبر و (الفصل والوصل)، والقصر.

وواضح من الكتاب أنه أكثر ما يعالج المواد التي تكوّن (علم المعاني) وإن كان صاحبه قد تعرض فيه إلى أمور كانت تدخل آنذاك في (البديع) مثل الاستعارة والجناس والطباق..

أما في (أسرار البلاغة) فقد كثرت موضوعات: التشبيه، والاستعارة، والمجاز مما كان يختلط مع مواد (البديع) ولكن المؤلف ميّزها هنا من غيرها، وهي التي ستكون أساس (علم البيان) ولهذا قيل إن الجرجاني مؤسس لعم البيان ... وإن كان ذلك لم يمنعه من الكلام على السجع والجناس والاستعارة دلالة على أن الأمور لما تتميّز تميّزاً قاطعاً.

وإذا كانت قد اتضحت – مع عبد القاهر الجرجاني – المواد الأساس في (علم المعاني) وهي: التقديم والتأخير، والحذف، والخبر، والفصل والوصل، والقصر، واتضحت المواد الأساس في (علم البيان) وهي: التشبيه، الاستعارة ، المجاز، فإن مواداً أخرى ظلَّت مضطربة غير متخصصة، مثل: السجع ، الجناس، الطباق.

[1] -. ابو القاسم الامدي الحسن بن بشر شاعر وأديب ونحوي له كتاب الموازنة بين الطائيين توفي بخرسان :٣٧١هـ

وكانت الحال تسير في طريق التخصص... وقد حدث هذا أول ما حدث على شكل بارز على يد أديب خوارزمي هو السكاكي ([1]) (المتوفى سنة ٦٢٦ه)، فقد ألف كتاباً مركزاً جافاً سماه (مفتاح العلوم)، وذكر فيه من العلوم – فيما ذكر – علمي المعاني والبيان. وحدد موضوعات علم المعاني ب: الخبر، الفصل، الوصل الإيجاز، الإطناب، القصر، وموضوعات علم البيان ب: التشبيه، والمجاز والاستعارة، والكناية. وأشار إلى أن علمي المعاني والبيان هما (ركنا البلاغة).

وقال عندما انتهى من كلامه على العلمين، وهناك (وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها بقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي ... المطابقة ...، التجنيس... الأسجاع...) ولم يضعها تحت مصطلح خاص بها ولم يولها من الاهتمامما أولى العلمين السابقين.

ثم جاء عالم آخر من أبناء القرن السابع، وضع هذه المواد من مطابقة وتجنيس وأسجاع مع مواد آخرى كثيرة أضافها إليها وسماها (علم البديع) وهكذا صارت البلاغة ثلاثة علوم متميزة عن بعضها هي: المعاني، والبيان، والبديع.

صارت كذلك في الزمن الذي جمدت فيه العقول وفسدت الأذواق وضعفت الإبداع، فكان معنى ذلك جمود البلاغة لدى الكلام عليها أو لدى استعمالها أو البحث عن وجوهها في النصوص الإنشائية. وساد عليها كلها (البديع) لما فيه من صناعة لفظية تبلغ درجة اللعب والعبث كانوا يروها جميلة. ويروها مقياس البلاغة العالية بذوقهم – ولم كونوا على صواب.

واستمرت الحال على ذلك طويلاً حتى كانت النهضة العربية الحديثة الرجوع إلى الأدب الإنشائي الصحيح من التراث وتنبه الأفكار ويقظة الأذواق... أقول حتى إذا كانت النهضة الحديثة ضاق الناس بالبلاغة الجامدة

[1] - سراج الدين ابو يعقوب يوسف السكاكي ولد في خورازم سنة : ٥٥٥ من اعلام البلاغة توفي عام : ٦٢٦

وحاربوا الصناعة اللفظية ممثلة بافتعال الجناس والطباق السجع على وجه الخصوص... وانعكس ضيقهم بالجامدين من الباحثين والمنشئين على البلاغة نفسها ثم مضوا يبحثون عنها فيما كانت عليه أيام ازدهارها، وهنا عثر الشيخ محمد عبده – شيخ الجامع الأزهر – على كتابي عبد القادر الجرجاني فتولى تدريسهما ورفع من شأنهما.

وأدخلت الدراسة الحديثة البلاغة في مقرراتها وبذلت جهوداً كبيرة لإعادة الحياة إليها، وانصرف باحثون آخرون ينقحون كتبها القديمة ويقدمونها بصيغة جديدة كما فعل صاحبا (البلاغة الواضحة) ... ولكن دون جدوى... فقد ظل طابع عصور الفترة المظلمة سائداً فيها واستمر لذلك ضيق الطلبة بها ... وقد اتضحت صعوبة إحيائها لأن العالم شرع يولي اهتمامه الأول للنقد الأدبي، ويمكن للبلاغة – في أحسن ما فيها – أن تدخل في النقد الأدبي كما آلت إليه البلاغة في العالم كله.

إن الذي بذله العرب في (البلاغة) جليل جدير بالإعجاب، وإننا إذ نستعرض تاريخهم فيه نستدل على أنموذج من الجهد في ميدان الفن ونستبقي منه الحي الذي كان أيام ازدهار الإبداع والفكر الذوق.

إننا لا نستغني عن مصطلحات البلاغة في التشبيه والمجاز والاستعارة والجناس والطباق والسجع، لأن هذه المصطلحات عالمية في آداب العالم كله، ... ولكن هذا جزء من كل يكونه النقد الأدبي، وقد كان العرب الأوائل يفعلون ذلك بالبلاغة قبل أن تتجمد ([1]).

[1] - الثقافة الادبية للطالب ١١٣٨اعاي جواد الطاهر طبعة عام ١٤٠٧

المطلب الثاني التعريف :

من أقدم آثار التي درست البيان عند الأمة وفصلت القول فيه كتاب البيان والتبيين للأديب الجاحظ وعلى الرغم أن عنوانه دليل على علم البيان إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فيه ولا توجد إلا بالتأمل والنظر.

وقد كانت كلمة (البيان) تدل على ما تدل عليه كلمة (البلاغة) أي فنونها جميعا وكان العلم الذي يبحث فيها هو علم البيان كما مر من قبل ولكن كان لأئمة البلاغة تعاريف عدة لعلم البيان نلقي الضوء على بعض منها:

فنرى الإمام الجاحظ يقول: إن علم البيان هو: (الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي) ([1]) فكل دلالة على المعنى عنده بيان لأن الغاية هي الفهم والإفهام وفي موضع آخر يطرح مفهوما عن علم البيان فيقول: (اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته)([2]).

والبيان عند الرماني ([3]) (هو الإحضار لما يظهر به تميز الشئ من غيره وهو أربعة: كلام وحال وإشارة وعلامة) ([4]).

أما صاحب كتاب المعجم الأدبي جبور عبد النور خيري(أنه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة) ويحترز به عن التعقيد المعنوي وبذلك يكون متعلقا بالمضمون وتنحصر أدواته في: التشبيه والمجاز والكناية ([5]).

---

[1] - البيان والتبيين ١/ ٧٥.
[2] - البيان والتبيين، ١/ ٢٦.
[3] - هو الإمام الرماني ابو الحسن على بن عيسى الرماني العالم النحوي رمي بالتشيع توفي عام ٣٨٤
[4] - علم البيان لبدري طبانه: ٢٥.
[5] - المعجم الأدبي لجيور عبد النور: ٥٣، طبعة دارالعلم للملايين الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

والمختار الذي عليه أقطاب البلاغة أن تعريف علم البيان هو: (علـــم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفـــة في وضـــوح الدلالـــة عليـــه) ([1]).والمتأمل في تلك التعاريف يجد أنها تدور حول فكرة واحدة ومعنى واحد متقارب مشترك .

[1] - علم البيان بدري طبانة: ٣٠.

المبحث الثاني:التعريف بفنون علم البيان الواردة مع شواهدها

المطلب الأول فن التشبيه:

أولا: التعريف:

يعتبر فن التشبيه من أكبر الفنون البيانية استعمالاً وأكثرها وضوحا وبياناً ويرجع ذلك لقرب الفهم له وسهولة مأخذه.

نال منه البلاغيون وأهل الفصاحة والبيان قدراً كبيراً في ما سطرته أقلامهم فهو من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة وكلما كان في التشبيه ألطف كان بالشعر أعرف ومن البيان أحذف.

ويعد من أنماط التعبير العالية كما يعد من أقدم مباحث البلاغة التي اهتدى إليها العقل الإنساني، ذلك بأنه يتعلق اكتشافه بسرائر عليا من النفس الإنسانية وموقفها من الأشياء المحيطة به وهو يمثل محاولة الإنسان عقد العلاقات والصلات بين الأشياء الموجودة في الكون وتقرب الفارق الذهني بينها يتأمل وإعمال للعقل ([1]) وربما أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإن تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة التشبيه به أو بمعناه أما تزيينا أو تغيراً ([2]).

وما أجمل من قال في التشبيه: (أنه يدني القصي ويكشف الخفي ويكسب المعاني رفعة وشرفاً ويكسوها روعة وفخامة ويبرزها في معارض الحسن والبيان) ([3]).

ويرجع التشبيه عند البلاغيين على معنى المماثلة والمشاكلة في شيء ما وعلى هذا المفهوم تنوعت تعار يف أهل البلاغة...

فمن قائل: (إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كيفيتهما حقيقة و صفة).

---

[1] - بتصرف يسير: التحرير البياني : ١٢٢ للدكتور / محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه ١٤٠٠هـ.
[2] - المثل السائر لابن الأثير ، ١/ ٣٧٨ بتصرف.
[3] - المنهاج الواضح، ٧/٥ حامله عوفي مكتبة الجامعة الأزهرية بدون تاريخ.

أما ابن رشيق يقول فيه: (صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه) ([1]).

أما عمدة البلاغيين فقد كانت له نظر وتأمل وفقه وإيضاح فقد قسمه إلى قسمين كل له خصائصه إذا اجتمعا تحت مظلة التشبيه:

يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله: (واعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأمل.

والآخر: أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأول.

فمثال الأول: تشبيه شيء إذا استدار بالكرة والوجه أو تشبيه الخدود بالورد وأشقر بالليل فهذا لا يجري فيه التأويل ولا يفتقر إليه في تحصيله بل هو بين واضح.

ومثال الثاني: الذي يحصل بضرب من التأويل كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور ووجه الغرابة عند عبد القاهر في هذا النوع أنه لا يدرك إلا بالتأول والنظر لأن تشبيه الحجة بالشمس يدعوك للتأمل في كون الشمس ظاهرة بلا غيم ولا حجاب كما أن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه ([2]).

ومجمل القول فيه أنه عقد مماثلة بين شيئين لاشتراكهما في صفة أو أكثر وله أركان أربعة:

١-طرفي التشبيه وهما المشبه والمشبه به وعليهما يدور التشبيه وله أنواع فقد يكونان حسيين أو عقليين أو أحدهما حسي والآخر عقلي وعليه قوله تعالى: (طَلْعُها كأَنّه رُؤُوسُ الشّياطِين) ([3]).

---

[1] - العمدة ٤٨٨/ ابن رشيق القيرواني تحقيق د/ محمد قزقزان مكتبة، الكاتب العربي دمشق ١٩٩٤م.
[2] - أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني: ٩٠- ٩٤، بتصرف الطبعة الأولى ١٤١٢هـ دار المدني جدة.
[3] - سورة الصافات، ٦٥.

٢-وجه التشبيه: وهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلا ([1]) فمن روائع أقول المصطفى التي توضح المقصود به قوله عليه الصلاة والسلام: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فإن وجه الشبه الذي اجتمع فيه طرفي التشبيه هو الاهتداء مع الوضوح والبروز والدلالة.

٣- الأداة: وهي عند جمهور البلاغيين كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك وقد أجملت فيما يلي:

ا- الكاف: وهي الأصل لبساطتها والأصل أن يليها المشبه به ومثال ذلك قول الشاعر [2]:

أنْتَ كَالشّمْسِ في الضّياءِ وإنْ جَاوزتْ كَيْوانَ في عُلوِ المكانِ ([3])

إذا المشبه به الشمس.

ب- كأن: وهي تدل على التشبيه بإطلاق ومن أروع ما جاء به الشعراء في استعمال تلك الأداة قول الشاعر:

تُزْجِي أغنَّ كأنَّ إبْرَةَ روقةَ قلمٌ أصَابَ منَ الدّواةِ مِدادَها) ([4]).

ج- مثل: وكل ما يشتق من المماثلة وما يؤدي هذا المعنى كا المضاهاة ونحوها ويقرب مأخذ واستعمال هذه الأداة قول البحتري واصفا الصحابة:

ورَنَةٍ مِثْلَ زَئِيرِ الأسَدِ ولَمْعُ بَرقٍ كَسيوفِ الهندِ([5])

---

[1] - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدي، ١٥/٣ طبعة مكتبة الآداب ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

[2] هو ابو اعلاء المعري : أحمد بن سليمان ولد عام ٣٦٣راستوطن بغداد بعد رحلة عناء له عدة دووابن توفي عام ٤٤٩

[3] - البيت للمعري انظر ديوانه ص اللزوميات :٥٦ والمراد بالكيوان هو كوكب زحل.

[4] - البيت للشاعر محمد بن وهيب انظر بغية الإيضاح .

[5] - انظر ديوان البحتري . تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٢٥

د- يحاكي: وما كان في معناه وهو وسابقه متقاربان في المعنى وإن مرجع الاختلاف في دقة ورود في المثال أو الشاهد وتأمل قول الشاعر:

شراراً يُحَاكِي انْقضَاضَ النْجُومِ وبرقاً كإِيْمَاضِ بِيضٍ تُسلُ ([1])

فالشاعر يصف نارا للمجوس بأنه تحاكي أي تقارب انقضاض النجوم من كبد السماء فهو شبه تطاير الشرر من النار بسرعة كما إنقضاض النجوم والشهب بجامع السرعة ثم الانتهاء.

ويتفاوت التشبيه من حيث ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه فأقواها ما حذف منه الأداة ووجه الشبه جميعاً، لأن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه والتي بها استحق أن يشبه به فحذفها يوهم عدم تلك المزية.

أما وجه الشبه فيدل على انتفاء وجه آخر له وعند حذفه يوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به ألم ترى أنك إذا قلت فؤاد بحر توهم السامع أن جميع صفات البحر حاصلة في زيد من غير زيادة على الأسد.

ودون هذه المرتبة إذا اختفى أحدهما وشاكل قولهم: الخليفة كالسحاب وقولك: الخليفة كالسحاب في الجود والعطاء فإن كل مثال له قوة تميز بها عن الآخر.

ودون هذه المنزلة إذا اجتمع وجه الشبه والأداة وهذه المنزلة كانت الأولى لأن المشبه لما شبه بالمشبه به اكتسب صفة واحدة فحسب دون تمايز أحدهما عن الآخر في تلك الصفة، بل لا يتعدها إلى غيرها لوجود وجه الشبه الذي حصره المشبه والمشبه به دون أن يكون له قوة ومزية ينفرد بها عن المشبه به.

ولربما عد أهل البلاغة أرقاها وأبعدها ما كان بعيدا ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب والاشتياق إليه كان أجمل وموقفه من النفس الطف ([2]).

[1] - البيت للشاعر أبي الحسن السلامي ، انظر اليتيمة في محسن الشعر ٣٨٧/٢.
[2] - بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي، ٦٥/٣ الطبعة الخامسة ١٩٨٥م مكتبة الآداب.

٤- الغرض من التشبيه هو في الغالب يكون عائدا إلى المشبه وذلك أن المتكلم إنما يعمد إلى هذا الفن لبيان حال المشبه من جهة الحس والمعنوي أو بيان مقدار حاله في القوة والضعف أو في معرفة صدره التزيين والتقبيح وتأمل قول المتنبي[١] يصف الأسد:

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يحسب عليلاً[٢]

وصف رائع وصورة مذهلة أراد الشاعر أن يصف سيره برفق من فرط عجبه بنفسه ولكن معرفتنا بهذا الرفق معرفة إجمالية أراد الشاعر أن يبين لنا مقدارها فشبهه بطبيب يجس مريضاً.

وأروع منه قول المولى جل وعلا: (مَثَلُ الَّذْينَ كَفَروا بِربّهم أَعْمَالهَم كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بهِ الرّيحُ فْي يَومٍ عَاصَفٍ) [٣] فأرادت الآية الكريمة أن تقرر هذه الحال فمثلت لها بصورة نحسها ونراها وهي صورة الرماد تعصف به الرياح فالله قد شبه أعمال الكفار يوم القيامة وهي شيء معنوي بالرماد المتناثر وهو أمر حسي مشاهد.

وقد يعود الغرض منه على المشبه به كما في التشبيه المقلوب وهو قائم على المبالغة وفرض الإدعاء وليس الأصل وحينئذ يكون القصد جعل المشبه مشبها به.

ولو جعلنا قول الشاعر عند ما مدح الخليفة المأمون مثالاً على هذا النوع لاتضح المقصود يقول الشاعر:

وبَدا الصبَّاح ُكَأَّنَ غُرْتهُ وجْهُ الخَلْيَفةِ حْينَ يُمْتدحُ[٤]

---

[١] الشاعر الاسطورة / أحمد بن الحسين ولد ٣٠٣ كان شغوفا بالامارة اتصل بسيف الدولة وقتله غدرا عام :٣٥٤

[٢] - البيت للمتنبي انظر ديوناه ٢٣٩/٣.

[٣] - سورة إبراهيم، آية، ١٨.

[٤] - البيت لمحمد بن وهب ولم أعثر له على ديوان له وقد ذكرته العديد من كتب البلاغة أنه منسوب لشاعر محمد بن وهيب باتفاق انظر مثلا: بغية الإيضاح ٤/٣٤.

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء والصفاء.

وهذا المعنى كما ترى قد قلبه الشاعر إذا صار وجه الخليفة منه يستمد الضـــوء والضياء وأصبح ضوء الصباح والشمس متفرع منه.

وقيل أن انتقل إلى الشواهد على هذا الفن الرائع فن التشبيه أود أن أنبه إلى أنـــني ربما تجاهلت ما طرح وكان محل نقاش بين علماء البلاغة في ذكر نوعي التشـــبيه المفرد والتمثيلي وما الفروق التي بينهما والتي أدت إلى تقسيمه.

ولا يكاد يخرج محل الخلاف إلى كون التشبيه التمثيلي هو تشبيه ولكن صـــورته انتزعت من عدة صوره حتى تركب فأصبح كالشيء الواحد ([1]).

ويقرب فحوى ذلك الخلاف قول بشاربن برد[2]:

كَأَّن مُثار النّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنا وأسْيافنَا ليلٌ تَهَاوى كَواكِيُة ([3])

فالشاعر شبه ضرب السيوف عاليا ثم تنقدح منها الشرار ويتساقط من أعلى إلى أسفل تشبه هذه الصورة محمية: الكواكب والشهب إذا تساقطت في الليل.

[1] - قلت يشفي الغليل في ذلك ما سطره يراع الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه، أسرار البلاغة، دار ص ٩١ وما استوفى مبحثه الدكتور بدوي طبانة في كتابه علم البيان: ٧٥ ومابعده طبعة عام ١٩٨٥م مكتبة الانجلو.

[2] بشار بن برد من الموالي ولد :٩٦ بالعراق كان سليط اللسان وفي شعره فحش توفي عام : ١٦٨

[3] - البيت لبشا بن برد انظر ديوانه : ٤٣

ثانياً: تحليل الشواهد لفن التشبيه:

١-الحديث الثاني:

الشاهد من هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فالأداة كأن والمشبه من يعبد الله وينقطع إليه بالعبادة بإخلاص والمشبه به الرجل يعمل العامل وعليه الرقيب فيراعي اتقانه وجه الشبه الدقة والخضوع في العمل، وقال بعض أهل الحديث ([1]) قيل أصله كأنك تراه ويراك.

فمعنى الشاهد عبادة الله عبادة طلب وشوق وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاشا عليه لأنه يطلب هذا الذي يحبه فهو يعبده كأنه يراه قال الأمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: (وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها عليه الصلاة والسلام لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت فكأن المقصود اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان ([2]).

الثاني لدلالة الأول عليه ومن هذا المعنى قول الشاعر:

إذَا مَا خَلوْتَ الدّهْرَ يوماً فَلا تقلْ خَلوْتُ ولكنْ قلْ عليَّ رقيبُ ([3])

٢- الحديث السادس:

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة قال الإمام أبو داوود: (الإسلام يدور على أربعة أحاديث وهذا الحديث واحد منها وقد أجمع العلماء على عظيم موقعه وكثير فوائده ([4]).

---

[1] - انظر دليل الفالحين رياض الصالحين للصديق ابن علان الشافعي ٢٧٥/١ الطبعة العاشرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ ، دار الكتاب العربي بيروت.

[2] - المنهاج في شرح صحيح مسلم الحجاج : ٩٩، طبعة دار ابن حزم عام ١٤٢٣هـ.

[3] - هذا البيت للشاعر :

[4] - شرح الأربعين النووية للعلامة ابن دقيق : ٢٦ نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة بلا تاريخ نشر.

ومن العجيب إن في الإنسان حسا فطرياً بإدراك ما فيه الخير والشر مما يواجهه في حياته الخاصة والعامة ولكن الإنسان يجدر به أن يبتعد عن مواطن الريبة، والقلب منبع كل خير وتهذيبه أساس كل صلاح ولقد أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحذر المسلمين من الوقوع في الشبهات فأورد هذا التمثيل.

فقوله عليه الصلاة والسلام: (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه) تشبيه تمثيلي حيث شبه حال الذي لا يتحرز عن الشبهات فيقع في الحرام بحال الراعي الذي يرعى حول الحمى المحظور ولا يبتعد عنه فتغلبه غنمه فتقع فيما حماه الملك فيتعرض للعقوبة والهلاك.

ولو أعدنا النظر في هذا الحديث بصورة التشبيه لوجود الطرفين أعني المشبه والمشبه به قد صورا على النحو التالي:

١. إرادة المالك أو الإنسان تشبه حال الراعي.

٢. شهواته وهواه تشبه قطيع الأغنام.

٣. المشتبهات تشبه الأرض الملاحقة لأرض الحمى.

٤. الوقوع في الشبهات يشبه حال الراعي حين يرعى القطيع.

٥. سقوطه في الشبهات والحرام يشبه قطيع الغنم لما وقع فدخل الحمى.

٦. ومحارم الله وحماه تشبه حمى الملوك.

وهذا التقابل الجزئي الدقيق بين العناصر المتقابلة تعطي صورة ومشهداً تمثيلياً متكاملاً رائعاً ([1]).

ووجه الشبه: حصول العقاب لعدم الاحتراز، فكما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى أدى به الوقوع في الحمى فاستحق العقاب بسبب ذلك فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب.

[1] روائع من أقوال الرسول عبد الرحمن حسن الميداني: ٢٣٠ طبعة دار القلم بدمشق ١٤١٢هـ ١٩٩١م الطبعة الخامسة.

وهذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس حيث مثل عليه الصلاة والسلام الأمر المعنوي المدرك بالعقل بالأمر المشاهد المحسوس ([1]).

وهذه الحال المعنوية والصفة الذهنية مثلها لهم رسول الله بما هو معروف عندهم شائع بينهم فقد كان ملوك العرب يحمون مراعي خاصة لمواشيهم ويتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه فبعده أسلم له ولو اشتد حذره وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى بجواره حتى إذا تهادى وقع في المنهي عنه.

٣- الحديث الثالث والعشرون .....

العبادة أساس الحياة الإنسانية لها خلق الإنسان قال الحق سبحانه وتعالى: (وما خَلْقتُ الجنَ والإنْسَ إلّا ليعْبدون[2]) فكل عمل يقوم به العبد يستطيع أن يجعله عبادة سواء أكان العمل الذي يقوم به دينياً خالصاً أو دنيوياً صرفاً وذلك إذا أراد بعمله وجه الله تعالى ومرضاته ومن المشاهد أن لها الأثر الفعال في النفس الإنسانية تنير له الطريق وتجدد له الإيمان وتعزز اليقين.

جمل قصيرة تحمل في طياتها معاني كثيرة كل واحدة منها تأخذك إلى عالم من الصفاء والتجرد لله سبحانه وتعالى ومن الملاحظ في هذا الحديث تزاحم المعاني فيه مع أنها تدرك بلغة متناولة سهلة كما في الطريق البلاغي في إيصالها التشبيه وفي هذا الحديث الشريف ثلاث تشبيهات ونوعها واحد وهي مرتبة كما جاءت في (الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء) ونوع التشبيه هنا تشبيه بليغ ([3]).

---

[1] - بلاغة تطبيقية لمسائل البلاغة بيسوني عبد الفتاح الطبعة الأولى نشر مكتبة الحسين الإسلامية ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[2] سورة الذاريات أية : ٥٦

[3] - التشبيه البليغ هو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه ويكاد يكون بالإتفاق هذا ما اصطلح عليه علماء البلاغة وأقطابهم أمثال عبد القاهر الجرجاني والعلوي وغيرهما ولم أر مخالفاً لهم غير الخطيب القزويني إذ يقول: والبليغ من التشبيه ما كان وجه الشبه فيه بعيداً لغرابته ولم يحصل إلا بالطلب له واشترط له أمران ١- كونه كثير التفاصيل ٢- كونه لا يأتي في الذهن إلا بإعمال العقل... انظر الكلام مفصلاً: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، ٢٥٦ ومابعده.

ففي المثال الأول نرى أنه عليه الصلاة والسلام شبه الصلاة بالنور ووجه الشبه الذي يجمع بينهما الحسن والنور المتوقد فيها ففي حق المصلي نور يهتدي بها إلى الطريق المستقيم وهي نور يتلألأ في وجهه وفي كل أعماله.. وفي المثال الثاني نرى عليه الصلاة والسلام إذ يقول: (والصدقة برهان) فقد شبه الصدقة بالبرهان ووجه الشبه والله أعلى وأحكم: الصدق والوضوح فالمتصدق المقصد عند ما يبذل لله بلا رياء ولا سمعة ويعطف على ؟؟؟ فهو صادق مع ربه فيما فعل والبرهان دليل صادق وواضح لما يستدل به...

وفي المثال الثالث: (والصبر ضياء) حيث شبه الصبر بالضياء وهو النور القوي الساطع ووجه الشبه بينهما: الاهتداء في الطريق حيث أن الذي يصبر على ما يصيبه أو ما يعمله أو يتركه من معاصي وسيئات يكون الصبر دليله وهاديه والضياء لمن يسير في طريق مظلم تجتاحه المخاوف هو بأمس الحاجة إليه...

٤- الحديث الرابع والعشرون :

أورد الإمام النووي في أربعينه أربعة أحاديث قدسية فقط هذا أولها ويدور الحديث حول مفاهيم ومعان كبار كان في مطلعها الظلم وشناعة مصيره ثم طرحت كثير من المسلمات التي هي نعم وحقائق تفضل بها المولى علينا طرحت للتأييد على عظم شأنها و تحث في النفس مراجعة خفيفة لإيقاظ الضمائر نحو تلك المفاهيم ولعلنا إذا أبحرنا في خضم هذا الحديث سنجد أن الشاهد قوله: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر..) ([1]).

[1] - الحديث القدسي هو ما نقل إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم مع إسناده إياه إلى ربه تعالى وهناك فرق بينه وبين القرآن وذلك أن القرآن لفظه ومعناه من الله ومتعبد بتلاوته ويشترط فيه التواتر ، أما الحديث القدسي فلفظه من الرسول ومعناه من الله ولا يتعبد بتلاوته ولا يشترط في ثبوته التواتر، معجم مصلحات الحديث ص ٣٦ لحسن إسماعيل الجمل طبعة عام ١٤١٢هـ ١٩٩١هـ الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض، تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص ١٢٧ طبعة عام ١٤٠٧هـ ١٩٩٧م نشر مكتبة المعارف الرياض.

والتشبيه في هذا المثال تشبيه تمثيلي والصورة في المشبه والمشبه به مركب، فالمشبه صورة نقصان خزائن الله عند التفضل على الخلق والمشبه به صورة نقصان البحر إذا أخذ منه شيء بغمس المخيط فيه والأداة الكاف.

وعند التأمل تجد أن الصورة هنا صورة إبداعية تمثيلية رسمت للذهنالقاصر لفهم المراد صورة كأنه يحسه بل يشاهد ما أمام ناظريه وهذه المزية في التشبيه كونه يصور الحالة المتخيلة في الذهن يجعلها حاضرة ومشاهدة محسوسة.

ونقصان البحر بغمس المخيط من باب المبالغة في عدم النقص لأن كل واحد يعلم أنك لو أدخلت المخيط ثم أخرجته فإنه لا ينقص البحر ([1]).

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (وهذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا لأن ما عند الله لا يدخله النقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهده والبحر من أعظم المرئيات عياناً وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات وإذا أخذ في الذهن أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء كانت الصورة أقرب ([2]).

٥- الحديث الخامس والعشرون :

عند ما تعلق النفوس بطاعة الله والأنس به فإن النفوس ترى في تلك الأعمال والقربات لذة ورغبة لا يحدها شيء وإنما تطلب المزيد لألفها للطاعة وفي هذا الحديث نرى كيف يتسابق الصحابة في الأعمال سباق من لا يخسر الرهان ، ونفوس تواقة تناطح الثريا

وعند التأمل في هذا الحديث نجد أن الشاهد قوله (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم..).

---

[1] - شرح الأربعين النووية للعلامة ابن عثيمين: ٢٦٥، دار الثريا للنشر ، عنيزة طبعة ثالثة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.
[2] - بتصرف يسير المنهاج شرح صحيح مسلم الحجاج ، ٤٤، طبعة دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م بيروت.

فالمشبه صلاة أهل الأموال والمشبه به صلاة معدم المال أو الذي لا يستطيع الصدقة والمثال الثاني المشبه صيام أهل الأموال والثراء والمشبه به صيام من لا يستطيع الصدقة والأداة في كل الكاف.

والتشبيه عقد هنا لأن من لا يستطيع الصدقة يرى أن أهل الثراء يصلون مثلهم وغلبهم بالتصدق من أموالهم ففاقوهم فطلب من لا يستطيع التصدق من الرسول ما يفعلونه حتى يوازنهم في عملهم، ووجه الشبه التساوي بين صلاة وصيام أهل الثراء مع صلاة وصيام من لا يقدر على التصدق.

٦- الحديث الثامن والعشرون...

لقد كانت مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه تتسم بالاختصار، تراها قليلة في مبانيها كثيرة في معانيها توشي بالبلاغة وسحر البيان والروعة والرنة والعذوبة ولا غرو في ذلك فهو عليه الصلاة والسلام إمام الفصحاء بلا منازع وسيد البلغاء أما قال الله فيه: (وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا).

وعند التأمل في الحديث السابق نضع أيدينا على الشاهد وهو قوله: (كأنها موعظة مودع فأوصنا...).

فالمشبه موعظة الرسول والمشبه به موعظة الرجل المفارق لأهله والمودع لهم والأداة كأنها.ووجه الشبه في هذا المثال متعدد إذا الجامع بينهما التأثير عند إلقائها في مواضيعها المطروحة.

قال ابن رجب رحمه الله: إن المودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل ولذلك أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن نصلي صلاة مودع لأنه من استشعر أنه مودع بصلاته أتقنها على أكمل وجه ولربما وقع منه تعريض في تلك الخطبة ([1]).

٧- الحديث التاسع والعشرون

[1] - جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ابن رجب الحنبلي ١/١١٤ طبعة الرسالة ١٤٢٣هـ.

سعى صحابة في حياتهم لكل الأسباب الموصلة لرضى المولى سبحانه والمجافات من ناره وبذلوا ما وسعهم لذلك وفي هذا الحديث أحد الصحابة يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك الأمر العظيم.

والحديث يحمل بين سطوره مفاهيم كبيرة وإنها ليسيرة على من يسرها الله عليه تفتح لك أبواب الخير والمسارعة فيها وهذا الحديث فيه صوراً بيانية جميلة جداً فأولاً قوله عليه الصلاة والسلام: (والصوم جنة) حيث شبه من صام لله عز وجل قصداً وحباً ورغبة بالمجن أي الترس والأداة محذوفة ووجه الشبه المنع والاحتجاز في كل والمعنى أن من يصوم لله عز وجل فإن صيامه يمنعه من الوقوع في النار كما أن الترس يمنع عن الرجل الوقوع في الأذية ويعضد هذا المعنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: (الصوم جنة من النار يستجن بها العبد من القتال) ([1]).

فالجنة ما يستجن به العبد كالمجن الذي يقيه عند القتال من الضرب فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا، فإذا كان له جنة من المعاصي كان له في الآخرة جُنة من النار وإن لم يكن له جُنة في الدنيا من المعاصي لم يكن له جُنة في الآخرة من النار.

والشاهد الثاني قوله عليه الصلاة والسلام: (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار).

فالصدقة هنا مركبة تمثيلية إذ شبه إطفاء الصدقة للخطيئة والمعاصي والمشبه به إطفاء الماء النار والأداة الكاف ووجه الشبه الإزالة والدفع وعدم الظهور من جديد ومعلوم أن الماء يطفئ النار بلا تردد في الذهن فتأمل حال المعاصي عند الصدقة كيف مصيرها وبما أن الصورة المركبة الواردة هنا صورة مركبة كان من بديع الرسول عليه الصلاة والسلام أن شبه الأمر المعنوي الذي هو إطفاء الخطيئة

[1] - رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وانظر إلى استيفاء الكلام حول هذا المعنى جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب ، ١٣٩.

بالأمر الحسي المشاهد وهو إطفاء الماء للنار فأصبحت الصدقة حاضرة في الذهن ([1]).

والشاهد الثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: (رأس الأمر..) حيث شبه الإسلام بمنزلته العالية برأس الأمر والأداة محذوفة ووجه الشبه في كل الأهمية والمنزلة الكبرى.

والشاهد الرابع: قوله عليه الصلاة والسلام: (وعموده الصلاة) حيث شبه أهمية إقامة الصلاة وأنها عماد الدين الذي يعتمد عليه كعمود الخيمة فإنه إذا سقط العمود سقطت الخيمة.

والشاهد الخامس: قوله : (ذروة سنامه الجهاد) حيث شبه ذروة السنام الذي للبعير كونه أعلى شيء ودائم الارتفاع بالجهاد في سبيل الله ولأن الذروة أعلى شيء وبالجهاد يعلو الإسلام فجعله ذروة سنام الأمر.

والشواهد الثلاثة الأخيرة هي من التشبيه المقلوب ([2]) إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر يشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه وعدم بقائه دونه والصلاة كعمود خيمة وبناء بذهابه يسقط ذلك البناء لأنه معتمد عليه والجهاد بالذروة إشارة لعلو قدره وتفوقه على سائر الأعمال ([3]).

---

[1] - شرح الأربعين النووية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، ٣٢١.

[2] - التشبيه المقلوب هو الذي يجعل فيه المشبه الذي هو الناقص بالأصالة مشبها به ويجعل فيه المشبه به الذي هو الكامل بالأصالة مشبها ليتوهم السامع أن المشبه به أتم في الوجه من المشبه على خلاف العادة ...) انظر مبحث التشبيه المقلوب مفصلا: ١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ١/ ٣٠٩، طبعة مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، من كنوز السنة محمد علي الصابوني ٦٢ الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ ١٩٨١م والناشر مكتبة الغزالي دمشق، ٢- علم البيان دراسة تاريخية فنية الدكتور بدوي طبانة طبعة مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[3] - تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للحافظ محمد المباركفوري ٧/ ٣٠٥ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٨- الحديث الأربعون :

ما عرفت البشرية أحداً أرفق وأنصح لأمته من محمد عليه الصلاة والسلام يتعاهد أصحابه بالكلمة الطيبة والنصيحة المشفقة بثوب المحبة لأصحابه رضي الله عنهم .

وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر قد جمع زاد الرحيل.

والشاهد قوله: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) فالمشبه حال المسلم في الدنيا وأنه مصيره الترحال والمشبه به الرجل الغريب يعيش بين قوم لا يعرفونه فلا يستقر معهم ووجه الشبه التذكر في كل وعدم الراحة وتشبيه آخر في الشاهد وهو تشبيه حال المسلم في الدنيا وعدم الركون إليها بحال عابر السبيل فالأصل في سيره التنقل وعدم الاستقرار حتى يصل إلى مبتغاه والمسلم مبتغاه الجنة ووجه الشبه الجامع بينهما المفارقة وعدم البقاء.

المطلب الثاني

مباحث المجاز

أولا التعريف وأقسام المجاز:

قبل الخوض في تلك المباحث وإلقاء مزيد من الضوء عليها يحق علينا أن نعرض شيئا من كلام أرباب البلاغة والبيان حول الحقيقة والمجاز.

فإذا عبر عن المعنى باللفظ الذي وضع له فهذه هي الحقيقة وقد كثر كلام اللغويين والبلاغيين في تحديد معنى الحقيقة ولا يخرج مجمل كلامهم عن هذا المعنى الذي أسلفناه.

فالكسائي يعرفها بأنها الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كمن يقول في معرض كلامه: شاهدت الأسد في حديقة الحيوانات.

وأما العلوي صاحب الطراز فيقول: (ما أفاد معنى مصطلحا عليه في الموضع الذي وقع التخاطب فيه).

وشيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني يقول فيها: (كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وإن شئت قلت في مواضعه وقوعا لا يستند فيه إلى غيره) ([1]).

وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل كقولنا زيد أسد فإن زيدا إنسان والأسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية ([2]).

---

[1] - علم البيان: بدوي طبانة، ١٢٠.
[2] - المثال السائر لابن الأثير ، ١/ ١٠٦، تحقيق ؟؟؟.

ونرى الخطيب القزويني يتناول المجاز بشيء من التفصيل والإيضاح فيقول: (المجاز منه المفرد والمركب وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته فقولنا المستعملة أحتراز عما لم يستعمل لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة) ([1]).

ولو تأملنا الأمثلة التالية لاتضح المراد من كلام أهل البلاغة المتقدم ففي الآية: (**ويُرسْلُ الصَواعِقَ فَيُصْيبُ بِهَا منَ يَشاءُ**) ([2]).

وقال الشاعر:

أعَدَّ اللهُ للشّعراءِ مِني صَواِعقَ يَخضَعُونَ لها اِلرِقَابا ([3])

ففي الآية يتوعد الله المشركين المجادلين بأن يهلكهم بإرسال صواعق من السماء تنصب عليهم فتحرقهم.

وأما جرير فإنه يتوعد الشعراء بقصائد من هجائه تسلط على من وقف في وجهه أو نال منه.

وعند التأمل سنجد أن كلمة صواعق في الآية جاءت بمعناها الأصلي الذي وضعت له في أصل اللغة وهذه هي الحقيقة وأما كلمة صواعق عند الشاعر فقد استعملت في غير معناها الأصلي الذي وضعت له في أصل اللغة والمسوغ لاستخدامه لكلمة صواعق أن هنالك تشابها بين هجائه والصواعق فكلاهما مخيف ومفزع والدليل على أنها لم تكن صواعق حقيقية وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلى وهي الكلمة (مني) لأن الشاعر ليس لديه صواعق وإنما قصائد لاذعة وموجعة

وإنما قسم أهل البلاغة المجاز إلى قسمين:

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
[2] - سورة الرعد، آية: ١٣.
[3] - البيت للشاعر جرير الخطفي انظر ديوانه.

١- مجاز لغوي .

٢- مجاز عقلي.

فالمجاز اللغوي: كل كلمة مستعملة في غير معناها الأصلي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي فإذا كانت العلاقة هي المشابهة سمي استعارة وإذا كانت غير المشابهة سمي مجازا مرسلا.

وعرفوا الاستعارة فقالوا فيها: إن الاستعارة تشبه حذف أحد طرفيه فإما أن يحذف المشبه ويصرح بالمشبه به فتكون الاستعارة مكنية ([1]).

وأما المجاز المرسل فهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له غير التشبيه فلفظ (اليد) إذا استعملت بمعنى النعمة أو القدرة كقولك (إن له علي يداً) وتريد سلطانا أو كقولك أياديك بيضاء على الناس وتقصد النعمة والعطاء فالعلاقة بين الاستمالين غير المشابهة، والعلاقات في المجاز المرسل كثيرة نذكر منها:

١. الجزئية : وهي تسمية الشيء بجزء منه كقوله تعالى: (**فتِحْريرُ رَقَبةٍ**) ([2]) أي تحرير العبد المؤمن ولا يفهم منه الرقبة لوحدها.

٢. الكلية: وذلك أن يذكر الكل ويراد به الجزء كقوله تعالى: (**ويْجعَلون أصَابعَهْم فيْ آذانِهم**) ([3]) فإن المعنى المراد إصبع واحد فهو جزء وعبر عنه بالكل.

٣. السببية: بأن يطلق لفظ السبب والمراد ما تسبب منه نحو قول العرب: (رعينا الغيث) أي النبات والعشب الذي سببه الغيث .

---

[1] - علم البيان عبد القدوس أبو صالح و أحمد توفيق ٩٤ من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية.
[2] - سورة المائدة .
[3] - سورة البقرة: ١٨.

٤. المسببة: وهو عكس السالف أي أن يذكر لفظ المسبب ويريد السبب نحو: (أمطرت السماء نباتا) فذكر النبات وأريد الغيث ومنه قوله تعالى: (**ويَنْزلُ علْيكُمْ منَ الّسمَاءِ رِزْقاً**) ([1]) أي مطراً هو سبب الرزق .

٥. اعتبار ما كان: أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو: (**وآتوا اليَتَامَى أمَوالُهم**) ([2]) أي الذينك كانوا يتامى فإنهم لا يسمون اليتامى بعد البلوغ الذي تدفع في إليهم أموالهم.

٦. اعتبار ما يكون: أي إطلاق اسم الشيء على ما يئول إليه كقوله تعالى: (**ولا يَلِدِوا إلا فاجراً كفاراً**) ([3]) أي يعيشون ويكبرون فيجفرون ويكفرون.

٧. المحلية: وهي أن يذكر لفظ المحل ويراد الحال فيه نحو قوله تعالى: (**واسْألِ القْريةَ التَي كُنَّا فيها**) ([4]) فقد أطلق القرية وأراد سكانها.

٨. الحالية: وهي عكس السابقة فيطلق لفظ الحال ويراد به المحل لما فيها من الملازمة كقوله تعالى: (**وأمَا الّذين ابيْضتْ وجُوهُهُم ففِي رحْمةِ اللهِ هم فيها خَالِدُون**) ([5]) أي في جنته التي تحل فيه الرحمة والمغفرة.

وتكاد هذه العلاقات موضع اتفاق بين جمهور البلاغيين وهنالك بعض العلاقات لم يلق لها أهل البلاغة بالا نظرا لبعدها عن المجاز ووجود علاقة بين الفظين ([6]).

والنوع الثاني من المجاز فهو المجاز العقلي

وقد تعددت أراء البلاغيين حوله وتصنيفه وإلى نوع يصنف وخلاصة القول أنه من مباحث علم البيان.

---

[1] - سورة الروم.
[2] - سورة النساء.
[3] - سورة نوح ، ٢٣.
[4] - سورة يوسف، ٥٤.
[5] - سورة آل عمران، ١٥٤.
[6] - انظر: على سبيل المثال الطراز للعلوي ٧٠/١ وما بعدها.

يقول الإمام السكاكي: وهو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك: (أنبت الربيع البقل) ([1]).

ويقول عنه عبد القاهر الجرجاني: (كل جملة أخرجت الحكم المفاد به عن موضعه من العقل بضرب من التأول) ([2]).

وعرفه الخطيب بأنه: (إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هوله بتأول) ([3])

والعلة في كونه مجازا وجود الإسناد لا في اللغة ذاتها فلو تأملنا قولهم شفى الطبيب المريض لوجدنا إسناد الشفاء إلى الطبيب مجازا عقليا علاقته السببية لأن الطبيب سبب في الشفاء وحسب.

والمجاز العقلي صورة من صور التوسع في اللغة حيث يفتح أمام المتكلم ميدانا فسيحا للتفنن في القول وتلوين العبارة وإخضاع الكلام لما يريد ولا يعني كون علاقة المجاز العقلي غير المشابهة عدم جماله وبلاغته وأنه مجرد نقل للإسناد مما هوله إلى ما ليس له بل يعد من الأساليب الراقية في الأداء البلاغي فهو ضرب من التصوير البياني التي تستخدم في مفرادت اللغة استخداما يتجاوز فيه حدودها المعجمية فيتوسع الأفق فيها وإشارة الحس والخيال.

وللمجاز العقلي العديد من العلاقات نورد أهمها بإيجاز

١. المفعولية: فيما بني للفاعل وأسند إلى المفعول به الحقيقي كقوله تعالى: (**في عِيْشةٍ راضَيةٍ**) ([4]) أي مرضية فالإسناد مجازي وأصله رضى المؤمن عيشته فأقيمت عيشه مقام المؤمن في تعلق الفعل وهو الرضا.

---

[1] - مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ص، ١٨٥ مطبعة الحلبي ١٩٢٧م.
[2] - أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر ص ٣، دار المدني بجدة طبعة أولى ١٤١٢هـ.
[3] - الإيضاح للخطيب القزويني ص ٢٧٨.
[4] - سورة الغاشية: ٧.

٢. الفاعلية فيما بني للمفعول وأسند للفاعل الحقيقي مثل قوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ([1]) فقوله: (**حِجاباً مُسْتوراً**) يعني ساترا لأن الحجاب هو الذي يفعل الستر فقد أسند اسم المفعول إلى ضمير فاعله لعلاقة الفاعلية.

٣. المصدرية: فيما بني للفاعل وأسند إلى المصدر مجازا، كقول الشاعر:

سَيذْكُرُنِي قَوْمي إذَا جِدَّ جُدْهُم وفْي اللَيلةِ الظَلمَاءِ يُفتَقدُ البَدرُ([2])

فقد أسند الفعل الجد إلى مصدره وإنما الجد يحصل من القوم ويقومون به ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته المصدرية.

٤. الزمانية: فيما بني للفاعل وأسند للزمان لمشابهته الفاعل الحقيقي في ملابسة الفعل لكل منهما كقوله تعالى: (**واللَّيْلِ إذَا سجَى**) ([3]) ومعنى سجى سكن والليل لا يسكن وإنما يسكن حركات الناس فيه فأجرى سبحانه وتعالى صفة السكون عليه لما كان السكون واقعا فيه.

٥. المكانية: فيما بني للفاعل وأسند للمكان لمشابهته الفاعل الحقيقي كقولك: جرى النهر فإن مكان جري الماء والنهر لا يجري وإنما يجري ما فيه واروع منه وصف الباري عز وجل: (**وجَعلنْا الأنْهارَ تجْرِي منْ تَحتهْم**) ([4]) حيث أسند فعل الجريان إلى الأنهار والنهر اسم للوادي الذي يجري فيه الماء وإنما يجري الماء لا الوادي ولكن لما كان الوادي مكانا للجريان فقد أسند الفعل إليه لعلاقة المكانية.

٦. السببية: فيما بني للفاعل وأسند للسبب مجازا كقولك: (بنى الأمير المدينة) فإن الأمير لم يبن و لم يزاول عملية البناء وإنما بنى العمال بسبب أمره وقراره، وهذا النوع في القرآن كثير أكتفي بمثال واحد وهو قوله تعالى في

---

[1] - سورة الإسراء: ٤٥.
[2] - البيت لشاعر أبي نواس الحمداني ، انظر ديوانه ١٦٥ بتحقيق وشرح د/ خليل الدويهي، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.
[3] - الضحى ، آية ٢.
[4] - سورة الأنعام آية: ٦.

سياق الحديث عن فرعون الهالك وبني إسرائيل: (**يُذْبحُ أبنـــاَءهُم**) ([1]) فالفاعل ليس هو وإنما هو أمر به فقد أسند إلى غير فاعله في الحقيقة لأن فرعون لم يكن يذبح بنفسه بل كان يأمر بذلك جنوده وأتباعه وبما أنـــه هو السبب والأمر بالفعل فقد أسند فعل الذبح إليه لعلاقة السببية.

ثانياً: تحليل الشواهد لفن المجاز

١- الحديث الأول: يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ميزانا قويما للإنسان المؤمن بين فيه ما يجب أن يراعى في العمل المراد إذ الأصل في العمل أن يكـــون القصد صحيحا سليما فإذا صحت النية وسلمت الطوية كان العمل مقبولا وفي الحديث تقرير لذلك المعنى عن طريق المجاز فقوله: (**إلى دنيا**) مجاز مرسل العلاقة فيه غير المشابهة إذ تسمية الشيء بمحله إذ المقصود عرض الدنيا وما فيهـــا مـــن متاع ولذة والعلاقة هنا المحلية.

وهنالك شاهد آخر قوله: (**يصيبها**) حيث شبه تحصيل الدنيا بإصابة الهدف بالهم بجامع السرعة في الوصول إلى المقصود ففيه استعارة مكنية حيث حـــذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو الإصابة والشاهد الأخير قولـــه: (**أو امرأة ينكحها**) فيه مجاز مرسل والعلاقة فيه اعتبار ما يكون إذ المرأة لا تنكح مباشرة وإنما يسبقها خطوات معروفة مشهورة هم يحصل النكاح بين الـــزوجين فهو تعبير عما سيكون.

٢- الحديث الثاني: وفي هذا الحديث الشواهد التالية: ففـــي قولـــه: (**إذ طلع**) استعارة تبعية حيث شبه ظهور الرجل بطلوع الشمس إشعاراً بتعظيمـــه ورفعة قدره ثم اشتق من الطلوع الفعل طلع على سبيل الاستعارة التبعية.

وشاهد آخر قوله: (**تقيم الصلاة**) حيث شبه إقامة الصلاة بإقامة العـــود على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية إذ المقصود من هذه الصورة المداومـــة

[1] - سورة القصص، آية ٤.

عليها والقيام بكل ما لها من أركان وواجبات وشروط، والشاهد الأخير في هذا الحديث العصيب قول الرسول في معرض جوابه عن سؤال جبريل عليه السلام لعلامات الساعة إذا قال: (**يتطاولون في البنيان**) فهذا الشاهد فيه مجاز عقلي علاقته السببية إذ ليس هؤلاء الناس هم الذين يباشرون في الحقيقة التطاول وإنما هم سبب مباشر للتطاول إذ الذي يقوم به من تحت أيديهم من الخدم والعمال، وقيل فيه كناية ([1]).

٣- الحديث الثالث: قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا الدين بناء شامخ له أسس متينة قوية راسخة أسس بناؤها على التوحيد وما بعده من الأسس المئات الذي يقوم عليها ذلك البنيان المهاب.

ففي قوله: (**بني الإسلام على خمس**) استعارة مكنية ([2]) حيث شبه الإسلام ببناء له دعائم فذكر المشبه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو البناء.

٤- الحديث الرابع: في ذلك الحديث الذي فصل فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام مراحل الخلف التي يمر فيه الإنسان حتى يستقر أمره إلى نفخ الروح فيه، والشاهد في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**ويؤمر بكتب أربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد**) فالكلمات الأربع فيها مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون إذ المولود وهو في بطن أمه لا يدري هو شقي أو سعيد إلا بعد خروجه إلى الحياة الدنيا ومعتركها إذ المعتبر ما سيؤل إليه من الرزق والعمر والعمل والشقاوة أو السعادة.

٥- الحديث الخامس: يعد هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ذلك لأن من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت

[1] - الاستعارة المكنية: هي التي حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه.
[2] - سأعرض لهذا الخلاف في مبحث الكناية.

إليه ([1])، كما يعد من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام لأنه على وجازة كلماته صريح في رد كل المحدثات والمقترحات في الشريعة لأن أمر الإسلام كمل وانتهى والشاهد فيه قوله: (**فهو رد**) حيث أطلق المصدر وأراد منه اسم المفعول وهذا مجاز عقلي والعلاقة هنا وصف المفعول بالمصدر فهو رد أي مردود.

٦- الحديث السادس: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة والإسلام كما يقول الإمام النووي يدور على أربعة أحاديث هذا واحد منها ([2]) وعند تجولنا في بستان هذا الحديث وظله الوارف فهنالك استعارة في قوله: (**إن في الجسد مضغة**) حيث شبه القلب بالمضغة أي قطعة من اللحم التي تمضغ من حيث الصغر ثم استعير لفظها للقلب على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ([3])، وربما كان في مجاز مرسل حيث أطلق الجزء وأراد الكل وعلاقته الجزئية، وشاهد آخر قوله عليه الصلاة والسلام: (وقع في الشبهات) هنالك استعارة تبعية حيث شبه الشبهات حفرة يقع فيها الإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو الفعل وقع على سبيل الاستعارة التبعية المكنية ومثل هذا يقال في قوله (وقع في الحرام) حيث شبه الوقع في الحرام كالوقوع في حفرة.

٧- الحديث السابع: جاء في مطلع الحديث كلمة جامعة معناها إرادة جملة الخير تكون في النصيحة وهي من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة مستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح أنها كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة ([4]).

والشاهد في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**الدين النصيحة**) لأن معناها مأخوذ من النصح وهو الخياطة فشبه عمل الناصح فيما يراه من إصلاح

---

[1] - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٥/ ٣٠٢، طبعة دار الفكر بلا تاريخ طباعته وعليها تعليقات لسماحة الوالد العلامة عبد العزيز بن باز أنار الله ضريحه.
[2] - شرح الأربعين النووية للإمام النووي: ٢٦، الناشر مكتبة ابن تيمية بلا تاريخ.
[3] - من بلاغة السنة: ٥٦، للدكتور محمد أبو بكر مطبع أطلس ١٩٧٩م.
[4] - شرح الأربعين النووية للعلامة النووي رحمه الله : ٣٢.

حال المنصوح له وتوجيهه للخير بما يسد من يخيط الثوب من الخلل ثم استعيرت كلمة النصح لمعنى إصلاح حال الرجل ثم اشتق من النصح النصيحة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية وقيل أنه مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع فشبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط فتكون فيها إيضا استعارة تصريحية تبعية ([1]) ([2]).

٨- الحديث الثامن: يضع هذا الحديث الشريف حدا واضحا وخطا يرسم عصمة المال والدم للإنسان ومتى لا يكون له قيمة ويصح مهدور الدم والمال.

وعند التجول في رياضه النضرة تجد أن الشاهد في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**) فلفظ (**دماءهم**) فيه مجاز مرسل وعلاقته الجزئية إذ أطلق الجزء وهو يريد الكل إذ من وقع في الكفر والزندقة فإنه حلال الدم وليس الدم فقد وإنما جسمه كاملا وقد يراد أن الدم بمثابة الجسد كاملا إذ لا جسد بلا دم وهو قطب الرحا وهذا حسن ولكن المعول في هذا تطابق الشاهد مع العلاقة المجازية بمثل هذا القول ينطبق على الحديث الرابع عشر والشاهد فيه: (**لا يحل دم امرئ مسلم**) فيه مجاز علاقته الجزئية كما تقدم.

٩- الحديث السابع عشر: الإحسان ليس خصاصا بشيء معين من الحياة بل هو في جميع شؤون الحياة وهو مطلب شريف به تكون الأمور على أحسن حال ([3]) وشاهدنا في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**وليرح ذبيحته**) ففيها مجاز مرسل وعلاقته اعتبار ما يكون إذ البهيمة حتى تلك اللحظة لم يطلق عليها ذبيحة ولم يراق دمها ولكنها أطلق عليها مسمى الذبيحة باعتبار ما سيكون.

---

[1] - من بلاغة السنة للدكتور محمد أبو بكر ص : ٦٥.

[2] - في معنى النصح على ما ورد يراجع القاموس المحيط ٣١٢ وما بعدها للفيروز آبادي طبعة دار البيان الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

[3] - شرح الأربعين النووية للعلامة محمد بن عثيمين ص : ٢٠٩.

١٠- الحديث الثامن عشر: عبر بإتباع السيئة الحسنة بالمحو والغفران والصفح والمتأمل للفعل (**تمحو**) هنا يجد أنه استعير للغفران للدلالة على أن فعل الحسنات والإكثار من الطاعات ومجانبة السيئات لا تترك للذنب والسيئة أثرا وهذا تعبير بليغ في الغفران وأبلغ في أي تعبير مباشر بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات فقوله عليه الصلاة والسلام: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) استعارة مكنية حيث شبهت الحسنة بإنسان له خاصية المحو والإزالة ثم حذف المشبه به الذي هو الإنسان وبقي شيء من لوازمه ألا وهو المحو والإزالة على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد لامست اختلافا عند شراح الحديث في تحقيق معنى المحو هل هو حقيقة أم مجاز يقول ابن حجر العسقلاني: ولعل المراد بالمحو والمغفرة أن الحسنات تكون سببا في ترك السيئات لا أنها تكفر شيئا حقيقة بل المعمول عليه صدق التوبة والافتقار إلى الله سبحانه ([1])، وممن قال بضده بل هو جار مجرى المجاز العلامة المباركفوري شرح سنن الترمذي إذ يقول: والإسناد هنا مجازي والمراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة ([2])، ومما لا يخفى أن التعبير هنا صالح أن يكون حقيقة في محو السيئات إذا علمنا ما يحصل للعبد من ارتكاب للخطيئة أو تقرب لله بالحسنة وكناية ذلك عن طريق الملكين وإذا فعل الحسنة محا الله به عنه السيئة ولكن الأظهر عندي والله أعلم أن الاستعمال المجازي أقرب وألطف ولأن محو السيئات لنا كبشر أمر معنوي لا نعرف تفاصيله إلا بالصورة المجازية أما عند الرحيم الرحمن فذلك أمر مسلم به لا جدال فيه ([3]).

١١- الحديث التاسع عشر: في مقام الأب الرحيم والأخ الناصح والحكيم المجرب يلفت الرسول عليه الصلاة والسلام ذهن حبر الأمة وترجمان

---

[1] - فتح الباري شرح صحيح البخاري دار الفكر: ٨/ ٣٥٧.
[2] - تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، ٦/ ١٠٤، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
[3] - ومما وقفت عليه في هذا المعنى كلام العلامة ابن عثيمين حول هذا الحديث وحول الآية (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) سورة هود : ١١٤، في شرحه على الأربعين النووية صفحه: ٢٢٠.

القرآن إلى معان مختصرة ذات دلالة عظيمة وجاء في هذا الحديث سبلاً من الفنون البلاغية نعرض ما يخصنا في هذا الباب:

فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: (**إني أعلمك كلمات**) أي جمل ومعاني كبيرة ومفيدة فهنا أطلق الجزء التي هي الكلمات وهو يريد الكل التي هي المعاني والنصائح الثمينة التي وردت في الحديث فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية، والشاهد الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: (**احفظ الله**) والمراد حفظ شرائع الله وأحكام دينه وعلى هذا فيه مجاز حيث شبهت الشرائع والأحكام بالشيء الذي يصان ويحفظ من الضياع والأذى ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحفظ على سبيل الاستعارة المكنية ([1]) والشاهد الثالث للمجاز في قوله: (**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**) والمراد إذا أردت السؤال والاستعانة إذ الإرادة هي السبب فهي كما هو الحال في قوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) والمعنى إذا أردت أن تقرأ فاستعذ فالاستعاذة مسببة عن الإرادة و واقعة بعدها لأن المؤمن إذا أراد أن يقرأ يستعيذ بالله أولا ثم يقرأ فالإرادة تسبق الاستعاذة والاستعاذة تسبق القراءة، فيلاحظ أنه أطلق المسبب وأريد السبب على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السببية.

١٢- الحديث الثالث والعشرون: تقدم بنا الحديث عن بعض جوانب البلاغة في معرض كلامنا عن التشبيه وكما هو الحال عند الواقف عند أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام فإنه يتملك العجب من بلاغة ألفاظه وتصويرها في أجمل حلية وهنا لنا وقفات مع ألفاظ هذا الحديث وسكت بشواهد المجاز فأول ما يتوقفنا قوله: (**الطهور شطر الإيمان**) والشطر كما هو معروف في اللغة الجزء أو النصف وفيه مجاز لغوي فهنا شبه الإيمان بشيء محسوس وهذا استعارة مكنية حيث شبه الإيمان المعنوي بشيء حسي يمكن أن يشطر ويقسم وهذا التصوير ساهم في إيضاح الصورة المعنوية.

[1] - بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ص، ١٣٤، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

وشاهد آخر (**والحمد لله تملأ الميزان**) الصورة الفنية هنا استعارة مكنية حيث شبه الحمد لله بجسم له حجم وحيز وحذف المشبه به وأبقى له شيء من لوازمه الذي هو تملأ على سبيل الاستعارة المكنية وهوذا التشبيه بصورته الفنية ينطبق على الشاهد الآخر وهو: (**وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملآ ما بين السماء والأرض**) ويقلا فيه ما قيل في الشاهد الذي قبله.

وقد يرد هنا إشكال في إجراء الاستعارة من حيث وزن العمل وهو ليس بجسم وكيف الحمد تملأ وهي ليست بجسم قال فضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: والجواب عن كل هذا سهل وهو أن الله عز وجل قادر على أن يجعل الأعمال أجساما والمعاني أجساما فإنه على كل شيء قدير أليس قد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن الموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ثم يذبح بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ([1]).

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم لهذا الحديث: (فمعناه عظم أجرها وأنه يملأ الميزان وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها([2]).

وشاهد آخر قوله: (**كل الناس يغدو**) حيث شبه الإنسان في هذه الدنيا بالتاجر الذي يبكر لتجارته عند الصباح وذلك لأن أعمال الإنسان تبدأ من حين يستيقظ فإما أن يقوم بالطاعة أو المعصية وحذف المشبه به وذكر ما يدل عليه وهو الغدو على سبيل الاستعارة المكنية.

وشاهدنا الآخر ومن نفس الحديث قوله: (**فبائع نفسه**) حيث شبه الإنسان في هذه الدنيا بالتاجر الذي يبكر لتجارته عند الصباح وحذف المشبه وذكر ما يدل عليه وهو الغدو على سبيل الاستعارة المكنية ([3]).

---

[1] - الحديث بتمامه في البخاري كتاب التفسير، سورة مريم برقم (٤٧٣٠) وعند مسلم كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٣٩) .

[2] - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج كتاب الطهارة باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

[3] - قطوف من رياض السنة: ٧٥.

والشاهد الآخر من صلب الحديث السابق قوله: (**فبائع نفسه**) حيث شبه الإنسان بالمشتري لنفسه من الله تعالى بما يقوم به من الأعمال في هذه الحياة الدنيا وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو البيع والشراء على سبيل الاستعارة المكنية ([1]).

وتكاد تنحصر الشواهد البلاغية في هذا الحديث وتدور حول موضوع الاستعارة والتشبيه فهنالك شاهد آخر يلي الشاهد السابق وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (**فمعتقها**) حيث شبه الرجل المتبتل لله بالطاعة والمنقطع له بالاستجابة لأوامره بمن قدم المال لأسياده يطلب العتق من الرق فهذا حرر نفسه من الرق وذلك نجى بها من عذاب الله وحذف المشبه به وأقام ما يدل عليه ويرمز له وهو العتق على سبيل الاستعارة المكنية ([2]).

وشاهدنا الأخير في هذه اللوحة الفنية الزاخرة بالصور البلاغية قوله عليه الصلاة والسلام: (**أو موبقها**) فقد شبه العاصي الذي اقترف المنكرات وترك الطاعات وأقام على السيئات بمن يهلك نفسه ويزهقها وحذف المشبه به وذكر ما يدل عليه وهو اللفظ موبقها أو دلالة الفعل يوبق ([3]).

١٣- الحديث السابع والعشرون: جاء سياق الحديث العام في جملة جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام كما أسلفنا عن هذا الحديث في مقدمة البحث وتعبير الرسول بكلمة واحدة عن معان كثيرة شاملة وشاهدنا في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (**استفت قلبك**) حيث شبه القلب برجل وعالم في الدين يعرف أحكامه وتفاصيله وحذف المشبه به ورمز أليه بشيء من لوازمه وهو الاستفتاء على سبيل الاستعارة المكنية والتجسيد الذي صوره الرسول للقلب يعطي دلالة واضحة لتقريب المعنى في ذهن السائل الذي جاء إلى الرسول مستفتيا.

---

[1] - المرجع السابق: ٧٥.
[2] - قطوف من رياض السنة: ٧٥.
[3] - قطوف من رياض السنة: ٧٦.

١٤- الحديث الثامن والعشرون: يأتي أسلوب الوعظ النبوي موجزاً يحمل العبارة القليل ذات المعاني الجليلة والشاهد في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**عضوا عليها بالنواجذ**) فهذا الشاهد فيه استعارة مكنية حيث شبه شدة التمسك بالدين على نهج الأنبياء والصالحين وعدم التفريط فيه والتعلم به بشيء يؤكل ويعض على سبيل الاستعارة المكنية والاستعارة هنا تمثيلية ([1]).

وفي هذا التعبير صورة فنية جميلة فالشيء الذي يحرص المرء عليه يعضه بأسنانه والمبالغة جاءت في النص أن العض على السنة ينبغي أن يكون بالنواجذ ([2]).

وقيل أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام عضوا عليها بالنواجذ ليس باستعارة وإنما هو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد في لزومها ([3]) والأول أظهر والله أعلم.

١٥- الحديث التاسع والعشرون: همم الصحابة رضي الله عنهم عالية وسؤالهم للرسول عليه الصلاة والسلام له دلاله ومعانيه والشاهد البلاغي في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**وهل يكب الناس في الناس على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**) شبه ما يتكلم به الإنسان ويتفوه به بالزرع المحصود بالمنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والردئ وكذلك الحال في اللسان يتكلم بالحسن والقبيح وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ([4]).

---

[1] - الاستعارة التمثيلية هي أن ركنا الاستعارة منتزعين من صورتين أو أكثر ويجري مجراهما وجه الشبه في تعدد الصورة، انظر المبحث مفصلاً: ١- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي ج/ ٣٠/٣، و ٢- علم البيان للدكتور طبانة: ١٩٥.

[2] - التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ: ٤١٩.

[3] - ناصر القول الثاني شارح رياض الصالحين انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٢٠٤/٢، الناشر دار الكتاب العربي بيروت طبعة عام ١٤٠٥هـ، وآزر هذا الرأي العلامة محمد بن العثيمين في شرحه عل الأربعين النووية انظر شرح الأربعين النووية لمحمد بن صالح العثيمين رحمه الله: ٣٠٣.

[4] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/ ٣٠٦، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٠هـ.

١٦- الحديث السادس والثلاثون: هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب منهج حياة ودليل لمن يبحث عن الخير.

وعند التأمل في ألفاظه الأخاذة يستوقفنا بعض الشواهد البيانية، فالشاهد الأول قوله عليه الصلاة والسلام: (**يلتمس في علما**) أي يطلب العلم حيث شبه طلب العلم وبذل النفس في إدراكه وتحصيله بشيء يلتمس ويتحسس لقصد العناية لتحصيله وطلبه وحذف المشبه به وأبقى ما يدل عليه وهو الفعل يلتمس على سبيل الاستعارة المكنية.

والشاهد الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**) والاستعارة وقعت في لفظ (**من نفس**) إذ المعنى أن النفس يدل على خروج النسيم والهواء كيف كان وتنفيس الكرب أن يخفف عن المكروب كربته ما يشعر النفس لتخفيف الكرب وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ولأن في كل منهما روح وراحة للإنسان ([1]).

والوقفة الأخيرة مع هذا الحديث في قوله عليه الصلاة والسلام: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) حيث شبه العمل والنسب بإنسان له خاصية الإسراع والمشي وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقيل أن هذا كناية على أن التقرب إلى الله تعالى لا يحصل بالنسب وعزة الآباء وشرفهم ومكانتهم في الدنيا وإنما يحصل بالعمل الصالح فمن لم يتقرب بذلك لا يتقرب إليه بعلو النسب وعلو المترلة ([2])

[1] - قطوف من رياض السنة: ١٠٨.
[2] - المرجع السابق: ١١٢.

المطلب الثالث: فن الكناية

أولا: التعريف:

أسلوب الكناية في البلاغة العربية من أهم الأسباب التي يلجأ إليها الأدباء ليحققوا الغايات في الكلام من محاولة إخفاء المعنى الصريح ذلك الإخفاء الـــذي يجنبهم كثيرا مما يخشون التصريح به أو مما لا يرضونه في عباراتهم من الفحـــش والابتذال وهو في الوقت نفسه يثير الشوق في نفس القارئ والسامع فيجد كل منهما المتعة الفنية التي يصل إليها بعد البحث والتأمل والإدراك فيظل أثرها باقيا في نفسه ويبقى الاستماع بها طويلا وقد بلغت عناية علماء الأدب والبلاغة بفن الكناية حدا كبيرا واهتماما بالغاً ولا يكاد يخلو منها كتـــب البلاغـــيين إمـــا استشهاداً أو نقداً أو عرضا ويعد أبو عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) من أوائل من طرح النقاش فيه وأثار فيه الحديث وهو يرى أن الكناية (كل ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة) ([1]) فـــاللفظ الصـــريح الموضوع للمعنى مستور او مكنى عنه أو هو مختف وراء هذا اللفظ المذكور وهذا المعنى البلاغي مأخوذ من الأصل اللغوي فإن الكناية في أصل الوضع مصدر كنية بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به.

وعند النظر والتأمل في دقة مأخذ الكناية تجدها في غاية الروعة وحســـن الأداء ففي قول الله عز وجل: (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكمْ**) ([2]) وكذلك قول الله عز وجل: (**أَوْ لامَسْتمْ النِساءَ**) ([3]) كناية عن الجمـــاع وفي اللمس كذلك نفس المعنى فيجوز حملها على الحقيقة والمجاز فعلى الحقيقة فالمعنى ظاهر وعلى المجاز يكون هو المعنى الذي عليه الآية والعجيب صحة حمل اللفـــظ على هذا وذلك ولا تختل المعنى.

---

[1] - علم البيان لبدوي طبانة: ٢٣١.
[2] - سورة البقرة آية رقم: ( ).
[3] - سورة المائدة آية رقم: ( ).

وقال شيخ البلاغيين في تعريف الكناية: (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تالية ورفه في الوجود فيوحي به إليه ويجعله دليلا عليه) ([1]).

وتأمل بديع قول الله عز وجل في المسيح عليه الصلاة والسلام وأمه عليها السلام: (كانا يأكلان الطعام) فهذا كناية عن قضاء الحاجة وأكل الطعام من لوازمه قضاء الحاجة ولكنه عبر عن المعنى بلفظ يحتمل الحقيقة والمجاز والثاني هو المقصود ومن التعاريف ما يذكره الإمام الخطيب القزويني في الكناية إذ يقول: (هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ) ([2]).

أما صاحب الطراز العلوي فذكر تعريفا للكناية نقله عن ابن سراج المالكي يقول فيه: (هي ترك التصريح بالشيء إلى مساوية في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم) ([3])، وكما ترى أن تعاريف البلاغيين للكناية تدور حول معنى واحد متقارب في الفهم والتعبير عن دلالة الكناية.

وقد وقع خلاف بين أئمة البلاغة في عدِّ التعريض من الكناية أو لا والسكاكي وابن المعتز وطائفة من البلاغيين يرون التعريض فرعا من الكناية والإمام عبد القاهر والزمخشري وجمهور البلاغيين يرون فرقا بين الكناية والتعريض ([4]) ولو عرفنا التعريض لقلنا: (أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره) كما يقول لمن يريد عطاءً مررت عليك لأجل السلام عليك ورؤيتك وهو يقصد كما ترى معنى آخر والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرض القول ([5]).

---

[1] - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ٥٢، طبعة دار المعارف ، الرياض: ١٣٩٨هـ.
[2] - الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٣٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٥هـ.
[3] - الطراز: ٣٦٧/١.
[4] - الكلام مفصلا في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير شرح وتحقيق د/ بدوي طبانة نشر مكتبة الأنجلو ١٩٧٦م.
[5] - أطال الكلام في هذا المحور العلوي والكلام بتمامه في الطراز ١/ ٣٧١ ومابعدها.

وهنالك من يعد الكناية على أنها مجاز والفرق واضح وبين إذ أن الكناية فيها نوع عدول عن الأصل والحقيقة فإنها إذا وردت في الكلام تجادبها جانبا الحقيقة والمجاز والمعنى أن الكتاية وإن كان الغالب أن المتكلم يريد فيها لازم اللفظ فإنه يصح حمل اللفظ على المعنى الأصلى ويصح المعنى ولا يختل كما صح عند حملنا إياه على المعنى الكنائي وكما يجوز حمل الكناية على كلا المعنيين فإن المجاز لا يجوز حمل لفظه على معنى الحقيقة بل في مجرى المجاز وحسب واللفظ فيها صريح بالمجاز.

وقد قسم علماء البلاغة الكناية إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة فيقسمها العلماء باعتبار القرب أو البعد والذي سوف أسير عليه التقسيم باعتبار المكنى عنه وهو محل الاهتمام والمدارسة لكثير من البلاغيين ([1]) وحتى لا تفقد الكناية رونقها وبهاءها أثرت المجانبة في إيراد تلك التقعيدات الجامدة وحتى نلحق في مسماة الكناية البديع إليكم الأنواع على جهة الإجمال:

النوع الأول: كناية التمثيل وهي أن ترد الكناية بمعان مماثلة ومشابهة للمكنى عنه ويطلقها عليه وفيه يصور المتكلم المعقول بصورة محسوسة وقبل أن توضع ألفاظ تدل على معنى آخر وتكو تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه ([2]) كقولنا: فلان نقي الثوب أي مترّه عن العيوب فقد يراد المعنى الأول ولكنه غير مراد ومثله بلا أبدع منه قوله سبحانه وتعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ([3]) وذلك لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه.

ومثال آخر على الكناية بالتمثيل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**) ([4]) وبجانب البلاغة في هذا الحديث وإيجاز عباراته وكثير دلالاته فحمل معناه على الظاهر وارد إذ المؤمن لا يدخل يده في جحر سبق أن آذاه وهذا هو المعنى الغريب وهو معنى غير مراد.

---

[1] - للوقوف على تلك التقسيمات مفصلا ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٣٣٠.
[2] - علم البيان بدوي طبانة: ٢٤٨.
[3] - الآية رقم: ( ) من سورة الحجرات.
[4] - الحديث متفق عليه البخاري في ١٠/ ٥٤٦، ومسلم ١٨/ ٣٢٤.

والمعنى البعيد والخفي أو ما قلنا أنه لازم المعنى فهو أن المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل بل هو فطن أريب لا يخدع ولا يراد من اللفظ الخفي الجحر ولا يراد العدد ولا يراد اللدغ بل أبعد قصدا من ذلك.

النوع الثاني: كناية الصفة:

وهي التي يكون فيها اللفظ الكنى به دالا على صفة مقصورة في اللفظ المكنى به ومن شواهدها: قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا آخذ بحجزكم عن النار) ([1]) فالحجز معقد الإزار وهو المعنى القريب الظاهر وهو غير مراد والمعنى البعيد المراد المنع والصد فهو كناية عن صفة.

ومن الشواهد على هذا النوع أيضا ما روى عنه عمر بن ذر عند ما سأل كيف برُّ ابنك بك فقال: (**ما مشيت بنهار قط إلا مشى خلفي ولا بليل إلا مشى أمامي**) ([2]) المعنى القريب الظاهر المشي حقيقة على ما ذكر والده وهو المعنى الذي لا يراد والمعنى الخفي المراد هو قصده الاحترام أثناء سيره نهارا والحرص والشجاعة ليلا فهي كناية عن حقه.

النوع الثالث: كناية عن موصوف: وهي التي يكون اللفظ المكنى به دالا على موصوف معين ويشترط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه حتى يحصل الانتقال منه إليه ومن شواهده قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمسن يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده**) ([3]).

---

[1] - الحديث رواه .....

[2] - عمر بن ذر الهمذاني الكوفي كان رأسا في الإرجاء توفي سنة ١٥٣هـ انظر سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٣٨٥، الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

[3] - متفق عليه البخاري ١/ ٣١٦ ومسلم ١٧٠/٣،

ففي هذا الحديث المعنى القريب الظاهر وغير المراد النهي عن إدخال اليد في الإناء بعد النوم حتى يغسلها ثلاثا وعلق السبب على المعنى البعيد الخفي وهو الكناية ثم قال لا يدري أين باتت يده كناية عن المخرجين (القبل والدبر) ولا يستباح ذكر هذا الموصوف كنى عليه الصلاة والسلام تجنبا للفحش واختصارا للقول.

ومن شواهدها أيضا: قول الله عز وجل: (أو مَنْ يُنشأُ في الحِلْيةِ وهْو في الخِصَامِ غيُر مُبيْنٍ) ([1]) فالمعنى للآية أن من تربى في الزينة وينشأ ويكبر عليها غير واضح وقوي الحجة والمعنى البعيد المقصود هو كناية عن المرأة فهي كناية عن موصوف ومن أجمل ما قيل:

إنَّ أَبَا بَكْرٍ هوَ الغَيْثُ إذْ لَمْ يِشْمَلْ الأَرَضَ سَحابٌ ومَاءُ ([2])

إذ الشاهد قوله لم يشمل الأرض سحاب وماء وهو معنى قريب لا يأخذ التفكير بل معنى لا يحتاج إلى شحذ العقل والمعنى المراد أنه يريد القحط والجدب فهو كناية عن موصوف.

النوع الرابع: كناية عن نسبة ويقصد به إثبات حقه لموصوف معين أو نفيها عنه بطريق غير مباشر وإنما بشيء يتعلق به ومن شواهدها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**) ([3]) أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يؤكد للمسلم أن حفظه للسانه وفرجه سببان مهمان للدخول في الجنة وهو بذلك عمد إلى التلميح بدلا عن التصريح والمعنى البليغ هنا ترك كل ما يخرج من اللسان من الكذب والغيبة والنميمة والكلام الفاحش كنى عنه بلحييه وما قد يقع في من الآثام والفجور كنى عنه بفخذيه والملاحظ هنا أنه أثبت الصفة لما هو له مرتين ونسبها إلى ما يتصل به ويرتبط به ولما فيه من العدول عما يستقبح ذكره صريحا.

---

[1] - سورة الزخرف: ١٨.
[2] - البيت للشاعر خفاف بن ندية ابن عم الخنساء كان فارسا مقداما توفي أيام عمر بن الخطاب.
[3] - الحديث رواه البخاري في كتاب الرقائق ١١/ ٣١٤ رقم ٦٤٧٤.

ثانياً تحليل الشواهد

الكناية واد من أودية البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفى قلبه فهو لون جميل يلجأ إليه الأدباء للتعبير عما يدور في نفوسهم من المعاني وما يتحرك في صدورهم من الخواطر ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع وله أثر كبير في تحسين الأسلوب وتزيين الفكرة وقد جاء في خضم تلك الأحاديث لوحات فنية رائعة لفن الكناية استوقفتنا كثير منها:

١- الحديث الأول: النية عليها مدار الأعمال في القبول وعدمه وهي ذي شأن عظيم تغافل عنها الناس وفي هذا الحديث شاهدنا البلاغي لفن الكناية قوله: (**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**) أي قصدا ونية متجردا فيها لله سبحانه وتعالى فهو كناية عن الإخلاص وكناية عن صفة والشاهد الآخر قوله: (**فهجرته إلى الله ورسوله**) أي ثوابا وخير ومترلة فالمعنى الذي يقصد وهو المعنى البعيد: شرف الهجرة وكونها بمكانة عند الله تعالى وكونها مرضية النتائج والمعنى القريب غير المقصود أن يهاجر المرء إلى بلاد فيه شعائر الله والالتحاف بركب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ([1]).

والشاهد الأخير في في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**فهجرته إلى ما هاجر إليه**) والملاحظ أنه لم يحدد ما له الهجرة بل أتى بهذا اللفظ المكنى عنه ويقصد به حقيقة الهجرة ولم يصرح باللفظ كما قال (**فهجرته إلى الله ورسوله**) في أول الحديث ولعل السر في ذلك تحقير لشأن المعنى المكنى عنه والمعنى البعيد الكنائي الذي يطلبه العقل: الدنيا والمرأة فهي كناية عن موصوف.

٢- الحديث الثاني: في حديث جبريل الطويل والذي قدم فيه جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة رجل أعرابي جاءت بعض شواهد الكناية في ثنايا الحديث نتناول منها:

[1] - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للعلامة محمد بن علان الصديقي ١/ ٤٢ دار الكتاب العربي بيروت طبعة ١٤٠٥هـ.

ما جاء في الحديث: (**إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثيـــاب**) فـــالمعنى الظاهر من هذا السياق رجل يرتدي ثيابا بياضا ناصعا والمعنى الخفي المقصـــود والذي تطلبه الأفهام أنه كناية عن التجمل وحسن المنظر وجمال الطلعـــة فهـــو كناية عن نسبة . والشاهد الثاني قوله: (**شديد سواد الشعر**) إذ المعنى الظـــاهر والذي لا يحتاج لطلب وتأمل أنه ذو شعر أسود فحسب ولكن اللفظ المكنى عنه وهو ما يقصد وهو المعنى غير الظاهر والمقصود أنه كناية عن كون الرجل شاب لم يطرق رأسه المشيب وهي كناية عن نسبة أيضا.

وهنالك شاهد آخر ألا وهو قوله في آخر الحديث: (**أن تلد الأمة ربتـــها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان**) ومعـــنى هـــذه العلامات هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلـــة سيدها ولأن مال الإنسان صائر لولده وقيل بل تلد الإماء الملوك فتكون أمه من عداد الرعية ([1])، والعالة هم الفقراء والرعاء أهل البادية والمعنى أن أهل الباديـــة وأشباههم من أهل الحاجة والمسكنة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتبـــاهون في البنيان ويتفاضلون في ارتفاعه وكثرته وتزيينه وهذه كلها معان ظاهرة ولكـــن المعنى والقصد الكنائي وما يحتاج لإعمال التفكير أن المقصود فساد أحوال الناس وتبدل الموازين والرخاء في العيش والذي به تفسد علاقة الناس بخالقهم والتطلع لما عنده بل يكون ذلك صارفا لهم عن شكره وطاعته ونوع الكناية هنا كنايـــة عن موصوف.

٣- الحديث الرابع: في هذا الحديث الذي جاءت فيه ألفاظ موصية لأخذ الحذر والحيطة من سوء الخاتمة والدعاء والإلحاح لحسن الختام أيضا يأتي شاهدنا البلاغي في هذا الحديث : (**إن أحدكم يعلم بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**) ومحـــل

[1] - ذكر الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ما يزيد على خمس معان ليس هذا محل بسطها انظر شرح النووي على مسلم: ٩٩ طبعة ابن حزم.

الشاهد قوله: (**بينه وبينها إلا ذراع**) واللفظ المكنى به يشير إلى ساقة معروفة ومعلومة أيضا وهو معنى ظاهر من خلال السياق والمعنى المكنى عنه والخفي وهو المراد تصوير القرب من الوقوع وقرب الأجل وليس المعنى حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع في مرتبة العمل لأن عمله الذي عمله ليس عملا صالحا كما جاء في الحديث: (**إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**) ([1]) وقد جاء إشكال في فهم هذا الحديث: كيف يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وأجيب عليه بأنه عمل بعلم أهل الجنة فيما يبدو للناس و لم يتقدم و لم يسبق ولكن حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أي يدنو أجله أي أنه قريب من الموت فيدع العمل الأول الذي كان يعمله وذلك لوجود دسيسة في قلبه – والعياذ بالله – هوت به إلى الهاوية.

وما من أحد يقبل على الله بصدق وإخلاص ويعمل بعمل أهل الجنة إلا لم يخذله الله أبدا ورحمته وسعت كل شيء ولنا في قصة الصحابي الجليل الأصيرم من بني عبد الأشهل نبراساً فقد لاقى الله شهيدا و لم يسجد له سجدة ([2]).

٤– الحديث السادس: القلب ذلك العضو محل نظر المولى جل وعلا ومولد ومستودع يتحرك منه قوى الخير والشر وفي هذا الحديث دلالته المتأثرة يصور لنا الحديث ملك الأعضاء ويخصه بمزيد العناية والاهتمام فقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إذا صلحت) يفهم معه أن تلك المضغة صالحة لا يعتريها مرض أو سقم والمعنى المكنى عنه كناية عن سلامة القلب وحسن الإيمان فهو كناية عن موصوف وشاهدنا الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: (**صلح الجسد**) فيفهم من معناها الظاهر والمكنى به أن الجسد سليم معافى من الأمراض والأسقام

---

[1] - الحديث أخرجه البخاري كتاب الرقائق باب إنما الأعمال بالخواتيم (٦١٢٨).

[2] - هو الأصيرم من بني عبد الأشهل الأنصاري كان منابذا للدعوة والرسول ولما خرج الرسول لمعركة أحد القى الله في قلبه الإيمان فآمن وخرج للجهاد وقتل شهيدا ولم يصل لله صلاة قط انظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ٢٩٣ طبعة دار الوفاء الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

ولكن المعنى المراد والذي يكنى عنه والمعنى الخفي كناية عن ملازمة صاحبه للطاعة في أعماله وأخلاقه وأحواله فهي كناية عن موصوف ([1]).

والشاهد الثالث في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**فسدت**) فالمعنى أن هذا العضو أصاب العطب والضرر وحسب والمعنى المكنى عنه وهو الذي تفكر في الأفهام كناية عن الجحود والشك والكفران بالله عز وجل فهي كناية عن موصوف.

والشاهد الآخير في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (**فسد الجسد كله**) فالمعنى القريب وغير المقصود أن الجسد كله مريض اجتاحته الآفات والأسقام ولكن المعنى المراد والذي له عقدت الكناية أنه كناية عن ملازمة صاحبه للمعصية والفجور والأثام فهي كناية أيضا عن موصوف ([2]).

٥- الحديث العاشر: ما أروع أن يكون الإنسان بعيدا عن مقارفة الحرام حتى في مأكله ومشربه وهنا يصور لنا الحديث الشريف في أسلوب كنائي رائع (**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء**) والشاهد قول (**أشعث أغبر**) فالمعنى أنه ذو شعر متفرق أغبر من التراب والترحال وقطع المسافات في الأسفار وهو معنى ظاهر من اللفظ والمعنى الذي يراد منه الكناية أنه غير مبال بشعره بل تدل تلك الحال على زهده وبساطة أمره وهو ما يجعله قريب من الله لتواضعه وتقشفه.

٦- الحديث التاسع عشر: رسول الأمة ومعلم البشرية عليه أزكى الصلاة والسلام يصور لنا في موقف تتجلى فيه أسمى صور النصح والرفق والمحبة ومن ثنايا الحديث تطل علينا الكناية ففي قوله عليه الصلاة والسلام: (**رفعت الأقلام وجفت الصحف**) المعنى المتبادر للذهن التوقف عن الكتابة وأن ما كتب لم يمح والمعنى الذي تخفيه الكناية أن ما كتبه الله عز وجل قد انتهى فالأقلام رفعت

[1] - قطوف من رياض السنة: ٢٢٠.
[2] - قطوف من رياض السنة: ٢٢٠.

والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله وهو معنى تأكيدي على عدم تغير ما كتب وقدر وأسبقية علم الله وإرادته وأزلية تقديره فهي كناية عن صفة والله أعلم.

٧- الحديث الخامس والعشرون: يضع الرسول عليه الصلاة والسلام ميادين الخير ودرجات التنافس بين يدينا حتى ينهل كل منها بقدر عزيمته وهمته ويأتي الشاهد الكنائي ألا وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**وفي بضع أحدكم صدقة**) فاللفظ المكنى به البضع والمعنى الظاهر أن البضع يطلق على عقد النكاح وقيل الجماع ([1]) والمعنى الخفي والمقصود كما هو دال عليه سياق الحديث أنه يريد الفرج ولكن كره التصريح بهذا اللفظ فعمد إلى الكناية وهي كناية عن موصوف.

٨- الحديث الثامن والعشرون: كان المصطفى عليه الصلاة والسلام ناصحا لقومه يلقي عليهم الكلمات المؤثرات فيكتب لها القبول والتصديق وفي إحدى خطبه يروي الصحابي الجليل فيقول: (**وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون**) والشاهد قوله وجلت منها القلوب فالمعنى القريب الظاهر أنها خافت منها القلوب كما جاء على نفس المعنى قول الله عز وجل: (**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) ([2]) ولكن المعنى المكنى عنه هو شدة التأثر وبلوغ الانقياد والاستجابة مما سمع وهذا المعنى الخفي الذي يستتر خلف المعنى الظاهر وهي كما تلاحظ كناية موصوف.

ومما قيل كذلك الشاهد آخر في الحديث قوله: (**وذرفت منها العيون**) أي ذرفت الدموع وهو معنى ظاهر والمعنى الخفي المقصود أي حصول البكاء من الموعظة وهي كناية عن صفة البكاء والرقة ([3]).

---

[1] - النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير ١٣٣/١ طبعة دار الفكر بدون تاريخ نشر.
[2] - سورة الأنفال آية : ٢.
[3] - انظر شرح ابن عثيمين على الأربعين : ٣٠.

٩- الحديث الثامن والثلاثون: يصور لنا الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه أن المؤمن إذا استنار بنور الله كان الله معه مؤيدا وناصرا ودليلا ومن ذا سوف يعاديه والله ناصره والشاهد من هذا الحديث الفريد قوله: **(من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)** فالمعنى الذي يفهم من اللفظ المنكنى به أن هنالك حربا تدار وجيوشا تساق وألوية تعقد وهو المعنى غير المقصود ولكنا

نرى أن هنالك كناية من بين ذلك اللفظ وهو المقصود إذ المعنى أن الله يعاديه ويمقته ويخزيه وربما فهم من لفظ الحرب الشناعة في محاربة الله لأوليائه وأن الله اصطفاهم فهو وليهم والذي تولاهم بحفظه وقوته.

١٠- الحديث الأربعون: عاش الرسول عليه الصلاة والسلام قريبا من أصحابه معاشرا ومصاحبا لهم في السراء والضراء وفي هذا الحديث نقف عند مشهد كنائي، الشاهد الأول في قوله: **(إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)** فالمعنى الظاهر من هذا الحديث أن الرجل هو في ترقب لحركة الليل مع النهار وأنه قد لا يدرك الليل إذا أصبح وقد لا يدرك الصباح إذا أمسى ولكن المعنى المكنى عنه وهو المقصود وغير الظاهر الاستعداد للموت والرحيل وهذا المعنى غير ظاهر في اللفظ ولكنه أخفاه عن طريق أسلوب الكناية لمزيد التأمل فيه وهي كناية عن موصوف.

١١- الحديث الثاني والأربعون: يفتح الله على عباده أبوابا التوبة كل يوم ويدعوهم إليها بل يشوقهم لمزيد عفوه وفي هذا الحديث القدسي الذي يرويه الرسول عن ربه إذ يقول: **(يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)** ([1]) إذ المعنى المفهوم الظاهر أن الذنوب إذا ارتكبها صاحبها وتزايدت وسجلت والمعنى الخفي أنها كناية عن كثرتها وتعاظمها عند المولى جل وعلى وهي كناية عن موصوف كما تلاحظ.

[1] - عنان / السحاب بفتح العين وقيل ما اعتلى من السماء: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣١٣؟

والشاهد الآخر في هذا الحديث: (**لو أتيتني بقـــراب الأرض خطايـــا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لآتينك بقرابها مغفرة**) والمعنى لو جئتني بما يقـــارب أو يملأ الأرض خطايا والمعنى وغير الظاهر والمكنى عنه الكثرة في اقتراف المعاصـــي والسيئات فهي كناية عن صفة.

والشاهد الآخر في هذا السياق قوله: (**بقرابها مغفرة**) أي يقابل الله تلـــك الرزايا والمنكرات بالمغفرة والصفح وهذا المعنى هو المعنى الظاهر ولكن الكنايـــة تتوشح هذا اللفظ إذ المعنى الخفي التعبير عن سعة رحمة الله وعظيم غفرانه مهما بلغت ذنوبك أيها العبد وهي كناية عن صفة أيضا وهو مكنى عنه وانظر لجميل دقة الكناية هنا وخفائها.

المبحث الثالث

بلاغة علم البيان من خلال الشواهد

حيث نتحدث عن الصور والفنون البيانية في كلام خير البرية عليه الصلاة والسلام فإنما نتحدث عن لون من ألوان الإبداع النبوي.

جاء على أكمل تمامه وأبهى أصباغه وأورف ظلاله وبه ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب قط.

ولن نرسل القول دون دليل بل إن المتتبع للآثار والأحاديث النبوية يجد صورا فنيا من أحسن المثل ما تنجذب إليه النفوس ورجع ذلك ما فطر عليه الصلاة والسلام من معرفة عناصر التأثير في البيان وأوجه الجمال في اللسان فجاء حديثه النبوي من البلاغة في موضع تتطلع نحوه الأبصار تتقاصر دونه الأعناق ([1]).

وإذا كان لكل لون من ألوان المعرفة غاية يسعى إليها وفائدة يقيدها صاحبه من الجد في طلبه والعناء في تحصيله فقد تكلم أصحاب علم البيان عن الثمرة التي يحصلونها من هذا العلم وهي عندهم ثمرتان:

أولاهما: ثمرة دينية وهي الإطلاع على معرفة إعجاز كتاب الله ومعرفة معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز علم البيان والإطلاع على أغواره.

والرسول صلى الله عليه وسلم مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية وخصه بالحكم والآداب الدنيوية لم يفتخر من ذلك بشيء و لم يقل أنا أفقه الناس ولا أعلم الخلق بالحساب والطب بل افتخر بما أعطاه الله من علم الفصاحة والبلاغة فقال: (**أنا أفصح من نطق بالضاد**) ([2]).وتلك الغاية تدل على الأثر البعيد الذي

---

[1] - البيان النبوي محمد رجب البيومي: ٢٢٩.
[2] - الحديث ....

خلفته الدراسات الأولى في البيان وهي البحث في أسباب الإعجاز واعتبارها مكملة للإيمان بالنبي ورسالته.

والثمرة الأخرى: ثمرة عامة لا يتعلق بها غرض ديني إذ هي فائدة أدبية وهي الإطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه فإن كل من لاحظ له في هذا العلم لا يمكنه معرفة الفصيح من الكلام والأفصح ولا يدرك التفرقة بين البليغ والأبلغ والمرجع في ذلك إذا سبر وغاص في بحور الثمرة الأولى ([1]) وكما أن الألفاظ ظواهر المعاني تحسن بحسنها وتقبح بقبحها وتتألف بحسن ما تحمله من المعاني المتأنقة والأحاسين المتألقة وهنا نرى البيان بكل فنونه يستمد ذلك الجمال مما تحمله ألفاظه من التخيل والتصوير وإحداث العلاقة بين المعاني المتباعدة ينظمها في عقد فريد بديع.

إن علم البيان يحرك الوجدان ويسحر الألباب كيف لا وهو يبث الحياة في الجماد ويجعل للأشجار والنباتات لوحة تشخصية.

فهو يجمع بين الفن التصويري والإقناعي ويثير التفكير والعقل وإذا استوقفنا الفكر عن الأثر البلاغي لفن التشبيه فإنه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا وبهذا طبق وجمع المتكلمين من العرب والعجم عليه و لم يستغن أحد منهم عنه وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقفه من البلاغة بكل لسان وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**) والمعنى المراد لم يتضح إلا بطريقة التشبيه فأجلاه وأوضحه، وذلك لأن الغريب لا ارتباط له في بلاد الغربة وابن السبيل لا لبث له إلا بقدر العبور وقطع المسافة وانظر كيف أوضح معناه الخفي التشبيه.

والتشبيه يعد إحدى الوسائل للبيان التي علمها خالق الإنسان للإنسان يصور بواسطتها انفعاله بالأشياء وتصوره للمعاني والفكر والتشبيه أداة تعليم وتعريف تعتمد أساسا لها إلحاق المجهول لدى المخاطب بمعروف لديه وهو شكل

[1] - علم البيان د/ بدوي طبانة: ٤٥.

من أشكال الدلالة يعتد القياس والتمثيل والتصوير ويقدم للمخاطب ضربا من المعرفة المجسدة الممثلة للصورة وهو ناقل للمعنى المجهول إلى المعلوم ومن الغامض إلى الواضح ومن الخفي إلى الجلي ([1]).

وقد أطال علماء البلاغة قديما وحديثا في سبر أثره وعلو منزلته.

فيقول ابن وهب: وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم وكلما كان المشبِّه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذف أليق ([2]).

وعميد البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني أطال فيه الحديث في سفره الجليل أسرار البلاغة فيقول: وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت النفوس لها أطرب وهذا هو سر دقيق لحقيقة التشبيه ([3]).

ومن المعاصرين الذين أرهفوا أسمائهم وحواسهم لهذا الفن الجميل الشيخ حامد عوني إذ يقول: والتشبيه يدني القصي ويكشف الخفي ويكسب المعاني رفعة وشرفا ويكسوها روعة وفخامة ويبرزها في معارض الحسن والعيان ([4]).

وقد لا نجافي القول إذا قلنا: إن حاجة الإنسان الجاهل لفن التشبيه لا تقل عن حاجة العالم فالجاهل يقف أمام كثير من الأمور فاغراً فاه لايدري عنها بقليل أو كثير ولا تزول الغربة ويطمس جهله إلا إذا قربت إليه تلك الصور بتشبيه أو مثل أو مجاز([5]).

وتلك الملامح لفن التشبيه تجدها حاضرة في المشهد الدلالي والكلامي وفي مجمل أحاديثه وانظر شاهد على ما ذكرناه سابقا قوله عليه الصلاة والسلام: **(وأن تلد الأمة ربتها)** وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: **(والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)** والمعنى والأثر البلاغي هنا توليد الصور والجمع

---

[1] - المفصل في علوم البلاغة العربية د/ عيسى علي العاكوب: ٤٢٩.
[2] - البرهان في وجوه البيان للحسن بن وهب بن سعيد ، نشر المكتبة العثيمين بيروت، ١٤٠٠هـ.
[3] - أسرار البلاغة: ١٣٠.
[4] - المنهاج الواضح ٧/٥ حامد عوني نشر مكتبة الجامعة الأزهرية بلا تاريخ.
[5] - البلاغة العربية في ثوبها الجديد . ٥٩/٢ بتصرف يسير.

بين التباينات واختراع الصور الذهنية وجعلها حاضرة كأنها مشاهدة وهذا سر بلاغي له وأما المجاز بأقسامه فله في الكلام فضل لا يكر ومزية لا تخفى وذلك أنه يكسب الأسلوب حلة وجمالا والمعنى اتساعا ([1]).

وكما سطر أحد المبحرين في فنون البلاغة كلاما نفيسا عن ذلك الأثر البلاغي إذ يقول: إن البليغ إذا وضع كلمة حقيقة في غير موضعها المتوقع يكون قد حرك معها تأثير تلك الكلمة والسياق التي جاءت فيه وحرك في النفوس المعنى التي وضعت له والنقل بمشاعرهم إلى سياق آخر لم يكن مألوفا فتحصل الدهشة من النقلة الكبرى من السياق الحقيقي إلى المجازي وعلى قدر ما في العلاقات الجديدة من براعة وطرافة وعلى قدر ما توحي فكر ومشاعر تكون الدهشة أعمق والإثارة أروع ([2]).

ومن خلال الأمثلة والشواهد التي وقفنا معها نرى أن المجاز يستمد قوته ومنزلته مما تحمله ألفاظه من التخيل والتصوير وإحداث العلاقة المتينة بين المعاني المتباعدة فالمتلقي عند سماعه لمعنى مجازي يثار عنده الخيال وينبعث شوقه لمعرفة البيت الداعي إلى ما يراه خلافاً للحقيقة وإذا ما بحث عن قرينة ظهرت وتجلت له باتت قدرة قدرة المتكلم الإبداعية خلف هذا المشهد البلاغي ([3]).

والمزية الكبرى لهذا الفن البلاغي احتماله لمعان غير ظاهرة وهذا أدعى إلى الرؤية والثاني في الفهم مما يثير في نفس القارئ ملكة التأمل في المعنى واستقصاء الهدف والتطلع لما وراء السياق من مقاصد ([4]).وعلى جملة ما ذكرنا تنفرد الاستعارة بمزايا أخرى منها:

تأكيد المعنى والمبالغة فيه لأن في الاستعارة كمال الإدعاء بأن المشبه هو نفس المشبه به أو هو فرد من أفراده بدليل أننا نتحدث عن المشبه بلفظ المشبه به

---

[1] - أسرار البلاغة: ٣٣.

[2] - البديع في شعر المتنبي التشبيه والمجاز: ٣١٣ للكاتب د/ منير سلطان نشر مكتبة منشأة المعارف الاسكندرية : ١٩٩٢م.

[3] - المثل السائر: ٧٩/١.

[4] - ظاهرة التأويل وصلته باللغة: ٩٧ د/ السيد أحمد عبد القادر نشر دار الرشيد دمشق بلا تاريخ نشر.

وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (**استفت قلبك**) حيث شبه القلب برجل عالم في الدين يعرف أحكامه وشرائعه وحذف المشبه به ورمز غليه بشيء من لوازمه وهو الاستفتاء وهذا يؤكد ما قلناه قبل قليل في تأكيد المعنى والمبالغة في طلبه ([1]) وفي الاستعارة تحسين المعنى وإبرازه في حلة جميلة تعجب النفس وقد يكون في هذا ما لا تدركه الحقيقة وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (**يا أنجشة رفقاً بالقوارير**) وحقيقة المعنى رفقاً بمن هن في غاية الضعف والوهن وتمكن الفساد من نفوسهن إذا تسرب إليهن كالقوارير التي يوهنها الخفيف.

وخاتمة العقد لهذا الأسلوب الراقي الخيال المجنح فإننا نرى الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا والمعاني الخفية بادية جلية وترى المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون، والكناية لا تقل شيئا عن الاستعارة في سياقها الفني الجميل ويكفي لها مترلة ذلك التلون البديع في إخفاء أو إظهار المعاني المطلوبة المكنى عنها.

والكناية فن بلاغي له مكانته بين الفنون البلاغية حيث تعد من مظاهر الجمال الفني في الأعمال الأدبية ومن معطيات البلاغة فيها لأنها تذكر الحقيقة مصحوبة بالدليل والبرهان فتقصى الكلام قوة وعمقاً في التأثير وسر آخر في هذا الفن البلاغي أنه لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة كا الإيضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو عن الفاحش بالظاهر أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ([2])، والمسلم به أن التلميحأجمل من التصريح في بعض المواطن من الكلام وفي المجمل تتشوق الصورة التعبيرية الإيحائية على الصورة الوصفية المباشرة ولأن الإيحاء فيه لذة لحنايا النفس في اكتشاف المعنى المراد غير الظاهر وتأمل كقوله عليه الصلاة والسلام: (**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل**) فالكناية الأولى في قوله (**إذا**

[1] - علم البيان: ٢٠٣.
[2] - الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف د/ أحمد ياسوف ٢٤٣ طبعة دار الكتب العلمية ١٩٩٦م.

جلس) وهو كناية عن الجماع فاكتفى به عـــن التصـــريح والثانيـــة في قولـــه (**جهدها**) والجهد كناية عن معالجة الإيلاج وجمالية الكناية هنـــا في اســـتعمال الجلوس كناية عن الجماع وهو تعبير يبعد السامع عن والانفعال الشهواني وفي لفظ الجهد أبعد ما يكون عن التعبير المباشر مع وفائه بالغرض

الفصل الثالث : علم المعاني

وفيه ثلاثة مباحث :

الأول : التعريف بعلم المعاني

الثاني : فنون علم المعاني ودراسة الشواهد وفي المطالب التالية :

١- أغراض الخبر

٢- أضرب الخبر

٣- الإنشاء الطلبي ــ الاستفهام

٤- الأمر

٥- النهي

٦- النداء

٧- أحكام المسند والمسند اليه

٨- أسلوب القصر

٩- الفصل والوصل

١٠- الإطناب

١١- المساواة

١٢- الإيجاز

الثالث : بلاغة علم المعاني من خلال الشواهد

المبحث الأول: التعريف بعلم المعاني

تعد علم المعاني قطبا تدور عليه مفاتيح الجمال البلاغي اللفظـــي إذ يعـــنى باللفظ ومدلولاته وقد قيل أن أصل علم المعاني كما مر من قبل نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني يرحمه الله وقد أبحر العلامة النحرير في هذه النظرية كما هو مسطر في سفره البديع دلائل الإعجاز ([1]) فعظم من شأن النظم وأعلى قدره إذ يقول فيه: (وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتعظـــيم قدره والتنويه بذكره وإجماعهم أن الأفضل مع عدمه وأنه القطب الذي عليـــه المدار والعمود الذي به الاستقلال وما كان بهذا المحل من الشرف وفي هذه المنزلة من الفضل كان حريا بأن توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الأفكـــار وتستخدم في الخواطر([2]).

ودقائق النظم تقتضي النظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيها حقه الوصل وبأي حرف بالفاء أو الواو.. ([3]).

وقد ربط عبد القاهر الإعجاز بالنظم فميدان النظم بذلك المفهوم ميـــدان فسيح واسع ودقيق غائر.

وهو يعيب على من ينظر إلى البلاغة من زاوية الكلمة المفـــردة ولا يـــرى البلاغة بادية ولا الإعجاز كذلك إلا من خلال النظرة التكاملية التي تتوجه إلى موقع الكلمة من الجملة وإلى علاقتها بما تقدم وبما تأخر عنها وعليه فإن النظم لا بد له من أمرين اثنين: المعنى الذي نريد التحدث عنه ثم اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى وعلاقته بما حوله.

ولعلماء البلاغة الأفذاذ تعاريف عدة ولكنها تدور حول معنى واحد لوضع إطار خاص لهذا الفن البلاغي.

---

[1] - دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني بتعليقات الإمام محمد عبده ووضع حواشيه السيد محمد رشيد رضا رحمة الله على الجميع ويكاد هذا الكتاب يعالج تلك النظرية وحسب ، انظر الكلام فيه مبسوط من صفحة ٨٠ وما بعدها طبعة دار المعرفة في بيروت عام ١٣٩٨هـ

[2] - دلائل الإعجاز: ٨١.

[3] - المرجع السابق: ٨٣.

يقول الخطيب القزويني: (هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) ([1]).

ويقول الإمام السكاكي: (هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره ([2]).

وعلم المعاني أحد الفنون البلاغية تبحث فيه الألفاظ التي تطابق مقتضى الحال وشدد خطى المتكلم أو الكاتب فلا يخطئ في تأدية أغراضه والمراد بأحوال الألفاظ استعمال التقديم والتأخير فيها أو الذكر والحذف أو التعريف والتنكير أو التأكيد وعدمه وما شابه ذلك فإن كل حالة منها تختلف عن الأخرى وتقتضي استعمالا خاص وترتيبا معينا في الكلمات التي تؤلف العبارة ففن المعاني يرشدنا إلى الطريق القويم وإلى الأساليب المتبعة في مراعات هذه الحالات والتعبير عنها بدقة ومنزلة المعاني من البيان كمنزلة الفصاحة من البلاغة ([3]).

ويعرفه الدكتور عبد القدوس أبو صالح: (علم تعرف به أصول مراعاة الكلام لمقتضى الحال وتأديته وفق ما يطلبه المقام من إخبار أو إنشاء أو من فصل أو وصل ومن إيجاز أو إطناب إلى غير ذلك من فروعه ([4]).

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥.

[2] - مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي: ٨٦ من منشورات دار الكتب العلمية ١٩٨٤م وقد اعترض على تسمية التتبع علم كما يراه السكاكي وهو غير صحيح ولا ينضبط كعلم له حدود.

[3] - بتصر يسير المعجم الأدبي جيور عبد النور : ٢٥٤.

[4] - علم المعاني والبديع: د/ عبد القدوس أبو صالح: ١٧ من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ.

المبحث الثاني

التعريف بفنون علم المعاني ودراسة شواهدها بين الخبر والإنشاء

عند استعراض كلامنا المفيد ومانخاطب به الناس وما نتوصل به إلى مآربنا نلاحظ أننا إما أن نقرر أمرا من الأمور أو نخبر عن عارض من المشـــاكل أو أن نتحدث عن أمر لم يحصل بعد نطلب تحقيقه أو ننهي عنه أو نتمناه أو نســـتفهم عنه او نناديه فكلامنا يدور بين الخبر والإنشاء فلو قلت (دخل الرسول مكـــة فاتحا) فإنك تخبر عن أمر قد حدث وربما يكون ردا على من يقـــول: (دخـــل الرسول عليه الصلاة والسلام سلما و لم يكن هنالك قتال) فإن النفي عن محتوى ذلك الإخبار وارد بالتكذيب أو التصديق فهو يحتمل الصدق والكذب وفي ذلك قول الشاعر:

فيَا حْسَرتَا مَنْ لِيْ بِخِلٍ مُوافِقٍ أقوَلُ بشَجْوِيْ تارةٍ ويَقولُ ([1])

فهو يستفهم ويسأل وكل من استخدم هذا الأسلوب لا أستطيع أن أقول هذا صدق أو كذب لأن الصدق والكذب إنما يوصف بهما الشيء الذي ادعينا وقوعه والحكم الذي أثبتناه لشيء ما وعليه فإن تعريف الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته فهو صادق إن طابق الواقع وكاذب إن خالفه و لم يطابقه ([2]).

وسيأتي مزيد من البسط لأغراض كل فن وكل لون من الخـــبر والإنشـــاء فالتركيب اللغوي لتكون من جملة تامة وهذه الجمل إما أن تكـــون خبريـــة أو إنشائية وبهذا فلا تخرج عن الخبر والإنشاء ولكن قد تأتي أحداهما محل الأخرى لغرض بلاغي يقتضيه المقام.

---

[1] - البيت للشاعر أبو نواس الحمراني انظر ديوانه شرح وتحقيق د/ خليل الدويهي ص: ٢٥٣، طبعة دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

[2] - البلاغة العربية فنونها وأفنانها، علم المعاني ص ١٠٠ للدكتور فضل حسن عباس، طبعة دار الفرقان عام ١٤٠٩هـ.

المطلب الأول :أغراض الخبر

يلقى الخبر أصلا لأحد الغرضين أولاهما: ما يعرف بفائدة الخبر الذي فيه إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له وثانيهما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى ذلك بلازم الفائدة فمثال الأول قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (البر حسن الخلق) ([1]) أفاد الحديث أن التحلي بالأخلاق الحميدة من خير القربات إلى الله وأفاد السامع والمخاطب بما لم يكن يعرفه من قبل.

ومثال الثاني: قول أم المؤمنين: إنك لتصدق في الحديث وتصل الرحم وتؤدي الأمانة) ([2]) فأم المؤمنين لا تخبر الرسول صلى الله عليه وسلم حكما جديدا لأنه يعرف في نفسه هذه الشمائل الكريمة وإنما تريد إبلاغه أنها تعرف هذا الحكم الذي تصفه به كما يعرفه هو نفسه.

وهنا ندرك الغرض الذي نقصده حينما نلقي أي خبر من الأخبار وما هي الفائدة التي نطلبها حينما نخاطب بهذا الخبر من نخاطب فهذان غرضان رئيسان للخبر عند إلقائه إلى المخاطب، فائدة الخبر إذا كان المخاطب جاهلا يود أخباره بشيء لم يعرفه ولازم الفائدة إذا كان المتكلم يريد أن يخبر المخاطب بأنه عارف بهذا الخبر وليس خافيا عليه.

وقد يخرج الخبر إلى أغراض غير ذلك تدرك من سياق الكلام وقرائن الأحوال أهمها ما يلي:

١. إظهار التحسر والحزن كمن يقول: لقد رسبت هذه السنة فإن الخبر أفاد الإخبار بإيراد جانب الحسرة والحزن من الكلام السابق ومن تأييد ذلك قول الشاعر:

---

[1] - البلاغة فنونها وأفنانها: ١٠٦.
[2] - رواه البخاري غي كتاب ا التفيسر وتعبير الرؤى (٣٣٩٢)

حُكْمُ لَمنيْةِ في الَبريةِ جارٍ ما هذه الدّنَيا بِدارِ قرارِ ([1])

فالسياق للخبر يفيد إظهار الحزن والحسرة مما أصاب الشاعر في مصابه.

٢. الاسترحام: سأدعوا الله لك أن أعطيتني مالاً، وقول جرير:

أشْكُو إليك فأشْكِني ([2])ذريةٌ لا يَشْبَعُونَ وأُمُهُم لا تَشْبَعُ

فاالشاعر أفاد كلامه الاسترحام لمن سمع كلامه.

٣. المدح والفخر : كمن يتحدث عن نفسه فيقول إني رجل شهم وتأمل قول الفرزدق:

أحْلَامُنا تَزِنِ الجَبال رزَانةً وتخَالُنا جناً إذَا ما نْجْهَلُ ([3])

٤. السخرية والهجاء كحال من يقول: لا فرق بين صوتك وصوت حمارك وجاء هذا الغرض جليا في قول المتنبي واصفا كاقور:

وتعجبني رجالك في النصل إنني آتيك ذا نعل إذا كنت حافيا([4]).

٥. النصح والتوبيخ: كما تقول لكثير الأخطاء والعثرات من لم يجتهد فلن ينجح زمنه قو الشاعر: نشر الناس قوم ذو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدود ([5]).

والأغراض التي يخرج إليها الخبر لا تنحصر فيما ذكرناه فهنالك أغراض عدة وكثيرة يمكن أن تدركها من سياق المتكلم كالعتاب والتعريض والوعظ والفرح وهذا كله يعتمد على بلاغة المتكلم وذكاءء المخاطب.

---

[1] - البيت للشاعر أبو الحسن التهامي من أصل تهامة شاعر مشهور رحل إلى مصر وسجن وقتل فيها عام ٤١٦هـ.

[2] - أشكني أزل سبب شكواي.

[3] - البيت للشاعر الفرزدق . همام بن غالب ولد عام : ٣٠ كان بذي اللسان من أصحاب النقائض قتل عام ١١٤ في البصرة

[4] - البيت لاسطورة الشعر العربي التنبي أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي ولد عام ٣٠٣، وقتل عام ٣٥٤هـ انظر ديوانه بتحقيق مصطفى السقا وصاحبه ٤/ ٢٩٥، طبعة دار المعرفة ١٣٩٧هـ.

[5] - البيت للشاعر العراقي معروف بلرصافي ولد في الرصافة في العراق عام ١٢٩٤هـ كان مناضلا ضد الاحتلال توفي عام ١٣٦٤هـ.

تحليل الشواهد لأغراض الخبر

١. **الحديث الثالث:** يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا الدين بناء شامخ له أسس متينة قوية راسخة أول أساس لها وعليه يقام ذلك البنيان التوحيد لله جل وعلا والشاهد فيه قوله عليه الصلاة والسلام: (**بني الإسلام على خمس**) وغرض الخبر فيه فائدة الخبر إذ أفاد الخبر معنى جديدا والمخاطب غير مدرك لحكم الخبر وإنما هو معنى جديد جاء به الخبر.

٢. الحديث الخامس: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين كما مر معنا وهو من جوامع الكلم التي أوتيها المصطفى عليه الصلاة والسلام وهوكلام صريح في رد كل بدعة وغرض الخبر هنا النصح والتوبيخ وقد يكون الغرض من ورود الخبر في سياق الحديث فائدة الخبر إذ المخاطب جاهل بالحكم الذي تضمنته الجملة والأول عندي أظهر.

٣. **الحديث السابع:** رفع الله شأن النصيحة والحرص على هداية الخلق في موانع كثيرة وفي هذا الحديث جاء الخبر فيها بغرض فائدة الخبر إذ المخاطب جاهل بالحكم الذي تضمنته الجملة بدليل التفصيل في معنى النصيحة.

٤. **الحديث التاسع:** امتثال أمر الله وتجنب نواهيه معلوم للمسلم وهو محل اتفاق وتسليم وجاء الخبر في قوله: (**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**) لغرض بلاغي وهو لازم الفائدة إذ أفاد المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة فالرسول يعلم أنهم على وعي تام والتزام كامل لما يقوله.

٥. **الحديث الثاني عشر:** ألفاظ يسيرة ومعاني عديدة حملت في جوانبها إشراقات من مشكاة النبوة وجاء الخبر في قوله: (**من حسن إسلام المرء**

تركه ما لا يعنيه) وقد أفاد الخبر المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة والغرض منه فائدة الخبر لأنه جاهل به.

٦. **الحديث الثالث والعشرون:** تبوءت الصلاة مترلة لم يصل لها ركن مثلها بعد الشهادتين ولعلو مترلتها عند ربنا جاء الخبر في قوله: (**الطهور شطر الإيمان)** ليوضح مكانة الطهور وملازمة الطهر على كل الأحوال تقربا لله سبحانه، والغرض منه كما هو واضح من خلال مطلع هذا الحديث التعريض إذ غرض لمكانة بوصفه شطر الإيمان ولما تعلم هذه المترلة يكون دافع لكل سامع بالحرص عليه ([1]).

٧. **الحديث السادس والعشرون:** نعم الله علينا تترى صباح ومساء وفي هذا الحديث يرشد الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام لعمل طريقة يؤدي بها المسلم حق شكر المولى على تلك النعم وجاء الخبر (**كل سلامى من الناس عليه صدقة** ..) وقد أفاد الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة لأن المخاطب يجهل تلك الطريقة التي ساقها الرسول بالتصدق على سلامى الجسد.

٨. **الحديث السابع والعشرون:** عند ما يخبرنا الرسول الأكرم عن مترلة الخلق فيقول في الحديث الصحيح: (**ما وجد في ميزان العبد يوم القيامة أثقل من حسن الخلق)** ([2]) هذا هو الخلق بمفهومه الواسع والشامل والذي يعطى صاحب الخق مترلة لم يتبوأ به أحد غير وشاهدنا في قوله: (**البر حسن الخلق)** والغرض منه فائدة الخبر إذ المخاطب يجهل الحكم الذي تضمنة الجملة وهو جعل الخلق شاملا للبر وهو يدل على كثرة الخير و محصورا فيه.

---

[1] - قطوف من رياض السنة: ٧٥.

[2] - الحديث رواه ابو داود برقم (٤٧٩٩) وصححه الالباني في الصحيحة : ٨٧٦

٩. **الحديث الثامن والعشرون:** كان الرسول عليه الصلاة والسلام ملازما لأصحابه ناصحا لهم حاثاً ودافعا لهم لفعل الخيرات وترك المنكرات وجاء سياق الخبر في قوله: (**وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون**) فرحا للمخاطب بدرجة التأثر من تلك الموعظة والغرض من الخبر هنا التعريض.

١٠. **الحديث الثاني والثلاثون:** إيقاع الأذية أو التعدي على خصوصية الآخرين ينبذه الإسلام بل حرمه باعتبار كل الأطراف ومن دون النظر لمكانة دون مكانة جاء في قول: (**لا ضرر ولا ضرار**) على أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة فمبدأ الإضرار متعين لدى كل مسلم والغرض من مجئ الخبر لازم الفائدة.

١١. السعي في قضاء حوائج الناس والإسهام في إدخال السرور عليهم مطلب سام وعمل نبيل ولذا كان الأجر المترتب عليه كبيرا وشاهدنا في قوله: (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**) حيث جاء الخبر وقد أفاد المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة لأنه كان جاهلا والغرض منه فائدة الخبر.

١٢. لله أولياء خصهم الله بحبه وكرمه ولم يصلوا لهذه المنزلة العالية إلا بانقطاع عملهم لله بالعبادة وملازمتهم لكل ما يرضي ربنا ومجافاتهم لكل ما يسخطه والشاهد قوله: (**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**) جاء سياق الخبر محذرا ومتوعدا في محاربة أولياء الله فأفاد المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ولأنه جاهلا بالحكم والغرض منه فائدة الخبر وقد يخرج المعنى آخر خلال السياق – والله أعلم– وهو الوعظ ([1]).

[1] - شرح الأربعين النووية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله : ٤١٠.

المطلب الثاني:أضرب الخبر

تحدث فيما مضى عن الأغراض التي لأجلها جاء الخبر وذكرنا جملة من الأغراض التي يجيء لها الخبر وهنا نسلط الضوء على إلقاء الخبر بحسب أحوال المخاطبين فنراعي أحوالهم كل بحسبه.

ومن المعلوم أن علم المعاني يهتم بمراعاة الكلام لمقتضى الحال بمعنى آخر كيف نراعي المقامات التي تتحدث فيها فمقام من ينكر لك حديثا ليس مثل خالي الذهن فأضرب الخبر إذاً على ثلاث أحوال:

١. **ابتدائي**: وهو ما يلقى للمخاطب الخالي الذهن لا تعرف منه إنكارا ولا تجد في نفسه شكا أو تردد فيما تلقيه إليه لا يصحبه أي مؤكد ومثال ذلك: قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**الدين المعاملة**) فالخبر هنا ابتدئي والمخاطب خالي الذهن و لم يوجد أي مؤكد ([1]).

٢. **طلبي**: وهو ما يلقى للمخاطب المتردد في الحكم ويكون مصحوباً بمؤكد واحد من قبيل الاستحسان ([2]) ومثاله قول الله عز وجل: (**وصَلِ علْيهِم إنّ صَلاتَكَ سَكنُ لهُم**) ([3]) فالمخاطب قد يتردد في قبول الخبر في كون الصلاة عليهم ذا تأثير فجاء المؤكد الوحيد الذي أوكد به الخبر وهو: إن.

٣. **إنكاري**: وهو ما يلقى للمخاطب المنكر لمضمون الخبر ويكون الخبر مصحوبا بمؤكدين وأكثر حسب درجة الإنكار للخبر ويصدق عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إن من البيان لسحرا**) فالمخاطب منكر كيف يكون الكلام المؤثر سحراً يفعل فعله في العقول!!! فجاء الخبر مؤكدا بمؤكدين إنَّ واللام ([4]) ([5]).

---

[1] - البلاغة فنونا وأفنانها: ١١٢.
[2] - بغية الإيضاح: ١-٤٥.
[3] - سورة التوبة آية: ١٠٣.
[4] - علم المعاني والبديع: ٤٠.
[5] ذكر السكاكي أنه إذا كان ما يعرف بفائدة الخبر من الأغراض فهو ابتدائي وإذا كان الغرض لازم الفائدة أو النصح أو التحسر فقد يكون طلبيا، بغية الإيضاح في حاشية ٤٥.

والمؤكدات للخبر كثيرة جدا نذكر منها:

١. إن – أن: وتفيد التأكيد والتقوية وتعمل على تقوية النسبة بين المسند والمسند إليه وتقريرها في ذهن السامع إيجابا أو سلباً ([١]) وقيل من فوائدها التأكيد لمضمون الجملة وقد تفرق إن المكسورة عن أختها بكونها للتأكيد أقوى عند دخول لام الابتداء على خبرها كقولك: إن زيدا ليس بقائم ([٢]) وقد استحسن الإمام عبد القاهر الجمع بين اللام وإن في مخاطبة المنكر حقيقة أو من يظن ويعلم وقوع الإنكار منه في المستقبل وذلك لقوة التأكيد ومن فوائدها الربط القوي بين الجمل وتقصد بهذا بجانب إفادتها للتأكيد أنها تربط بين الجمل الداخلة عليها وبين الجملة قبلها برباط قوي ولا يستقيم الكلام بدونها فإذا جاءت إن بينهما ربطتهما وجعلتهما كالقول الواحد ولا يصح غيرها من أدوات الربط مكانها ([٣]) ودليل ما سبق قول الشاعر بشار بن برد :

بَكْرا صاحِبَيَّ قَبلَ الهَجِيرِ إنَّ ذَاكَ النَجَاحُ في التَبْكيرِ ([٤])

وقد ذكر الإمام عبد القاهر أنها تغني عن الفاء الرابطة ومع الفاء يذهب الألفة والتناسب بين المعنى وزوال الحسن والأنس بينهما ([٥])، وشاهد آخر قوله عليه الصلاة والسلام: (**كل مسكر حرام، إن على عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**) ([٦]).

٢. لام الابتداء: أشار طائفة من العلماء علها أنها من المؤكدات للجملة الإسمية وهي لام مفتوحة لا تعمل فيما بعدها شيئا وإنما ترد في الكلام لتقوية

---

[١] - الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٩٤ للإمام جلال الدين السيوطي طبعة ٣، ١٤١٦هـ دار ابن كثير دمشق.
[٢] - مغني اللبيب: ٥٦ لابن هشام النحوي طبعة أولى ، ١٤١٢هـ دار الفكر بيروت.
[٣] - دلائل الإعجاز في علم المعاني : ٢١٢ دار الفكر بيروت الطبعة.....
[٤] - ديوان بشار بن برد ٣/ ١٨٩ جمع وتحقيق محمد الظاهر بن عاشق، بدون الطبعة نشر ١٣٩٦هـ الجزائر الشركة التونسية للتوزيع.
[٥] - دلائل الإعجاز : ٢٧٣.
[٦] - رواه مسلم في كتاب الأشربة.برقم (١٧٣٣)

مضمون الجملة ومعناها ([1])، والشاهد على ذلك قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: (**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**) ([2]) حيث تقدمت لام الابتداء تنبيها إلى وجوب الاهتمام بمضمون الخبر وما جاء به.

٣. لكنَّ: أشار علماء اللغة إلى أن لكنَّ حرف يفيد التأكيد والاستدراك قال الرماني: وهي تفيد تأكيد الجملة الإسمية وتكون مخففة ومثقلة ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد ([3]) والمخففة لا تعمل وقيل في معنى الاستدراك الذي هو نسبة حكم لما بعدها مخالف لحكم ما قبلها ويزداد ذلك وضوحا وقوة فيما لو سبقت لكن بالنفي كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكنَّ الغنى غنى النفس**) ([4]) فعند النظر للحديث السابق نلاحظ نفي الغنى أن يكون محصورا في حوزة المال والتفاخر به بل الغنى هو رضى النفس والقناعة بذلك فأتت لكن لتنفي ما كان من معنى قبل لكن.

٤. أمَّا: بفتح الهمزة وتشديد الميم ولها معنى التوكيد كما لها معنى التفصيل والشرط ([5]) وأفادتها للتأكيد في الجملة الإسمية معنى أساسي فيها وملازم لها في كل أسلوب ترد فيه ولأن التوكيد تابع ولازم للشرط سواء أفادت التفصيل أم لا ([6]) وفي الحديث: (**مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**) ([7]).

---

[1] - معاني الحروف للإمام الرماني: ٥١ حققه عبد الفتاح شلبي طبعة ثانية، ١٤٠٧هـ مكتبة الطالب الجامعي مكة .
[2] - رواه مسلم في كتاب الإمارة. رقم (١٨٨٠)
[3] - معاني الحروف: ١٣٣.
[4] - الحديث رواه مسلم برقم (١٠٥٠)
[5] - مغنى اللبيب لابن هشام: ٨٠.
[6] - اتحاف الألباب بفصل الخطاب: ٢٩ علي عبد القادر الجزائري المكتب الجامعي الاسكندرية طبعة ١٤٠٨هـ.
[7] - الحديث في مسلم في كتاب الطهارة برقم (٢٩٢)

٥. قد: أشار طائفة من أهل اللغة أنها تفيد التأكيد والتحقيق وتفيد هذا المعنى لأنها تأتي بمعنى (إن) وهو أقوى تلك المعاني واقترانها بالفاء في جواب الأمر للربط بين الأمر وجوابه ربطا قويا مؤكدا ومن الشواهد على ما سلفنا من المعاني قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن**) ([1]).

٦. لن: من الحروف المؤكدات ومعنى التأكيد فيه متأصل بكونه تأكيدا لنفي المعنى في الزمن المستقبل ([2]) ويشهد لهذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**) ([3]) فالنفي هنا مؤكد ب: لن بعدم رؤية المؤمنين لربهم في هذه الحياة الدنيا بل تأكيده على أنه في الآخرة تأكيد معنى الرؤية في الآخرة لا تحصل إلى بموت كل البشر.

٧. نون التوكيد: وهما الخفيفة والثقيلة ويؤتى بهما لتأكيد معنى الفعل المضارع والأمر والتأكيد وتحقيق مضمون الأفعال الداخلة عليها ([4]) والثقيلة دلالتها على التأكيد أكثر من الخفيفة لأن تكرار النون بمنزلة تكرير التأكيد، ومن المشاهد أن يتقدم تلك النون أداة تفيد النهي والشاهد على ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**) ([5]) فملازمة نون التوكيد للفعل في آخره حققت معنى تأكيد الصوم في المستقبل لليوم التاسع ومثال الملازمة لحرف يفيد النهي قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**لا يقيمن أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه**) ([6]) فهنا تقدم النفي على نون التوكيد الثقيلة وقد جاءت النون مع الفعل المضارع

---

[1] - رواه مسلم في كتاب النكاح..برقم (١٤٢٥)
[2] - الطراز: ٢٠٨/٢.
[3] - رواه مسلم في كتاب الفتن ...
[4] - مغني اللبيب: ٣٤٣.
[5] - رواه مسلم الصيام.. باب صيام التطوع (١١٣٤)
[6] رواه مسلم في كتاب السلام.(٢١٧٧).

لتأكيد عدم إقامة الرجل والجلوس في مكانه وتحقيق ما يدل على مضمون الفعل في تقبيح للفعل المشين.

٨. السين: وهو حرف يختص بالفعل المضارع فيجعله محصورا للاستقبال حيث تنقل دلالة الفعل المضارع من الحال إلى الاستقبال ([1]) وعند تأمل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث: (ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر) ([2]) حيث نقلت دلالة الفعل من الحال إلى الاستقبال وهو الأمر الأخروي من مشاهد الآخرة وهو المعنى الذي أكدته السين في دخولها على الفعل.

٩. اللام: والمقصود بها هنا اللام المؤكدة والتي نص العلماء على إفادتها التأكيد والتقوية لمدخولها وهو تأكيد الجملة الفعلية أو الجواب من الجملة وهي تأتي في الحالات التالية: ١- اللام الداخل على جواب (لو) ٢- اللام الداخلة على جواب (لولا) ٣- اللام الداخلة على أداة الشرط (إن) ٤- لام الجحود أو ما يعرف بلام النفي وكلها تفيد التأكيد والتحقيق ([3]) ووجه التأكيد في اللام الموجودة في جواب (لو) و (لولا) فمن المعلوم أنهما من أدوات الشرط غير الجازمة ودخول حرف الشرط على الجملة سبب قوي في ربط فعل الشرط بجزائه لأن الجملة ستصبح جملة واحدة في اكتمال المعنى ودخول اللام على الجواب زاد وضاعف من ذلك الربط وتعميق الصلة بينهما وهذا الكلام أشار إليه الإمام الزمخشري[4] بقوله: (ودخول اللام على الجواب تأكيد لارتباط الجملة بجوابها) ([5]) ومن شواهد هذا التأكيد قوله عليه الصلاة والسلام: (ولولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم) ([6]) فانظر كيف ربطت وأكدت اللام على

---

[1] - الحروف لأبي الحسن المزني ، طبعة أولى، ١٤٠٣هـ دار الفرقان، الأردن.
[2] - رواه البخاري كتاب التوحيد رقم (٧٤٣٩)
[3] - اللامات للإمام أبي القاسم الزجاجي تحقيق د/ مازن مبارك دمشق ، ١٣٨٩هـ بدون رقم الطبعة.
[4] محمود بن عمر الزمخشري ولد عام ى: ٤٦٧ عالم في اللغة والادب له عدة تصانيف توفي رحمه الله ٥٣٨
[5] - المفصل للإمام الزمخشري ٣٩٠....
[6] - رواه مسلم في باب صلة الرحم برقم (٢٥٥٨)

معنى الجملة الأولى في استحقاق الله أن يخلق خلقا يعرف الله بالتوبة والندم. وأما اللام الداخلة على أداة الشرط (إن) فيقال فيها ما يقال في سابقه من حملها على التأكيد لما دخلت عليه وتأمل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لئن كنت كما كنت فكأنما تستفهم ....) ([1]) يلاحظ هنا التأكيد على مطلع الجملة لاقترانها باللام مع (إن).

١٠. القسم: تقوية الكلام وتوكيده بالقسم أسلوب اعتاده الناس وجاءت البينة وفيها بيان القرآن الكريم مدعما لذلك ، ويعد القسم من أبرز المؤكدات اللفظية القوية التي تؤكد معنى الجمل من تأكيد للأخبار وتحقيقها وبيان مكانة الأمر المقسم عليه، قال العلامة الإمام العيني: (فائدة القسم تأكيد الكلام به ويستفاد منه جواز القسم على الأمر المهم توكيدا وإن لم يكن هنالك من يستدعي الحلف) ([2]) وفي قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**والله ليهنئك العلم أبالمنذر**) ([3]) اجتماع لفائدة مجيء القسم في الجملة إذ التوكيد على معنى المراد ومكانة الأمر واضحة جلية.

١١. ألا: بفتح الهمزة واللام وتخفيفها: نص كثير من العلماء على إفادتها التأكيد حيث يقول الإمام الزجاجي: (تستعمل في افتتاح الكلام للتأكيد والتنبيه) ([4]) وربما يرجع مبدأ حملها على التوكيد لما فيها من تنبيه السامع إلى ما سيرد بعدها من أخبار وتهيئة الآذان لسماعها حتى تستقر في الأذهان ([5])وعند تأمل قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (**ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجداً**) ([6]) حيث التأكيد على ذهن السامع في الوعي للنهي عن القراءة في الركوع والسجود.

---

[1] - الحديث رواه الامام مسلم في باب التوبة منم حديث جعفر الجزري

[2] - عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ١/ ٢٣٥ لبدر الدين العيني ط ١/ ١٤٢١هـ دار الكتب العلمية بيروت.

[3] - الحديث رواه مسلم كتاب الصلاة صلاة المسافرين برقم (٨١٠)

[4] - مغني اللبيب: ٩٥.

[5] - من بلاغة القرآن: ١٥١، د/ أحمد بدوي دار نهضة مصر للطبع والنشر النجالة، القاهرة ، بدون تاريخ.

[6] - الحديث رواه نسلم باب القراءة في الصلاة برقم (٤٧٩)

١٢. أما: بفتح الهمزة والميم: وهي من أدوات الاستفتاح والتنبيه الـــتي تأتي في صدارة الكلام فهي حرف تبدأ به الجملة للتنبيه إلى تحقيق ما يذكر بعده وتأكيد مضمون ما تدخل عليه ([1]) وعند النظر في قول المصـــطفى الكريم في قوله: (**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** ...) ([2]) حيث أكدت معنى الجملة الذي جاء بعدها في التأكيد على رفعه منزلة علي رضي الله عنه وتأكيد المعنى بما جاء في ترغيب علي رضي الله عنه في خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] - حروف المعاني للزجاجي: ١١
[2] - الحديث رواه مسلم. في كتاب الفضائل برقم (٢٤٠٤)

١. **الحديث الثالث:** يخبر الرسول أن الإسلام بني على خمس والمخاطب خالي الذهن ولا يعرف منه نكرانا أو يلمس منه شك أو تردد ولذا جاء الخبر في الشاهد قوله: (**بني الإسلام على خمس**) ابتدائي و لم يقترن به أي مؤكد.

٢. **الحديث الرابع:** يخبر الرسول عن أمر جلل وهو من الأمور الغيبية التي قدرها رب العزة والجلا وشاهدنا البلاغي الأول قول الرسول: (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة**) فقد جاء الخبر مؤكدا بمؤكد واحد وهو إن والمخاطب متردد في الحكم الوارد لمضمون الجملة فيكون ضرب الخبر طلبي، وشاهدنا الآخر: في قوله: (**فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة ...**) فعند النظر في هذا الشاهد نجد أنه اقترن بثلاثة مؤكدات واستفتح الشاهد بالقسم لتقوية الكلام وتوكيده وتمحقيق مضمون الجملة والمؤكد الثاني إن والثالث اللام والمخاطب هنا منكر لمضمون الخبر ولذا هو إنكاري.

٣. **الحديث السادس:** في هذا الحديث العديد من ضروب الخبر وما جاء مقترنا معها من مؤكدات فشاهدنا الأول قوله: (**إن الحلال بين**) وقوله: (**إن الحرام بين**) حيث ألقى الخبر للمخاطب وجاء معه مؤكد واحد وهو (إن) والمخاطب هنا متردد في الحكم وضرب الخبر هنا طلبي ([1])، ومثله ينطبق على قوله: (**فقد استبرأ لدينه وعرضه**) ولكن المؤكد هو الحرف قد لأنه تفيد التحقيق والتأكد كما مر معنا، ويتنوع ضرب الخبر في هذا الحديث فعند التأمل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ألا وإن لكل ملك حمى**) جاء فيه ثلاث مؤكدات (ألا) و (إن) و (اللام) ومجيء هذه المؤكدات الثلاث يعطي حكما على الخبر أنه إنكاري إذ المخاطب منكر لمضمون الخبر وإن قويت النسبة بين المسند والمسند إليه وألا أكدت الحكم لافتتاحها الجملة

[1] - روائع من أقوال الرسول: ٢٢٩.

واللام جاءت مؤكدة كذلك وتزاحم هذه المؤكدات يهبنا نحكم على الخبر أنه إنكاري وهنالك شاهد آخر و لم يأت معه إلا مؤكدين وهو قوله: (**ألا وإن حمى** ...) وقوله: (**ألا وإن في الجسد مضغة**) حيث جاء الخبر إنكاريا والمخاطب منكر للحكم ويدرجه الإنكار تأتي المؤكدات.

٤. **الحديث السابع**: النصحية كلمة جامعة معناها إرادة جملة الخير وحيازة لحظ المنصوح له وهي من وجيز الأسماء ومختصر الكلام ([1]) وشاهدنا البلاغي في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**الدين النصيحة**) حيث جاء الخبر وخوطب به المخاطب خالي الذهن ولا يعرف منه إنكار و لم نلمس منه شك أو تردد في أن النصيحة قطبها عظيم ولذا لم يأتي معه أي مؤكد من أدوات التوكيد.

٥. **الحديث الثاني عشر**: كلمات قليلة ذات معاني جليلة وعند تأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) ألقي الخطاب والخبر على مخاطب خالي الذهن من أي معنى من المعاني الواردة في الحديث ولذا جاءت من غير مؤكد لأنه لم يعلم منه شكا أو ترددا في قبول مضمون الخبر.

٦. **الحديث السابع عشر**: الرحمة لها شأنها البالغ في خريطة مفاهيم ديننا العظيم ولذا أصبحت متلازمة مع كل شيء من مظاهر الحياة وقوله: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**) جاء الخبر لمخاطب متردد في الحكم إذ من المعروف أن الرحمة هي من مفردات تعامل بني الإنسان وحسب إما أن تمتد إلى غيره فهذا محل شك ولذا جاء مع الخبر للمخاطب بمؤكد واحد.

[1] - شرح الأربعين النووية للإمام النووي : ٣٢.

٧. **الحديث الثالث والعشرون:** مر معنا سابقاً حديث حول هذا الحديث وما اشتمل عليه من معاني كبيرة وركائز من الدين عظيمة، جاء الخبر في قوله: (**الطهور شطر الإيمان**) بدون أي مؤكد ولذا ألقي الخبر لمخاطب خالي الذهن لا نعرف منه نكراً ولا نلمس منه أي تردد في التصديق بمضمون الخبر في كون الطهور يعدل نصف الإيمان وهو دلالة على مكانته في الشرع.

٨. **الحديث السادس والعشرون:** نعم الله التي أنعمها علينا كثيرة وأن نؤدي شكرها لله سبحانه وتعالى أمر أرجو به الله علينا وفي هذا الحديث يطرح الرسول عليه الصلاة والسلام ما يكفي تصديقا عن تلك الأعضاء وشاهدنا البلاغي: (**على كل سلام من الناس صدقة**) حيث ألقي الخبر على مخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر و لم يصدر أو يعرف من المخاطب أدنى شك أو تردد ولذا جاء بلا مؤكدات وهو إبتدائي.

٩. **الحديث السابع والعشرون:** أعطى الله لحسن الخلق منزلة كبرى إذ جاء في السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**ما وجد في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق يوم القيامة**) ([1]) ولذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم في شاهدنا يقول: (**البرحسن الخلق**) يجعله محصورا فيه ومن الملاحظ أن الخبر جاء لمخاطب لا يوجد لديه تردد ولاشك بل هو خالي الذهن و لم يصحب معه أي مؤكد وهو ما يعرف بالابتدائي.

١٠. **الحديث الثلاثون:** جاء التلازم بين الترغيب والترهيب علامة واضحة في قبول الأحكام التشريعية والانقياد لها أوالاستبعاد عنها، ولذا جاء قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله تعالى فرض فرائض فلا**

[1] - الحديث سبق تخريجه انظر صفحة :١١٤

تضيعوها...) والملاحظ هنا مجيء الخبر مؤكدا بمؤكد واحد ألا وهو إن في مطلع الخبر ومن المسلم به أنها تفيد التأكيد والتقوية بين المسند والمسند إليه وهو ما نشاهده في (**إن الله فرض**) وحرف التوكيد يعطي التأكيد لمضمون الخبر في الجملة.

١١. **الحديث الثالث والثلاثون**: ادعاء الملكية لشيء ليس لك وارد عند ضعاف النفوس وخالي الإيمان من القلوب ولذا يطرح الرسول عليه الصلاة والسلام الفيصل في القبول والرفض ففي قوله: (**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى** ...) جاء الخبر في جواب لو مقرونا باللام وكما مر معنا من قبل من حروف التوكيد للربط بين أجزاء الجملة ثم تصبح جملة واحدة في اكتمال المعنى وتعميق الصلة بنهما والخبر هنا ألقي على مخاطب متردد في الحكم لكونه لا يعرف الفيصل في القبول للدعوى أو رفضها ولذا جاء مصحوبا بمؤكد واحد.

١٢. **الحديث التاسع والثلاثون**: تتوارى البشارات لهذه الأمة إذ يقول الرسول مخاطبا الأمة: (**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان**) وعند التأمل في هذا الشاهد نلحظ فيه المؤكدات التالية أولا إن التي صدر بها الحديث وكما هو معلوم تلازم معنى التأكيد والتقوية لمضمون الجملة والخبر وقد ألقي لمخاطب منكر لمضمون الخبر إذ إن الإنسان محاسب على كل ما يصدر منه خيرا أو شراً ولكن الحديث أعاد ترتيب تلك الأفهام بشيء لم يكن محل تصديق ومعرفة إذ أخبر الرسول أن الله الكريم تجاوز عن السيئات في حالة الخطأ والنسيان والاستكراه وهذا هو المعنى الغير المعلوم والمسلم به قبل ([1]).

[1] - شرح ابن عثيمين. على الاربعين النووية :١١٤

المطلب الثالث الاستفهام(الانشاء الطلبي)

من المعلوم أن الإنشاء يقسمه علماء البلاغة إلى قسمين إنشاء طلبي وغير طلبي:

أما الطلبي: فتعريفه: ما يستدعي مطلوبا غير حاصل لوقت الطلب وهو محصور بين: الاستفهام والنهي والأمر والتمني والنداء، وغير الطلبي فهو: ما لا يستدعي أمرا حاصلا عند الطلب مثل التعجب وأفعال المدح والذم والقسم وأسلوب العرض والتحضيض ([1]).

ومعنى الاستدعاء وقت الطلب: أنك لو قلت لأحد الناس: اكتب الواجب فإن هذا القول يستدعي شيئا غير حاصل عند تلفظك به من المخاطب ، ونرى العديد من جهابذة البلاغة تجاهلا للإنشاء غير الطلبي وقد يرجع ذلك لأن تلك الصيغ أخبار وليست إنشاء ([2]).

وسوف نعرض بالتفصيل لكل نوع على حدة حسبما تدل عليه الشواهد والبسط في التعريف لكل أسلوب.

١- الاسفهام

تقاذف علماء البلاغة الاستفهام فشرقوا وغربوا في تعريفه وبسط الكلام فيه حتى أذهبوا قيمته البلاغية وراء جدل كلامي متكلف ([3]) وحتى لانسلك مسلكهم فإن تعريف الاستفهام المختار عندي هو: طلب الفهم واستخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به ([4])، وقيل: طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة ([5])، والأدوات التي خص بها الاستفهام منها ما هو

---

[1] - بغية الإيضاح: ٣٢.
[2] - البلاغة فنونها وأفنانها: ١٤٨.
[3] - انظر على سبيل المثال الإيغال في طرح الفرق بينه وبين الاستعلام ومعاني الأدوات: الكليات: ٦٧، لأبي البقاء العكبري مؤسسة الرسالة ط ١/ ١٤١٢هـ.
[4] - البلاغة فنونها وأفنانها: ١٦٨.
[5] - بغية الإيضاح: ٣٤/٢.

حرف كالهمزة وهل والباقي أسماء أستفهام (من) و (ما) و (متى) و (أيـــن) و (أيان) و (أنى) و (كيف) و (أي).

أما الأغراض التي يخرج الاستفهام فهي كثيرة وبما يرجع ذلـــك لتـــداخل المبهمات في تلك المعاني التي يخرج إليها وهذه الأغراض هي محل الوجهة البلاغية لهذ النوع من الإنشاء الطلبي.

فأولها: النهي والمعيار في ذلك صحة أن تحل أداة النفي محـــل الاســـتفهام ومثال ذلك قول الله تعالى: (**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ**) ([1]) أي ما أو لا جزاء من أحسن إلا الإحسان ومن السنة قول الرسول صلى الله عليـــه وســـلم: (**يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت؟**) ([2]).

والغرض الثاني: التقرير، ومعناه الإقرار والإذعان للحق وحمل المخاطـــب على الاعتراف بما يراد وتقريره به، وشاهده قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسا؟** ..) ([3]).

أثر الاستفهام في نفوس المخاطبين يحرك مشاعرهم إلى وصل بهم إلى الإقرار بدليل ما أجابوا به، وتأمل إقبال النفس من القبول بعد هذا الإقرار.

وثالثها التشويق: وهي أن يقصد من الاستفهام ترغيب المخاطب واستمالته وإثارة أشواقه ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**هل تدرون ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكـــافر..**) ([4]) سأل الرسول الصحابة و لم يرد منهم إجابة بل أراد التشويق لمعرفة ما ذا قال ربهم سبحانه وعند ما استولى هذا الاستفهام على مشاعرهم وجعلهم في حالـــة ترقب جاء الجواب ولنفوس قد اشرأبت وتطلعت.

---

[1] - سورة الرحمن آية : ٦٠.
[2] - رواه مسلم. كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٥)
[3] - فتح الباري ، ٢/ ١٤.
[4] - فتح الباري، ٢/ ٣٨٨.

رابعها التأكيد: ولا يخفى موقعه البليغ ولا علو مكانه الرفيع ([1]) على تأكيد المعنى بعد أن يتقدم كلام يحتاج فيه إليه للتأكيد فيأتي الاستفهام بغرض التأكيد ليكون ليلا عليه، وشاهده ومثاله: قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: **(ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)** ([2])، فالاستفهام في قوله: **(هل تحسون فيها من جدعاء)** الغرض منه التوكيد لما ذكر لهم في أول الحديث جاء الاستفهام ليؤكد على معنى الجدع وما يقابله في تغير الفطرة حيث أن التغير يأتي بعد الولادة من الوالدين أما الأصل فهي جمعاء أي سليمة.

خامسها البشارة: وهذا الغرض له روعته وإبداعه حينما تساق له البشرى من خلال أسلوب الاستفهام ولما فيه من الدلالات التي تظهر جليا في تقاسيم وجهه المبشر، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في حديث فاطمة رضي الله عنها عند ما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **(أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟)** ([3]) جاء الاستفهام حاملا بين طيته غرض البشارة فجاءت بين جوانبه البشرى لفاطمة بعد ما نفد هذا الاستفهام إلى أعماق قلبها ثم ترجم بالغرض البشري بها.

سادسها الإنكار: يأتي هذا الغرض لنكر مضمون الاستفهام للمتكلم فيما استفهم عنه فيكون الاستفهام مضمنا معنى الإنكار، وفي تأمل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: **(أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم؟)** ([4])جاء الاستفهام حاملا غرض الإنكار إذ أنكر الرسول على الصحابة رفع شكاوات تدل على جاهلية عميا وجهالة جهلاء ولو أتى الإنكار دون أن يخرج بلباس الاستفهام لأصبح مكشوفا وكان موقفه في النفس دونما إثارة للنكر.

---

[1] - الطراز: ١٧٦/٢.
[2] - فتح الباري، ٣/ ٢٦٠.
[3] - فتح الباري: ٦/ ٧٢٦.
[4] - دلائل الإعجاز: ١٢٠.

سابعها التكثير: وهو أن يأتي الاستفهام حاملا غرض التكثير للأمر المستفهم عنه ولن يكون مباشر خبريا وإنما عن طريق هذا الفن لما فيه من إثارة النظر ولفت الانتباه بعد ما تم إيقاظ مشاعرهم، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**كم من عذق معلق أو مدلى في الجنة لأبي الدحداح؟**) ([1]) ولاحظ كم أفاد الاستفهام معنى التكثير عن طريق طرح السؤال الذي لا يبحث فيه عن إجابة بل أفاد كثرة الفروق التي أعدها الله عز وجل لأبي الدحداح.

ثامنها الأمر: وعند ما يتوشى الاستفهام بحلية الأمر يعطي لونا من التشويق والتأثير بالأنفس المرتقية ويزيد من الإقتناع لا على سبيل الاستعلاء بل قمة التلطف ولما يحدثه من إغراء المخاطب وحثه على الاستجابة، وشاهده قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركولي صاحبي ؟ مرتين فما أوذي بعدها**) ([2]) وقد أفاد الاستفهام غرضا واضحا ألا وهو الأمر إذا المعنى اتركوا لي.

تاسعها الحث والترغيب: فهو طلب مشوب بلطف وتودد وهو غرض معين على تقبل الأمر من المخاطب في غاية الترفق وتأمل كيف تقبل الصحابة الأمر على سبيل الحث والترغيب في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: (**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة واحدة؟**) ([3]) فأنت ترى الاستفهام بغرض الحث والترغيب قد أطل بوجه الباسم المرفق حافزا للنفوس على حيازة ذلك الأمر العظيم.

عاشرها التهديد: يأتي الاستفهام بغرض التهديد لجعل النفوس تخاف مما عملت وليعطي فرصة للحديث الداخلي بينه وبين نفسه فيما اقترف فيطرح الاستفهام لهذا الغرض له دلالة في النفوس في أعماق الروح والانزجار ففي حديث أبي هريرة قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (**أما يخشى أحدكم إذا رفع**

---

[1] - الحديث رواه البخاري ومسلم...
[2] - فتح الباري: ٢٢/٧،
[3] - فتح الباري: ٨/ ٦٧٦.

رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟) ([1]) وتأمل يا رعاك الله كيف جاء الغرض البلاغي من الاستفهام عن طريق التهديد وكيف وقع النفوس لتقبله، ويخرج إلى أغراض كثيرة جداً قد يأتي مزيد بيان حولها ومنها الاستبطاء والتحقير والنهي وغير ذلك([2]).

[1] - فتح الباري: ٢/ ٦٩١.
[2] - لمزيد من بسط الحديث حول تلك الأغراض ، الاستفهام القرآني ١٢، وما بعدها د/ محمد توفيق مطبعة الأمانة بمصر بدون تاريخ.

تحليل الشواهد للاستفهام

١. **الحديث الثاني**: في هذا الحديث الطويل أو ما يعرف بحديث جبريل قائم عرض المعلومة فيه على طريقة السؤال والجواب فهو بناء هرمي معرفي لكل ما تم طرده من استفهامات وسأتجاوز كل ما جاء في الحديث من استفهام بصورته الحقيقية وغرضه الأصلي إلى ما خرج عنه الاستفهام من أغراض بلاغية وعند التأمل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**يا عمر أتدري من السائل؟**) سنجد أن كل من حضر تملكه العجب في معرفة من هذا السائل بل يوافق على الإجابة لأنه يملكها من قبل فعجبنا له يسأله ويصدقه، طرح الرسول عليه الصلاة والسلام هذا التساؤل لأنهم كانوا في ترقب معرفة هذا السائل فجاء الاستفهام حاملا غرضا بلاغيا ألا وهو التشويق.

٢. **الحديث العاشر**: محاربة الله بالمعاصي والسيئات دليل سخط من الله ومقت ومن كان حاله مع الله هكذا فكيف تمد له الأيدي ترجو رخاءه، جاء قوله (**فأنى يستجاب له**) استفهام يحمل غرضا بلاغيا ألا وهو الاستبطاء فالرجل الذي يطعم ويشرب ويلبس حراما قد اشتمل وارتكب مانعا يمنع إجابة الله لدعائه والاستفهام بغرض الاستبطاء يدل على أن أمر الإجابة محال ([1]).

٣. **الحديث الثاني والعشرون**: الدق مع الله في الطاعة والتبتل إليه بالأعمال الصالحة دأب الصالحين وكل يريد ما الذي يوصل إلى جنته ورخاءه، طرح الصحابي الجليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستفهام (**أرأيت أذا صليت المكتوبات؟**) والغرض من هذا الاستفهام واضح جلي ألا وهو التقرير إذ أراد الصحابي الجليل من الرسول إقراره وتقريره بما ورد

[1] - ولعل القارئ الكريم يرى أن الاستفهام قد يأخذ غرض التهديد من جهة أخرى ولعل المرجع عندي ما ذكرت وإذ كانت الإغراض قد يحصل بينها تناوب (باحث).

في الحديث والذي يلي أسلوب الاستفهام، والشاهد الآخر قوله: (**أدخل الجنة؟**) وهنا الاستفهام جاء بعد إيراد خصال الخير العظيمة من صلاة وزكاة وصوم وحج والمباعدة من الحرام والقرب من الحلال وغرض الاستفهام في هذا الشاهد هو التأكيد وقد مر معنا أن هذا الغرض يشترط له أن يتقدم عليه كلام يحتاج فيه إلى التأكيد ليكون دليلا عليه ([1]).

٤. **الحديث الخامس والعشرون:** لم يعرف قوم قط أسرع في المسابقة لله بالطاعات من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذا الحديث يرد معنا ثلاثة من الشواهد لفن الاستفهام: أوله: (**أوليس قد جعل لكم ما تصدقون؟**) جاء الاستفهام في مطلع هذا الشاهد منكرا لمضمون جملة الاستفهام إذا لنكر الرسول أن الصحابة لم يجعل لهم من الغرض للصدقة شيء، فالغرض هنا من الاستفهام الإنكار، وثاني الشواهد قوله: (**أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟**) ونلاحظ في هذا الشاهد استغراب واستنكار جلي لما قاله الرسول من حصول الأجر بمعاشرة الزوجة وإخفاء السعادة عليها لأنه من الملازمات وهذا هو موطن وموضع الاستغراب ولذا جاء الاستفهام منكرا لهذا المعنى والغرض منه الإنكار، والشاهد الأخير: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟**) فقد أتى الاستفهام ليؤكد معنى تردد العقل في قبوله والتسليم له ومعلوم أن الاستفهام إذا جاء وكان الغرض منه التأكيد يكون قبله معنى فيأتي الاستفهام للتأكيد على ذلك المعنى وإقراره في النفس وإجلاء كل مفهوم مخالف.

٥. **الحديث السابع والعشرون:** تتوالى جوامع الكلم بشواهده العطرة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا الحديث جاء الاستفهام من مقام الرسول عليه الصلاة والسلام (**حئت تسأل عن البر؟**) وكأن الرسول أراد من طرح الاستفهام تقرير المخاطب والتحقيق فيما يسأل عنه

[1] - انظر صفحة (١٢٩)البحث (باحث) .

فالغرض من الاستفهام التقرير والتحقيق ومعناه أن تقرير المخاطب بشيء ثبت عنده لكنك تخرج هذا التحقيق والتقرير بصورة الاستفهام وذلك لأنه أوقع في النفس وأدل على الإلزام ([1])، فالرسول قبل أن يمضي في أجابته وطرح ما جاء السائل ليسأل عنه جاء ذلك الاستفهام لغرضه البلاغي وسياقه البديع.

٦. **الحديث التاسع والعشرون**: شاهد الحوار وطرح التساؤلات على جهة الاستبصار والتيقن نلاحظ أنه مشهد دائم التكرار وفي هذا الحديث يطرح الصحابي ذلك الاستفهام (**وإنا لمؤخذون على ما نتكلم به..؟**) وعند التأمل في سياق الاستفهام نرى أن الصحابة طرحوا ذلك الاستفهام على سبيل الاستغرب في كون الله عز وجل يحاسب الناس على سائر كلامهم وإنما المتقرر عندهم ما كان فيه إثم أو فحش كالكذب والزور ولكن محاسبة العبد على ما تفوه به أشمل من ذلك فجاء الاستفهام بغرضه البلاغي وهو التعجب، وفي آخر تطوافنا مع هذا الحديث يختتم بمشهد استفهامي إذ يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: (**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**) ولعله من الواضح أن هذا الاستفهام يرتبط ما سابقه بالارتباط ثم طرح هذا الاستفهام بنبرة توحي بالغضب وقوة التوجيه وكأنها تلمح إلى وعيد وشديد محاسبة ولذا حمل الاستفهام على غرض التهديد وسره البلاغي التغلغل داخل الاستفهام بالاحتراز والحيطة وقد يكون الغرض منه التأكيد على معنى المحاسبة للسان كما سبق أن قلنا في تداخل الأغراض.

[1] - البلاغة فنونها وأفنانها: ١٩٠.

المطلب الرابع: الأمر

التعريف والأغراض:

يعد أسلوب الأمر من أعمدة الإنشاء الطلبي وسأذكر تعريفيه عند البلاغيين وأعرض عن ما قاله الأصوليون أو النحاة حتى لا تدخل في التقعيد المفضي للتعقيد.

ويكاد البلاغيون يجمعون على تعريف واحد بل متشابه إذ يقولون: (هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء مع الإلزام) ([1])،والاستعلاء هنا قد يكون حقيقيا وقد يكون ادعائيا ([2])، ويحصل الأمر بإحدى الصيغ الأربع:

١. فعل الأمر: قوله تعالى: (**يايحْيَ خُذْ الكِتَابَ بقُوةٍ**) ([3]).

٢. المضارع المقرون بلام الأمر قوله تعالى: (**لِينْفقْ ذو سَعَةٍ منْ سَعَتِه**) ([4]).

٣. اسم فعل الأمر مثل صه وعليكم...

٤. المصدر النائب عن فعل الأمر نحو: سعيا للخير وكقوله تعالى: (**وبَالْوالَدْينِ أحْسَاناً**) ([5])، أي أحسنوا بالوالدين.

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي الذي هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء إلى معان وأغراض تستفاد من القرائن وسياق الحديث ومن تلك الأغراض:

١. **الدعاء:** وذلك أن تأتي صيغة الأمر على معنى الدعاء كقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**اللهم اعط منفقا خلفا** ..)فقد خرج إلى معنى طلب الدعاء لمن سارع بالإنفاق والعطاء.

---

[1] - بغية الإيضاح: ٥٣/٢.
[2] - ويقصد بالادعائي خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى الأغراض الأخرى.
[3] - سورة مريم آية: ١٢.
[4] - سورة الطلاق آية: ٧.
[5] - سورة النساء آية: ٣٦.

٢. **التهديد**: حيث يحمل الأمر على غرض التهديد من خلال السياق ومثاله **(قلْ تَمَتّعُوا فإنَّ مَصْيرَكُمْ إلى النَّارِ)** ([1]).

٣. **الإرشاد والنصح**: وله بريقه الآخاذ وأسلوبه المانع من تحويل الأمر على ظاهره إلى معنى النصح والإرشاد وشاهده قول الشاعر:

إذا بَلغَ الَرأْيُ المَشُورَةَ فاسْتَعَنْ بِرأْيِ نَصيْحِ أوْ نَصيحة حازم[2]

٤. فالأمر في لفظ (استعن) خرج إلى معنى النصح والإرشاد.

٥. **التحفيز**: وعند خروج الأمر على حال هذا الغرض لا تسأل عن موقعه في النفس وقد يكون رادعا عن التمادي فيه وتأمل:

دع المكارم لا ترحل ببغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

([3]) حيث جاء بصيغة الأمر على سبيل التحفيز لشخصه وأنه لا يحمل مقومات الرجولة والشهامة وأجراه بأسلوب الأمر بلطف.

٦. **التعجيز**: وقد يكون لمخاطب يدعي صنع ما لا يصنع فيخرج به الأمر على هذا الغرض البلاغي البديع ومثاله قول الله تعالى: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ منْ مِثلْهِ)** ([4]).

وقد يخرج الأمر على أغراض غير ما ذكر كما لالتماس والتمني والإباحة والتخيير والتسوية وهي تفهم من السياق وقرائن الأحوال ويعرف أن الأمر استعمل في غير معناه الأصلي.

---

[1] - سورة إبراهيم آية: ٣٠.
[2] البيت للشاعر بشار بن برد ديوانه: ١٥١
[3] - البيت للشاعر الحطيئة: جرول بن أوس كان خبيث الهجاء وسجنه عمر لفرطه في ذلك توفي سنة ٣٠ والبيت في ديوانه:
[4] - سورة البقرة آية: ٢٣.

تحليل الشواهد لأسلوب الأمر

١. **الحديث الثاني**: تكرار الأمر في قوله: (**فأخبرني**) في الحديث عدة مرات وقد أطلت فيها النظر فلم أرى الأمر خرج عن معناه الأصلي وإن كان يفهم منه النصح والإرشاد ولكن المعنى الحقيقي للأمر في الحديث ليس كذلك إذ الرسول عليه الصلاة والسلام يجيب على طلب جبريل عليه السلام للتعليم وليس النصح والإرشاد والله أعلم فيما جرى.

٢. **الحديث التاسع**: شرائع الدين كثيرة والنجاة في ترك ما حذر منه المصطفى عليه الصلاة والسلام والسلامة في فعل ما رغب فيه وشاهدنا (**فاجتنبوه**) و (**فأتوا منه**) حيث خرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى النصيحة والإرشاد للأمة إذ المقام مقام توجيه وإصلاح للبشرية وتأخذ النفس البشرية ذلك الأمر على محمل الحب والطاعة كيف لا وهو من معلم البشرية وقد أجراه بأسلوب الناصح والمرشد.

٣. **الحديث الحادي عشر**: يخالط الناس في سائر حياتهم أمرو يقف عندها الزاهد والورع موقف المتحير فيضع له الرسول صلى الله عليه وسلم منهجا يمشي عليه إذ يقول: (**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**) أي ما تجد فيه شكا وريبة تجاوزه إلى الذي لا مراء فيه فأنت ترى أن الأمر خرج من معناه الأصلي إلى معنى النصح والإرشاد.

٤. **الحديث الخامس عشر**: للإيمان منزلته عند الله وعليه تتفاوت درجات الجنان وفي تعليق شيء بالإيمان يدل على أن ذلك الأمر المتعلق به ذو شأن ونصيب وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**) وكذلك (**فليكرم جاره**) والشاهد الأخير (**فليكرم ضيفه**) تعليق لثلاثة أمور: قول المسلم كلاما نافعا أو صمته عن الباطل واللغو وإكرام الجار وإكرام الضيف ومعلوم أيضا أن

الكرم من الإيمان كما في غير حديث، وكون هذه الأمور علقت بالإيمان فإن الأمر فيها خرج على غرض التهديد في تفريط المؤمن بإيمانه وإن كان الأمر قد يخرج لغرض آخر قد يقال به فإني أرى التهديد أولى نظرا لخطورة ذلك الأمر.

٥. **الحديث السادس عشرة:** امتدح الله عز وجل من يملك غضبه لا من يطلق لنفسه الغضب لأن العواقب ستكون وخيمة على صاحبه وعلى من يطالبه أذاه ولذا جاء الصحابي الجليل ويبدو عليه آثار الاستعجال والغضب فكانت اللمسة الحانية والتوجيه السامي بعدم الغضب وقوله: (**أوصني**) فيه دلالة الإرشاد والنصح من معلم البشرية وجاء الأمر من الصحابي موجهة للرسول عليه الصلاة والسلام على ذلك الغرض طلبا في المناصحة والإرشاد.

٦. **الحديث السابع عشر:** الإسلام دين الرحمة حتى مع الحيوانات فكيف مع بني البشر وفي هذا الحديث يضع الرسول إشارات تضيء للناس دروب التعامل مع الحيوان بقوله: (**فأحسنوا .... وليرح ...**) غاية في اللطف ونبل التصرف والأداء وكلها صيغ أمر جاءت على غرض النصح والإرشاد وإن كان الأخير يحمل غرضا آخر ألا وهو الإباحة والسياق قد يدل عليه.

٧. **الحديث الثامن عشر:** التقوى شأنها عظيم ومنزلتها ذات أمر جلل وقوله عليه الصلاة والسلام: (**اتق الله**) وكذلك (**وخالق الناس بخلق حسن**) وهو كما واضح يأخذ معنى النصح والإرشاد وحسبك بالمداومة والنصح على التزام التقوى وعدم التخلي عن مكارم الأخلاق.

٨. **الحديث التاسع عشر:** الحديث في مجمله بل من مطلعه إلى آخر لوحة فيه تصب في مقام الإرشاد والتوجيه ويدل عليه (**احفظ الله .. فاستعن بالله**

.. **تعرف على الله** ..) فكلها أساليب أمر جاءت بقالب النصح والإرشاد والمشفق عليه الصلاة والسلام.

٩. **الحديث العشرون**: جاء في الحديث الصحيح (**الحياء شعبة من الإيمان**) ([1]) والحياء صفة عز وجودها وضاعت بين أخلاق مستورة وعادات أصبح محمة بل مقدسة وقوله: (**إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**) والأمر في هذا جاء على غرض التهديد نظرا لخطورة من يتخلى عن ذلك الخلق الثمين وهو مناسب لسياق الأمر إذ المقام مقام التخويف وحسبك به زاجرا.

١٠. **الحديث الحادي والعشرون**: وفي قوله: (**قل آمنت بالله ثم استقم**) قد يقال أنه جاء على الأمر على سياق وغرض النصح والإرشاد والمختار عندي أنه على غرض الوجوب وهو ما أشار إليه الإمام الآمدي في كونه على سبيل الإلزام والوجوب وليس غير ذلك ([2]).

١١. **الحديث الرابع والعشرون**: جاء في هذا الحديث القدسي العديد من أساليب الأمر وكلها جاءت بعد إيضاح وبيان وهذا يعزز قيمة ما سيؤمر به العبد وهي كما يلي: (**فاستهدوني... فاستطعموني.. فاستغفروني...**) والمقام هنا مقام عرض لجانب من جوانب رحمة الله بعباده والغرض هنا إرادة الدوام وهذا الغرض قد يكون متداخلا مع الدعاء ([3]).

١٢. **الحديث الثامن والعشرون**: المقام في هذا الحديث كما أخبر به الصحابي وراوي الحديث أنهم طلبوا من الرسول التوجيه والموعظة ففي قوله: (**أوصنا**) الأمر في جلي أنه على سبيل الإرشاد والمناصحة، أما

---

[1] - الحديث رواه البخاري ومسلم. كتاب الايمان باب شعب الايمان برقم (٢٨)
[2] - الإحكام في أصول الأحكام للإمام الآمدي، ٢/ ٢٠٧طبعة ....
[3] - البلاغة فنونها وأفنانها: ١٥٠.

الشاهد الآخر وهو قوله: (**عضوا عليها بالنواجذ**) فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى معنى الوجوب ولفظة العض موحية بذلك وفيها من المعاني ما يكفي أنه خارج عن معنى الأمر المجرد، أما الشاهد الأخير وهو: (**إياكم ومحدثات الأمور**) فهو جاء أولا بطريق اسم الفعل بمعنى احذر والمعنى الذي جاء الأمر له ترك المحدثات والبدع وهو أمر محرم وارتكابه خطر على الاعتقاد وسلامة الإيمان ولذا الغرض في التهديد.

١٣. **الحديث التاسع والعشرون**: كل ما في الحديث صيغ على صفة الأمر والوجوب والاتباع ويصادفنا قوله عليه الصلاة والسلام: (**أخبرني .. كف عليك هذا..**) فواضح أنه جاء على غرض النصح والإرشاد، أما السياقات التالية: (**تعبد الله ... وتقيم الصلاة... وتؤتي الزكاة..**) فالفعل ليس من أساليب الأمر الأربعة المتفق عليها وإن كان يحمل معنى الأمر فهو على غرض الوجوب وشراح الحديث قالوا إن الصلاة هنا والزكاة تحمل على باب الندب فيكون غرضه المناصحة والإرشاد ([1]).

١٤. **الحديث الحادي والثلاثون**: ما أحرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على خصال الخير والمسارعة فيها والرغبة الجامحة يدل عليها (**دلني على عمل ...**) فكان الجواب (**ازهد في الدنيا يحبك الله ...**) فهو غرض الإرشاد ومن الملاحظ أن كثيرا من يحمل الأمر إذا كان علوا على هذا الغرض.

١٥. **الحديث الرابع والثلاثون**: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عده بعض أهل العلم أنه بمنزلة الركن السادس في الإسلام، وأسلوب الأمر في قوله: (**فليغيره بيده**) فعل مضارع مقرون بلام الأمر وتغير المنكر

[1] - شرح النووي على الأربعين: ٧٨.

جاء بسياق الإلزام فهو على غرض الوجوب ولا يفهم منه النصح لأن مقام النصح ليس فيه وجوب وإلزام وإنما هو استحباب وتلطف.

١٦. **الحديث الأربعون**: ما أبلغ حرصه وأشد اهتمامه صلى الله عليه وسلم على صحابته فهذا الحديث مثال على ذلك: (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**) وقد يقال أنه جاء على سبيل المناصحة ولكن غرضه هنا التخيير فهو يخيره بين العيش في الحياة مثل الغريب عن أهل البلد مترفعا عن البسط معهم والخوض في متاع الحياة أو الرجل المار الذي يعرف أنه في سفر فلا يستقر ترحاله إلا في مقصده والغرض هنا على سبيل التخيير.

المطلب الخامس :لنهي

التعريف والأغراض:

أجمع البلاغيون على أن النهي يقتضي الفور أما الأمر مختلف فيه هل هو على الفور أو التراخي وهذا الخلاف مسلك كلامي الدخول فيه يفقد الشاهد البلاغي روعته وجماله.

وقد عرفه علماء البلاغة بقولهم: (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء) وله صيغة واحدة المضارع المسبوق ب (لا) الناهية ([1]).

وهو من أنواع الإنشاء الطلبي وقد يخرج عن معناه إلى معنى آخر يفهم من السياق وقرائن الأفعال ([2]) ومما قد يخرج إليه من المعاني:

١. **الدعاء** كقوله تعالى: (**رَبَنا لْا تَزَغْ قُلُوبَنا بعْدَ إذْ هَدْيتَنا**) ([3])

٢. **التهديد**: كما تقول للمفرط في طاعة الله: لا تفكر في التوبة على سبيل التهديد له فالنهي خارج عن معناه الأصلي إذ ليس المراد نهيه عن التوبة بل التهديد له بالاستمرار في غيه.

٣. **الإرشاد**: وهو من أكثر الإغراض التي يخرج لها النهي من معناه الأصلي ومثاله قول الله تعالى: (**يا أيُّها الذْينَ أمَنُوا لا تَسْأَلُوا عنْ أشْياءٍ إنْ تُبْدَ لكَمْ تَسُؤْكُمْ**) ([4]).

٤. **التوبيخ**: وهو ما يخرج له النهي وهو أرشد وقعا من التهديد وقد يكون في شيء قد وقع ومثاله قول الشاعر:

لا تَنْه عنْ خُلقٍ وَتأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ علْيكَ إذَا فَعلْتَ عَظِيمُ ([5]).

---

[1] - بغية الإيضاح: ٥٦/٢.
[2] - معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة نشر دار الرافعي جدة، ١٤٠٨هـ طبعة ٣.
[3] - سورة آل عمران آية: ٨.
[4] - سورة المائدة آية: ١٠١.
[5] - البيت لأبي الأسود الدؤلي عالم النحو فقيه شاعر ولد ١٦هـ وتوفي بالبصرة ٦٩ والبيت في خزانة الأدب: ٥٦٤/٨.

٥. **التئييس:** كقوله تعالى: **(يا أَيُّها الّذيْنَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيوْمَ)** ([1]) فهو خارج عن معناه الأصلي المجرد إلى معنى التئييس وهو معنى بليغ بديع وقد يخرج إلى غير ما ذكر كا التمني والتحقير.

[1] - سورة التحريم آية: ٧.

تحليل الشواهد لأسلوب النهي

١. **الحديث السادس عشر**: الغضب بئس الخلق هو ويكفي أنه وصف بأقبح الأوصاف حيث أنه من الشيطان فالرسول ينهي الصحابي بعدم الغضب ثم يعود عليه النهي (**لا تغضب** ...) فالنهي هنا جاء على غرض التوبيخ وقد يكون في المرة الأولى إرشادا وفي الثانية لما لم يرعوِ جاء النهي توبيخا.

٢. **الحديث الرابع والعشرون**: ما أشد تحريم الظلم ولذا صدر به الحديث لإعلاء صوت المناداة به وتجنبه لما رتب الله عليه من الوزر والإثم الكبير فجاء قوله: (**فلا تظالموا**) النهي على معنى غير معناه الأصلي وخرج به إلى معنى النصح والإرشاد لعدم معرفة سابقه في السياق بالوقوع فيه وختام الحديث (**ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**) فسياق الحديث هنا يشعر بالتخويف ولذا يحمل النهي على غرض التهديد.

٣. **الحديث التاسع والعشرون**: رتب الله على دخول الجنة توحيد الله وعدم الإشراك به وشاهدنا قوله عليه الصلاة والسلام: (**تعبد الله ولا تشرك به شيئا**) فالمقام مقام نصح وإرشاد إذ يقدم الرسول نصحه للأمة بإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك بالله وسؤاله الثبات على ذلك.

٤. **الحديث الثلاثون**: الحديث كله واقع في جملة من المنهيات (**فلا تضيعوها.. فلا تعتدوها.. فلا تنتهكوها... فلا تبحثوا عنها..**) فأربع أساليب نهي كل تحمل معنى الإرشاد وقد يخرج إلى غرض التوبيخ ما إذا كان سياق الحديث أتى بعد الوقوع في شيء من ذلك ([1]).

٥. **الحديث الخامس والثلاثون**: هذا الحديث كأنه مقسم لقسمين الأول منه جملة من المنهيات (**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع أحدكم على بيع بعض**) فالنهي عن الحسد والتناجش في البيع

[1] - شرح الأربعين. لابن عثيمين :٣٣٩

والحقد على المسلم والقطيعة كلها أمور وقع عليها النهي على غرض المناصحة والإرشاد وكلها مما يكدر صحو المجتمع المسلم ويعكر وحدته.

٦. **الحديث الأربعون**: الزهد في الدنيا وترك ملذاتها والاستعداد ليوم الرحيل أمر ندب إليه الشارع الكريم بل رغب فيه وما أدل على اختصار ذلك المعنى في قول ابن عمر في الحديث: (**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح... فلا تنتظر المساء..**) أسلوب النهي هنا جرى في مجرى العتاب اللطيف و لم يكن أسلوبه عنيفا على النفس حتى لا ترعوي أو تأخذ استعدادها بل جاء غرض النهي على معنى النصح والإرشاد المحض.

المطلب الخامس :لنداء

أولا التعريف والأغراض

وهو مأخوذ من ندى الصوت أي بعده أما البلاغيون فلهم العديد من التعاريف حول تعريف هذا الأسلوب البلاغي الفريد فما قالوا فيه : (طلب الإقبال حسا أو معنى بحرف نائب مناب أدعو ملفوظا به أو مقدرا) ([1]).

وقيل بل النداء: طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب أدعو لفظا أو تقديرا ([2]).

وأدواته ثمانية: الهمزة وأي لنداء القريب و(يا) و (أو) و (أي) و(أيا) و(هيا) و (وا) وهي لنداء البعيد.

وقد تنزل البعيد منزلة القريب للدلالة على أنه قريب من القلب حاضر في الذهن وقد يعكس فتنزل القريب منزلة البعيد للدلالة على رفعة منزلته أو صفتها أو غفلته وذهوله ([3]).

وقد تخرج أساليب النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تعرف من سياق الكلام وقرائن الأحوال منها:

١. التحسر والتوجع: كقول الله عز وجل: (**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا**..) ([4]) فالنداء خرج من معناه الأصلي وهو طلب المخاطب بالإقبال إلى معنى التحسر والتوجع.

٢. التعجب كقول الشاعر:

يا لكِ مِنْ قُبْرةٍ بِمَعْمَرٍ خَلاَلَكِ الَجْو فبيْضِي واصْفِرِي([5])

---

[1] - مواهب الفتاح شروح التلخيص ٢/ ٣٣٣ يعقوب المغربي نشر أدب الحوزة ، قم، بلا تاريخ.
[2] - علم المهاني والبديع: ١٢٦.
[3] - بغية الإيضاح: ٢/ ٥٩.
[4] - سورة الزمر آية: ٥٦
[5] البت للشاعر طرفة بن العبد البكري شا عر جاهلي من أصحاب المعلقات قتب وهو شاب :٦٠ قبل الهجرة

٣. نداء هنا ليس على معناه الأصلي بل خرج إلى غرض التعجب من حـــال تلك القبرة .

٤. الزجر: أفُؤَادِيْ مَتَى المَتَابُ ألَّا تصْحُ والشْيبُ فَوقَ الَرأْسِ أَلَمَّا [١]

فالشاهد أنه أسلوب النداء ليس على ظاهر معناه الأصلي بل خرج إلى معنى الزجر للنفس عن التمادي بالتوبة والإقبال على الله.

وقد يخرج لأغراض غير ما ذكر كا لنوبة والإغراء والاستغاثة

[١] لم أعثر على قائله ونسبة القصيدة انظر قصائد في الزهد امحمد أحمد سيد :١٨ نشر مكتبة السوادي مكة

تحليل الشواهد لفن النداء

١. **الحديث الثاني**: في حديث الإيمان كما يحلو بعض شراح الأحاديث لتسميته أو حديث جبريل على الأشهر ورد فيه العديد من اللفتات المشرقة كيف لا ومشهد الحديث يكتنفه جوانب الغموض في هذا الأعرابي الذي يسأل وهو يعرف الجواب و لم يجد من الرسول صلى الله عليه وسلم إنكاراً، وفي نهاية الحديث جاء شاهدنا (**يا عمر أتدري من السائل**) وهذا النداء فيه علامة ترقب وشوق ولذا جاء النداء خارج عن معناه الأصلي إلى معنى الإغراء.

٢. **الحديث العاشر**: التبتل لله بالدعاء يحتاج لروافد حتى يتم قبول تلك الدعوات ويشفع لها الحال التي قيلت فيه ونرى قوله: (**يا رب.. يا رب..**) جاءت في سياق الإلحاح على الله بالدعاء ورجاء فيدل الدعوة فقد خرج النداء عن المعنى الأصلي إلى معنى التحسر والتوجع وهو مقام يناسب حال الداعي إلى الله عز وجل.

٣. **الحديث التاسع عشر**: مخالطة الرسول في مجالسه كانت أنبل الغايات لدى الصحابة فكيف بالركوب معه على ظهر واحد؟! نادى الرسول الصحابي الجليل (**يا غلام..**) في سياق سرد لطائفه من الوصايا الذهبية والنصائح الأخروية فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى الإغراء حتى يتلهف لما سيقوله له.

٤. **الحديث الرابع والعشرون**: بني هذا الحديث على نداءات متتابعات يحمل كل أسلوب نداء على معنى يقرره الله عز وجل ثم يدعو الناس لامتثاله والعجيب أنه كل ما ورد في هذا الحديث جاء على صيغة (**يا عبادي**) وأضافت العبودية لله سبحانه تشريف للعبيد الضعفاء المساكين مما جعل هذا الأسلوب أكبر حافز لتلقي ما جاء فيه من نداءات وهل

أشد إغراء على النفس في كون جبار السماوات يناديا (**يـــا عبـــادي**) فالنداء خرج عن معناه الأصلي إلى معنى الإغراء وحسب.

٥. **الحديث الخامس والعشرون:** لم يعرف أحد كان أسبق مـــن الصـــحابة في المسارعة لأبواب الخيرات فها هم الصحابة يشكون للرسول قلة ذات اليد في المسابقة فقالوا: (**يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور...**)، وواضح أن السياق لأسلوب النداء خرج عن معناه الأصلي إلى معنى الاستغاثة حتى يلحق بهم الرسول ويدلهم على أبواب يسارعون فيها على سبيل التعجيل واللحـــاق بمن تغلب عليهم، وفي آخر الحديث يطل علينا شاهد آخر ألا وهو قوله: (**يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر**) فمعنى النداء هنا لـــيس هو المعنى الأصلي له بل هو خارج لمعنى التعجب في كـــون اللـــذات مـــع الزوجات يحصل عليها الأجر.

٦. **الحديث الثالث والعشرون:** المقام في هذا الحديث مقام نعيم عن قرب رحيل المصطفى للدار الآخرة عليه الصلاة والسلام وهذا الاحســـاس نـــراه علـــى تساؤلات الصحابة وبسمات وجوههم قال الصحابة: (**يارسول الله كأنهـــا موعظة مودع**) فالنداء خرج عن معناه الأصلي من إقبال المخاطب إلى معنى التحسر والتوجع وكيف لا والمقام خير شاهد على ذلك.

٧. **الحديث الثاني والأربعون:** إرجاع الناس إلى أبيهم ولفت أنظارهم لنعمة الله عليهم بالهداية والخلق وأن اصطفى لهم الدين مشاهد حاضرة في هذا الحديث والنداء المكرر: (**يا ابن آدم**) يتكررها لثلاث مرات جاء النداء على معـــنى غير المعنى الأصلي للنداء إذ خرج لمعنى الإغراء إذ مابعد جملة النداء فيه إيحاء سعة رحمة الله وعفوه وهو ما يناسب المقام أما من قال أنه زجر فلم يثبت لي من خلال السياق غير ما تقدم والله أعلم ([1]).

[1] - ولعل عند المقارنة بين غرض الإغراء والزجر يتضح لك أخي الكريم أن المقام مقام عرض دعوة مشوقة.

المبحث الخامس أحكام المسند والمسند إليه:

أولاً التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير متلازمان بمعنى أن كل تقديم في الحقيقة يستوجب تأخيراً وكل تأخير يستوجب تقديماً لأحد الشيئين أعني المسند والمسند إليه والذي حمل البلاغيين على الاهتمام بهذا الموضوع كونه أتى على خلاف ما يعتاده الناس في كلامهم ذلك ([1])أن الأصل في الجملة الفعلية أن يحل الفعل أولاً ثم يليه الفاعل ثم المفعول به والمقيدات الأخرى وفي الإسمية يأتي المفيد ثم الخبر وهذا التقديم والتأخير له أسراره البلاغية.

وقيل في تعريف التقديم والتأخير للمسند والمسند إليه: (جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة) ([2]).

وقد عني أرباب البلاغة بهذا الباب أيما عناية فهذا قطب البلاغة يقول فيه: (هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه..) ([3]).

ويبدو أن السر البلاغي فيه مبني على التشويق والتطلع مما تأخر أو ما تقدم من المسند أو المسند إليه وذلك لأن المتلقي يسمع لفظا قدم عن رتبته الأصلية فإنه يتوقع ذلك المتأخر ويتشرف إليه ويترقب اكتما المعنى عن توثب ورغبة.

وفي التقديم والتأخير كذلك أسرار بلاغية ولا سيما إذا كان في هذا التقديم والتأخير زيادة في إيضاح المعنى وفي تحسين الكلام ولهذا كان الاتصال بالبلاغة له جانبه القوي من المكانة والرفعة وهو يضع المعنى قبل الألفاظ في موضعها المؤثر على النفس.

---

[1] البلاغة الاصطلاحية ، د/ عبده قلقيلة دار الفكر العربي القاهرة: ١٤٠٦هـ الطبعة الأولى.
[2] - الأكسير في علم التفسير: ١٥٤. للفقيه الطوفي سليمان عبد القوي
[3] - دلائل الإعجاز: ١٠٦.

والتقدم والتأخر له ثلاث صور وهي إما أن يتقدم المسند أو المسند إليه، أو يتقدم عليهما أحد المتعلقات.

فتقدم المسند إليه على المسند يكون لأغراض بلاغية منها:

تمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه فقد يأتي المسند إليه وفيه ما يوجب الدهشة والاستغراب وحصول اللهفة إلى سماع الخبر ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**أفضل الأعمال الصلاة لوقتها**) ([1]).

ولاحظ كيف التقديم والتأخير أثار الانتباه وأيقظ الذهن لأن الصلاة مبتدأ وقد أخر ، وقد يتقدم لغرض التعميم ويحصل هذا إذا تقدمت ألفاظ العموم ككل وجميع وعامة وكافة وما يشبهها من الأدوات فإذا أردت التعميم قدمت المسند إليه كما تقول: (كل الناجحين لم يأخذوا جوائزهم) وعليه قول الشاعر:

مَا كُلُ مَا يتَمَنَى الْمرءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِيَاحُ بمَا لا تَشْتِهِي السُفُنُ ([2])

فلفظ كل قدم لحصول التعميم المعنى الوارد في البيت وأخر المسند عنه، ومن الأغراض تعجيل المسرة أو المساءة ومنه قول العرب في الأمثال: (يداك أوكتا وفوك نفخ) فالمسند إليه الفاعل المقدم وكذلك فوك على المسند الذي هو حل محل الفعل في الجملتين والتقدم هنا لتعجيل المساءة.

وكما أسلفنا أن أي تقدم للمسند إليه هو تأخير للمسند والعكس كذلك فإن الأغراض التي سقناها لتقدم المسند إليه على المسند ومن ذلك قول الشاعر:

(ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الْدُنْيا بِبَهْجَتِها شَمْسُ الضْحَى وأَبَو إسْحاقَ والقَمَرُ([3]).

---

[1] - مسلم كتاب الايمان رقم (٨٥)

[2] - البيت للشاعر أبي الطيب المتنبي، ديوانه ٤/ ٣٦٦.

[3] - البيت للشاعر محمد بن وهيب يمدح المعتصم ، العمدة لابن رشيق القيرواني، ١٣٩/٢، نشر دار الجيل طبعة ١٩٧٢م .

ثانيا تحليل الشواهد لتقديم المسند إليه والمسند

١- الحديث الأول:

(**لكل امرئ ما نوى**) حيث قدم المسند (لكل) خبر شبه جملة مقدم على المسند إليه (الاسم الموصول "ما") الذي محله مبتدأ مؤخر، لأن أصل الجملة: ما نوى لكل امرئ، وفائدة تقديم المسند على المسند إليه هنا الاختصاص، فقيمة وأجر كل عمل مرتبط ومختص بنية صاحبه، فإذا كانت الأعمال بالنيات فإن تقدير كل عمل من حيث درجة الثواب والعقاب مرتبط بنية صاحب العمل.

٢- الحديث الثاني:

(**ولا يعرفه منا أحد**) حيث قدم المفعول به (الهاء) الضمير المتصل بالفعل على الفاعل (أحد) وهو المسند إليه لأنه إذا كان المفعول ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا وجب تقديم المفعول على الفاعل، والغرض البلاغي هو الاهتمام به، كما أنه قدم متعلق الفعل الجار والمجرور، (منا) على الفاعل أيضا، والغرض الاهتمام بالجالسين، وأن هذا الرجل غير معروف بالنسبة لهم جميعا.

٣- الحديث الرابع:

(**حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع**) حيث قدم المسند (خبر يكون) شبه جملة (بينه) على المسند إليه اسمها (ذراع)، والغرض التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب وكونه أوشك على دخول الجنة حتى ما بقي إلا ذراع.

٤- الحديث الخامس:

(**ليس عليه أمرنا**) حيث قدم المسند شبه الجملة (عليه) خبر ليس على المسند إليه اسمها (أمرنا) والغرض الاختصاص، أي اختصاص مقايسة أي أمر بما جاء في الشرع وليس مقايسة بأي أمر آخر خارج عن الشرع.

٥- الحديث السادس:

وفيه بعض الشواهد للتقديم والتأخير، الشاهد الأول: (**وبينهما أمور مشتبهات**) حيث قدم المسند خبر شبه الجملة (بينهما) على المسند إليه المبتدأ (أمور) والغرض الاختصاص، أي اختصاص هذه الأمور المشتبهات بكونها تكون بين الحلال والحرام البين، والشاهد الثاني (لا يعلمهن كثير من الناس) قدم المفعول به الضمير (هن) المتصل بالفعل على الفاعل الاسم الظاهر الذي هو المسند إليه تشويقا إليه (كثير)، (**ألا وإن لكل ملك حمى**) قدم المسند (خبر إن) شبه الجملة (لكل) على المسند إليه اسمها (حمى) والغرض البلاغي الاختصاص، أي اختصاص كل ملك بحمى لا يشاركه فيه أحد.

(**ألا وإن في الجسد مضغة**) قدم المسند (خبر إن) شبه الجملة (في الجسد) على المسند إليه (مضغة) والغرض الاختصاص، أي اختصاص الجسد بوجود هذه المضغة وهو القلب.

٦- الحديث التاسع:

(**فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم**) حيث قدم المفعول به (الذين) ومتعلق الفعل (الجار والمجرور) (من قبلكم) على الفاعل (كثرة) ، والغرض التشويق إلى معرفة سبب هلاك الأمم السابقة.

٧- الحديث الحادي عشر:

(**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) حيث قدم المسند خبر شبه الجملة (من حسن) على المسند إليه (تركه) والغرض التشويق إلى ذكر المسند إليه.

٨- الحديث التاسع عشر:

(**قد كتبه الله لك**)، (**قد كتبه الله عليك**) قدم المفعول به الضمير المتصل بالفعل (الهاء) على الفاعل الاسم الظاهر والذي هو المسند إليه (الله) لغرض بلغي ظاهر ألا وهو إظهار الاهتمام به على حساب المسند.

٩- الحديث العشرون:

(**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) قدم المسند خبر شبه الجملة (مما أدرك) على المسند إليه المبتدأ وهو جملة (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) والغرض التشويق إلى ذكر المسند إليه.

١٠- الحديث الثالث والعشرون:

(**كل الناس يغدو**) قدم المسند إليه (كل) المبتدأ على المسند (يغدو) خبر المبتدأ والغرض إفادة التعميم.

١١- الحديث الرابع والعشرون:

وهذا الحديث القدسي يجمع عدة لوحات قيمة للتقديم والتأخير، الشاهد الأول: (**كلكم ضال**) (**كلكم جائع**) **كلكم عار**) قدم السند إليه المبتدأ (كلكم) على المسند الخبر (جائع) و (ضال) و (عار)، والغرض إفادة التعميم كما مر من قبل، أما الشاهد الآخر (وأنا أغفر الذنوب جميعا) المسند إليه هو الضمير (أنا) والمسند هو الجملة الفعلية (أغفر) وهذا النوع من التركيب يتكون من: مسند إليه + مسند فعلي + مسند إليه.

والمسند إليه الثاني هو نفسه الأول، يقصد به ذات واحدة، والغرض هنا التوكيد والتقوية.

وشاهدنا الأخير في هذا البيان النبوي (**وجعلته بينكم محرما**) حيث قدم شبه الجملة (بينكم) متعلق الفعل على المفعول به الثاني للفعل (محرما) ، والغرض

الاهتمام بكون هذا التحريم بينهم، فالظلم محرم بينهم وبين غيرهم، ولكن حرمته بينهم أشد وأكبر.

١٢- الحديث الخامس والعشرون:

أسلفنا الحديث سابقا عن تسابق الصحابة في ميدان الخير وللتقديم والتأخير في هذا الحديث حضوره وشواهد فيه (**إن لكم بكل تسبيحة صدقة**) حيث قدم المسند (شبه الجملة، لكم) خبر إن على المسند إليه (صدقة) اسم إن، والغرض التشويق إلى معرفة الجزاء أو الأجر.

أما الشاهد الثاني:

(**وفي بضع أحدكم صدقة**) حيث قدم المسند (شبه الجملة) خبر المبتدأ على المسند إليه (صدقة) المبتدأ، والغرض التشويق إلى معرفة الجزاء أو الأجر، وهناك شاهد آخر: (ويكون له فيها أجر) قدم المسند (شبه الجملة:له) خبر يكون على المسند (أجر) اسم يكون، والغرض التخصيص، أي كون الأجر له وحده، وفي الشاهد الثاني: (**أكان عليه وزر**) قدم المسند (شبه الجملة: عليه) خبر يكون على المسند (وزر) اسم كان، والغرض التخصيص، أي كون الإثم يقع عليه وحده، أما شاهدنا الأخير في هذا الحديث: (كان له أجر) قدم المسند (شبه الجملة: له) خبر يكو على المسند (أجر) اسم كان: والغرض التشويق، كما هو واضح من سياق الحديث.

١٣- الحديث السادس والعشرون:

وفيه شاهدان ولكن الغرض البلاغي مختلف فالأول: (**كل سلامى من الناس عليه صدقة**) قدم المسند إليه (كل) المبتدأ على المسند (صدقة) الخبر، والغرض إفادة التعميم لوجود لفظ: كل. والشاهد الثاني: (**وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة**) قدم الالمسند (شبه الجملة: بكل خطوة) الخبر على المسند إليه (صدقة) المبتدأ، والغرض التشويق.

١٤- الحديث السابع والعشرون:

والشواهد فيه مختلفة في الغرض البلاغي فالأول: (**واطمأن إليه القلب**) قدم الجار والمجرور: إليه (متعلق الفعل) على الفاعل (القلب) والغرض من ذلك التشويق إلى معرفة الشيء الذي يحدث له الاطمئنان.

وشاهدنا الآخر: (**وإن تأمّر عليكم عبد**) قدم الجار والمجرور: عليكم(متعلق الفعل) على الفاعل (عبد) والغرض من ذلك التشويق إلى معرفة الشخص الذي يتأمّر، ويأتي اسم الفعل في شاهدنا الثاني: (**وإياكم ومحدثات الأمور**) قدم المفعول به (إياكم) على الفعل المقدر العامل فيه (احذر) والغرض من ذلك التخصيص.

أما الشاهد الأخير: (فإن كل بدعة ضلالة) قدم المسند إليه (اسم إن: كل) على المسند (خبر إن: ضلالة) والغرض إفادة التعميم للحكم.

١٥- الحديث الخامس والثلاثون:

وفيه تأكيد للمعنى الأخوة الصادقة حيث يقول: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر اخاه المسلم**) قدم المسند (شبه الجملة: بحسب) على المسند إليه (المبتدأ: المصدر المؤول (أن يحقر) والتقدير: تحقير والغرض الاختصاص، والشاهد الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: (كل المسلم على المسلم حرام) قدم المسند إليه (كل) المبتدأ على المسند (حرام) الخبر، وفصل بينهما بالجار والمجرور، والغرض التعميم، والتشويق إلى معرفة الخبر، وكل كما سبق من ألفاظ العموم.

١٦- الحديث السادس والثلاثون:

والشاهد فيه (**نزلت عليهم السكينة**) قدم الجار والمجرور (متعلق الفعل) على الفاعل (السكينة) والغرض منه ذلك اختصاصهم بنزول السكينة عليهم دون غيرهم.

والشاهد الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: (**ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**) قدم الجار والمجرور (متعلق الفعل) على الفاعل، والغرض من ذلك التشويق إلى معرفة المحكوم عليه بالبطء أو السرعة.

١٧- الحديث السابع والثلاثون:

(**كتبها الله عنده كاملة**) قدم المفعول (الضمير: الهاء) على الفاعل (الله) والغرض البلاغي إظهار الاهتمام بما تقدم وهو المسند وقد يكون لتأخير المسند إليه بغرض التشويق.

الحديث الثامن والثلاثون:

(**تقرب إليَّ عبدي**) قدم الجار والمجرور (إليَّ) متعلق الفعل على الفاعل (عبدي) والغرض التخصيص، أي تقرب إلي وحدي دون سواي، وهو المعنى المراد

١٨- الحديث التاسع والثلاثون:

وتختتم شواهد التقديم والتأخير بقوله: (**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان**) قدم الجار والمجرور متعلق الفعل على المفعول به (**الخطأ**) ، والغرض التخصيص، أي خصني وحدي دون غيري من الرسل بهذه الميزة.

الحذف والذكر للمسند والمسند إليه

من المباحث المتعلقة بالجملة والتي أولى البلاغيون لها عناية فائقة الحذف والذكر للمسند والمسند إليه ومن المعلوم أن من خصائص العربية الإيجاز ، وما دام الأمر كذلك فإن كل كلمة أو جملة يمكن أن يفهم المعنى بدونها لوجود قرائن تدل على الحذف حري بها أن يحذف وما بالك إذا كان للحذف مزية يزدان بها الكلام حسنا وبهاءاً وجمالاً ورونقاً وهذا ما يُعلي منزلته، وإذا كمل المعنى مع الحذف او كان الحذف له غرض بلاغي أدركنا القيمة البيانية للحذف ومن المسلم به أن الحذف هو الذي عكف البلاغيون على كشف أسراره ومسوغاته ومحاسنه أما الذكر فلم يعرض له إلا المتأخرون من علماء البلاغة ذلك لأن الذكر هو الأصل ([1]).

قال صاحب التلخيص: (أما ذكر المسند إليه فلكونه الأصل ولا مقتضي للعدونل عنه إلا لقصد الاحتياط، أو التشبيه على غباوة السامع أو التعظيم أو الإهانة) ([2]).

وتأمل قول الله عز وجل: (**أُولَئِكَ علَى هُدَى مِنْ رَبِّهِم وأولَئِكَ هُم المفلحون**) ([3]) فإن اسم الإشارة وهو المسند إليه ولاحظ ذكره مرتين والغرض البلاغي في ذكره للمرة الثانية زيادة الإيضاح والتقرير وربما لتأكيد اختصاصه بالمسند ومن الأغراض التي أشار إليها البلاغيون لحذف المسند أنها يكون في ذكره فائدة إذا كان جوابا لسؤال كمن يسأل من بنى الكعبة فيقال إبراهيم بحذف المسند الذي هو الفعل أو إذا تقدم عليه في سياق الجملة ما يدل عليه.

فالحذف – لغة – الإسقاط وطرح الشيء وقطعه، حذف الشيء يذفه حذفاً قطعه من طرفه، وخفف منه.

---

[1] - البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٤٨.
[2] - التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ٥٦، طبعة عيسى البابي الحلبي مصر بدون تاريخ نشر.
[3] - سورة البقرة: آية : ٥.

والحذف في الاصطلاح: إسقاط بعض الكلام أو كله لقرينة لفظية أو معنوية تدل عليه، هذا ما اتفق عليه أصحاب علم المعاني ([1]).

فأسلوب الحذف يستند إلى الوظيفة اللغوية للسياق، وعقد عبد القاهر باباً لحذف المبتدأ والمفعول به، قال فيه: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن ([2]).

فالحذف خلاف الأصل ويقع في المسند إليه والمسند والفضلة لمعان بلاغية لطيفة تدل عليها القرائن، على ألا يكون الحذف تعمية وإلغازاً، ومن جمالية الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال البهاء من الكلام والندثرت بهجته، وصال إلى ما يشبه الغث... والقرينة شرط في صحة الحذف، لأنه مقترن بها أي غرض من أغراض أسلوب الحذف في المسند إليه والمسند والفضلة.

والمعول عليه في بيان كشف جمال أسلوب الحذف إنما هو العقل الفطن والذوق المرهف وإدراك ما ينطوي عليه من أسرار بلاغية.

١- الحديث الثاني:

ولا زال هذا الحديث يفدي لنا بأسراره ومن شواهدنا (**أن تؤمن بالله وملائكته، ورسله،**) أن تؤمن مصدر مؤول خبر لمبتدأ محذوف (تقدير: أن تؤمن)، ويكون تقدير الكلام (الإيمان إيمانك..) فحذف المسند إليه إيجازاً واختصاراً، اعتمادا على فهم القارئ وإدراكه لصيغة السؤال، فاستغنى عن ذكر المسند إليه لوجود ما يدل عليه في السؤال في قوله: (**فأخبرني عن الإيمان؟**).

---

[1] - البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ت ج ٣/ ١٠٢.

[2] - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد التنحي، دار الكتب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م. ص ١٢١.

وشاهد آخر يطل علينا في الحديث وهو: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أن تعبد (مصدر مؤول خبر مبتدأ محذوف تقديره: الإحسان، ويكون تقدير الكلام: الإحسان إيمانك) فحذف المسند إليه إيجازاً واختصاراً، اعتمادا على فهم القارئ وإدراكه لصيغة السؤال، فاستغنى عن ذكر المسند إليه لوجود ما يدل عليه في السؤال في قوله: (فأخبرني عن الإحسان؟).

ومن آخر الشواهد وروداً في الحديث: (**أن تلد الأمة ربتها**) أن تلد مصدر مؤول خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (**إمارتها ولادة الأمة ربتها**) فحذف المسند إليه إيجازا واختصارا، اعتمادا على على فهم القارئ وإدراكه لصيغة السؤال، فاستغنى عن ذكر المسند إليه لوجود ما يدل عليه في السؤال في قوله: (**فأخبرني عن أمارتها؟**).

٢- الحديث الثالث:

وتستمر الشواهد البلاغية للذكر والحذف وشاهدنا قوله: (**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله**) يجوز في كلمة "شهادة" أن تعرب بدل من خمس مجرور وعلامة جره الكسرة وهو مضاف، ويجوز فيها الرفع على اعتبار أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) وعلى التقدير الثاني يكون هذا من قبيل حذف المسند إليه ، والغرض الاختصار وفهم المخاطب للمراد، إذ أنه قال: على خمس، في البداية فليس بحاجة إلى إعادتها أو إعادة الضمير العائد عليها عند تعدادها.

وقد يكون فيه حذف لصفة وهي من المتعلقات إذ تقدير الكلام خمس قواعد أو خمس أصول.

٣- الحديث الرابع:

وفي الشاهد التالي: (**وشقي أو سعيد**) "شقي" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، فحذف المسند إليه لكونه متعينا ومعلوما في ذهن السامع، إذ أنه ذكر في بداية الحديث (**إن أحدكم**)

٤- الحديث السابع:

والشاهد فيه قوله عليه الصلاة والسلام قال: (**لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**) فجملة (لله) ... إلخ فحذف المسند إليه إيجازا واختصارا، لوجود ما يدل عليه في السياق قبله في قوله: (**الدين النصيحة**).

٥- الحديث الثامن:

والشاهد البلاغي قوله عليه الصلاة والسلام: (**أن لا إله إلا الله**) "لا" نافية للجنس "إله" اسم لا مبني وخبرها محذوف تقديره موجود، فحذف المسند، لكونه معلوما لدى المخاطب.

٦- الحديث الثالث والعشرون:

والشاهد البلاغي على الحذف قوله عليه الصلاة والسلام: (**كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**) "فبائع" الفاء زائدة (وهي تزاد في الخبر مطلقا على رأي الأخفش) بائع خبر لمبتدأ محذوف، "فمعتقها" إعراب بائع والهاء ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة ، "أو" حرف عطف، "موبقها" إعراب متعقها، فحذف المسند إليه (المبتدأ) لدلالة السياق عليه في قوله: (كل الناس).-

الحديث الثاني والثلاثون:

والشاهد فيه قوله عليه الصلاة والسلام: (**بلسانه**) جار ومجرور (خبر شبه جملة مقدم) والمبتدأ محذوف تقديره فالتغيير بلسانه، والغرض من الحذف الاختصار والإيجاز، لكونه معلوما من السياق في قوله: فليغيره بيده.

المطلب الثامن أسلوب القصر

القصر أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام ويدعو إليها حال المخاطب فهو من هذه الجهة لا يختلف عن الأساليب التي تحدثنا عنها من قبل كا الحذف والذكر والتقديم والتأخير وغير ذلك، وكل له أسبابه الداعية إليه.

والغرض البلاغي الذي يؤديه القصر ليس كمالياً فالقصر من مباحث علم المعاني الذي يسلط الضوء على نظرية النظم وتأمل قول الله عز وجل: (إنما المؤمنون إخوة) فقد قصر المؤمنين على الأخوة فالمؤمنون مقصور والمقصور عليه الأخوة فهو قصر موصوف على صفة.

والقصر في اللغة الحبس فعند النظر في قوله تعالى: (**وعَنْدَهُم قَاصِراتُ الطَّرفِ عْينٌ**) ([1])، ومعنى القصر في الآية: أن نساء أهل الجنة يقصرن الطرف على أزواجهن فلا تتعدى نظراتهن إلى غير أزواجهن.

وهذا المعنى اللغوي أصل وأساس المعنى الاصطلاحي الذي استقر عليه علماء البلاغة فيما بعد على أنه التخصيص وحسب.

وعرف أهل البلاغة القصر بقولهم: تخصيص شيء بشيء بطريقة معهودة ([2])، أو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص ([3]) ولا كبير فرق بين التعريفين.

ومثالنا الواضح على ما تقدم قول الله عز وجل: (**ومَا مُحَّمدٌ إلا رَسُولٌ**) ([4])، فإن المقصور لفظ محمد والمقصور عليه الواقع بعد إلا وهو رسول فقد قصر الموصوف على الصفة التي هي الرسالة وهو قصر إضافي.

وله ركنان مقصور ومقصور عليه وموقعها في الجملة على حسب الطرق التي يرد به أسلوب القصر ولعله من المناسب أن نذكر موقعها من الجملة تبعاً للطريقة.

---

[1] - الصافات: آية: ٤٨.
[2] - الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٥٠ لجلال الدين السيوطي نشر المكتبة العصرية بيروت: ١٤٠٨هـ
[3] - علم المعاني لعبد القدوس أبو صالح.
[4] - سورة آل عمران آية: ١٤٤.

١. إذا كان القصر ب إنما فإنه يليها المقصور كقول الله عز وجل: (**فذَكِّرْ إنَما أنتَ مُذَكِرٌ**) ([١])، فالمقصور أنت والمقصور عليه مذكر.

٢. إذا كان بما أو لا ويكون المقصور عليه بعد إلا غالباً وهو كقول الله عزوجل ((ومَا تَوْفِيقِي إلَّا بالله))([٢]) فالمقصور التوفيق والمقصور عليه لفظ الجلالة فهو قصر صفة على موصوف.

٣. إذا كان القصر بالعطف فإذا كان بلا فالمقصور عليه يكون قبلها وإذا كان العطف ببل أو لكن فإن المقصور عليه يكون بعدها وعليه قول الله عز وجل: (**ومَا ظَلمْنَاهُم ولكِنْ كانَوا هُمْ الظَالِمِين**) ([٣])، فالمقصور وقوع الظلم والمقصور عليه كانوا ، أي هم، فهو قصر صفة على موصوف.

٤. تقديم ما حقه التأخير وموقع المقصور عليه ما قدم ومثاله: (**لله الأمْرُ منْ قَبْلُ ومِنْ بَعْد**) ([٤])، فلفظ الجلالة مقصور عليه والأمر مقصور وهو قصر موصوف على صفة فقد قصرنا كون الأمر لله.

والقصر باعتبار طرفيه كما مر قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة.

وقسم بعض البلاغيين القصر كذلك باعتبار الحقيقة وعدمها إلى قصر حقيقي وهو: ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتجاوز إلى غيره وشاهده قول الله عز وجل: (**إياك نعبد**) ([٥])، قصر حقيقي حيث اختص الله عز وجل بالعبادة لا تتجاوز العبادة إلى غيره.

والنوع الثاني الإضافي وهو: ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين ويدل عليه قول الله عز وجل: (**إن أنت إلا نذير**) ([٦])، وهنا

---

[١] - سورة الغاشية آية: ٢١.
[٢] سورة هود آية رقم (٨٨)
[٣] - سورة الزخرف آية: ٧٦.
[٤] - سورة الروم آية: (٤.)
[٥] - سورة الفاتحة آية: (٥).
[٦] - سورة فاطر آية (٢٣)

نلاحظ قصر صفة الإنذار على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ليس هي وحسب بل له صفات أخرى فهو قصر بالنسبة إلى شيء معين.

تحليل الشواهد لفن القصر

١- الحديث الأول:

استحضار النية الصالحة في كل عمل مسلم للفوز بالدرجات العلى وفي هذا الحديث أسلوب قصر وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)فالمقصور الأعمال والمقصور عليه النيات، وطريقه (إنما) والمعنى لا صحة للعمل وتقبله إلا بنية فهو قصر صفة على موصوف ([1]).

قصراً حقيقياً أي قصر صفة الصحة في العمل على النيات، وما دام من المقرر في الأذهان أن النية هي الدافع المحرك وراء كل عمل نرى الشاهد الآخر في الحديث يقول: (**وإنما لكل امرئ ما نوى**) فالمقصور كل امرئ والمقصور عليه كما هو متفق عليه في أسلوب إنما هو المؤخر والمعنى ليس لكل امرئ إلا ما نوى، وهو قصر حقيقي أيضا ومن باب قصر الصفة على الموصوف.

٢- الحديث الثاني:

ظل اتفاق جماهير أهل الحديث أن هذا الحديث الطويل بحر زاخر يفيض بأنواع الحكم والدرر الشرعية فضلا عن البلاغية، وشاهدنا فيه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**أن تشهد أن لا إله إلا الله..**) ([2])، وواضح عن طريقة الاستثناء بعد النفي والمقصور هنا الإله المعبود بحق وقد حذف منه الوصف لدلالة السياق عليه والمقصور عليه لفظ الجلالة الواقع بعد إلا وهو قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا حيث قصرت الألوهية على الله وحده.

---

[1] - قطوف من رياض السنة. د/ صالح أحمد رضا : ١٢

[2] - تكررت لفظة الشهادة في الأحاديث التالية: ٣/٢/ ٨/ ويقال فيها مثل ما ذكرنا في هذا الحديث

٥. إذا كان بما أو إلا ويكون المقصور عليه بعد إلا غالباً كقول الله عز وجل: (**ومَا تَوْفِيْقِي إلَّا بِالله**) ([1]) فالمقصور التوفيق والمقصور عليه لفظ الجلالة فهو قصر صفة على موصوف.

٦. إذا كان القصر بالعطف فإذا كان بلا فالمقصور عليه يكون قبلها وإذا كان العطف ببل أو لكن فإن المقصور عليه يكون بعدها وعليه قول الله عز وجل: (**ومَا ظَلمَنَاهُم ولكِنْ كَانُوا هُم الظَالِمِيْن**) ([2])، فالمقصور وقوع الظلم والمقصور عليه كانوا ، أي هم، فهو قصر صفة على موصوف.

٧. تقديم ما حقه التأخير وموقع المقصور عليه ما قدم ومثاله: (**لله الأمْرُ منْ قَبْلُ ومنْ بَعْدُ**) ([3])، فلفظ الجلالة مقصور عليه والأمر مقصور وهو قصر موصوف على صفة فقد قصرنا كون الأمر لله.

والقصر باعتبار طرفيه كما مر قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة.

وقسم بعض البلاغيين القصر كذلك باعتبار الحقيقة وعدمها إلى قصر حقيقي وهو: ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتجاوز إلى غيره وشاهده قول الله عز وجل: (**إيَّاكَ نَعْبُدُ**) ([4])، قصر حقيقي حيث اختص الله عز وجل بالعبادة لا تتجاوز العبادة إلى غيره.

والنوع الثاني الإضافي وهو: ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين ويدل عليه قول الله عز وجل: (**إنَّ أنتَ إلَّا نَذِيرٌ**) ([5])، وهنا نلاحظ قصر صفة الإنذار على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ليس هي وحسب بل له صفات أخرى فهو قصر بالنسبة إلى شيء معين.

---

[1] - سورة هود آية: ٨٨.
[2] - سورة الزخرف آية: ٧٦.
[3] - سورة الروم آية: ٤.
[4] - سورة الفاتحة آية: ٥.
[5] - سورة فاطر آية .

٣- الحديث الرابع:

حسن الخاتمة كان دأب أكثر دعاء المصطفى عليه الصلاة والسلام في سجوده وقيامه لخطورة ذلك الأمر ومن يختتم له بخير يسعد في الآخرة وعند تأمل قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في قوله: (**حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب...**) فالمقصور قوله: (**يكون بينه وبينها**) وهو معنى كنائي كما تقدم معناه القرب والمقصور عليه (ذراع) فأسلوب القصر بطريق الاستثناء بعد النفي وهو قصر صفة على موصوف حيث قصر القرب بالوقوع بالذراع، والقصر هنا إضافي بالنسبة لغيره.

٤- الحديث السابع:

النصيحة هي عماد الدين وقوامه وهي منبع الإخلاص لله ورسوله ولعباده ونصحهم فيما يرضيه وتجنبهم ما يسخطه ويؤذيه.

والشاهد في هذا الحديث (**الدين النصيحة**) فالمقصور الدين والمقصور عليه النصيحة، إذ هو قصر موصوف على صفة وطريقه كما نص عليه شراح الحديث تقديم ما حقه التأخير وهو قصر حقيقي إذا اعتبر أن النصح في الدين وحسب وقال البخاري: (إن القصر هنا إضافي) إذ المعنى معظم الدين ([1]).

٥- الحديث التاسع:

إن وجود الأنبياء عليهم السلام بين ظهراني الناس فرصة ثمينة للبشر ومكسب عظيم إذ بهم يستقيم أمورهم ولا يوجد للاختلاف بينهم طريق يكدر صفوها شيء، ولكن كثرة سؤال الأنبياء عليهم السلام فيه خطر عظيم لم يكن يعلمه الناس وذلك لأنه ليس على الإنسان معرفة كل شيء لأن معارفه محدودة وشاهدنا قوله عليه الصلاة والسلام: (**فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**)، وهو قصر صفة أي الهلاك على موصوف

[1] - من بلاغة السنة: ٦٥.

وهو سؤال الناس واختلافهم على أنبيائهم ، وطريقه كما هو مشاهد بإنما والقصر هنا إضافي ([1]) لأن الهلاك للأمم ليس محصوراً في كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء بل قد يكون الهلاك سببه العصيان أو إحلال غضب الله عليهم بعدم التصديق بالرسالات والله أعلم.

٦- الحديث العاشر:

التماس الطيب في المأكل والمشرب وما يدفع للناس أمر رتب الله عليه الأجر وعلى من ينبغي عكسه الإثم والعقوبة ودعا الله إلى ذلك ورد كل شيء لم يكن في طيب.

وعند تأمل هذا الحديث سنجد الشاهد البلاغي على القصر متمثلا في قوله عليه الصلاة والسلام: (**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**)، فالمقصور هو لفظ الجلالة والذي وصف بالطيب سبحانه وتعالى والمقصور عليه هو ما بعد إلا كما هو متقرر، إذ هو قصر موصوف على صفة وهو قصر حقيقي لا يتجاوز إلى غيره.

٧- الحديث الرابع عشر:

إن دم المسلم عند خالقه غالية ولا تراق إلا بحق ولذا رتب على إزهاقه العقوبات الصوارم كما في سورة النساء.

ومن الغريب أن تلك المنزلة الرفيعة قد تنحط عند ما يعبر المرء عن المنهج الشرعي الذي يحفظ له دمه، والشاهد فيه: (**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس...**) والمقصور هنا هو إحلال الدم وجعله مهدراً والمقصور عليه ما دام أن الطريق للقصر أسلوب النفي مع إلا فهو واقع بعدها وهو: النفس بالنفس، إذ هو قصر حقيقي إذ لا يتجاوز الإهدار للدم إلا بالثلاث المذكورات في الحديث فهو قصر صفة على موصوف.

[1] - يرى بعض البلاغيين أن القصر هنا حقيقي لخطورته ، انظر شرح النووي على مسلم ٩/ ١٠٢.

٨- الحديث التاسع عشر:

واضح من ثنايا هذا الحديث القرب النفسي والإيماني بين الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وهذا القرب تدل عليه الإشارات اللطيفة وشاهدنا (**لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك... لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**) فقد قصر صفتي النفع والضر على ما أراده الله للعبد وكتبه له وعليه ([1])، وطريقة القصر هنا بالاستثناء بعد النفي وهو قصر حقيقي متعين فقط فهو وحده النافع الضار ومن التمس النفع عند غيره ذلك وضل واستحق الردع والزجر وأصبح منكراً جاحداً لله، والمقصور هنا النفع والضر والمقصور عليه إرادة الله سبحانه وما كتبه وقدره عليه.

٩- الحديث الرابع والعشرون:

في هذا الحديث نرى صورة تقريبة لعظم ملك الله تعالى حيث أراد سبحانه وتعالى أن يقرب إلى أذهاننا البسيطة تصوراً لهذه العظمة.

وقال أهل العلم وشراح الحديث: (لا ينقص شيئا لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص الشيء الفاني) ([2])، فالشاهد هو قوله: (**ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط**..) والمقصور نقصان ما عند الله والمقصور عليه صورة ما ينقص من البحر إذا أدخل فيه المخيط فهو قصر موصوف على صفة قصر حقيقي.

وهنالك شاهد آخر في ثنايا هذا الحديث حيث نجد أن الله تعالى الواسع الحليم تقرب لعباده بأرق نداء وألطفه داعيا لهم أن يتقربوا إليه ويتعرفوا على فضله.

ولو تأملنا قوله: (**يا عبادي إنما هي أعمالكم**) **فالمقصور** (**الأعمال**) والمقصور عليه (أحصيها لكم) فهو قصر موصوف على صفة أي قصر الأعمال

---

[1] - بلاغة تطبيقية د/ بيسوني عبد الفتاح: ١٤٣.
[2] - شرح النووي على مسلم: ١٣٣/١٦.

على كونها محصورة على العباد وهو قطعا قصر أضافي بالنسبة للمقصور والمقصور عليه بشيء معين وليس حكراً عليه بل يتعداه ويتجاوزه إلى غيره.

١٠- الحديث الثالث والثلاثون:

ندب الشارع الحكيم ورغب في طلب العلم وتحصيله ورتب عليه أجوراً كثيرة وشاهدنا في هذا الحديث كما تقدم: (**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ... إلا نزلت عليهم السكينة**..) وهو قصر موصوف على صفة إذا قصر القوم المقيمون في الطلب على تحصيل السكينة والرحمة وغشيان الملائكة لهم والمقصور القوم المقيمون لمدارسة العلم والمقصور عليه حصول السكينة والرحمة لهم.

المطلب التاسع:الفصل والوصل

احتل مبحث الفصل والوصل مكانة رفيعة لدى أرباب البلاغة والبيان وكان له شأن عند البلغاء ولكونه دقيق المسلك لطيف المأخذ صيره أقطاب الفصاحة حداً لفهم البلاغة وتذوقها.

ونظراً لكون الفصل والوصل عميق الصلة والرابطة على صلة المعنى فيما بين الجمل احتل تلك المنزلة فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل و لم يكن الواجب عليه إلا الفصل ليظهر المعنى ولذا لم تكن المسألة في الفصل والوصل طرق وجدت أم لا بل بأيهما أبلغ وأولى

ويكاد أن يتفق علماء البلاغة أن السبق والفضل عائد للإمام عبد القاهر الجرجاني الذي كشف وأجلى أسراره في كتابه دلائل الإعجاز ([1])، ونراه يوضح ذلك المبدأ بقوله: (إن العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص والأقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فناً من من المعرفة ذلك لغموضه ودقة مسلكه ولا يكمل الإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة ([2]).

وتنوعت تعاريف البلاغة للفصل والوصل وكلها ذات دلالة وحدة فنرى الخطيب القزويني والإمام السكاكي يتحدون في التعريف: (عطف الجمل على بعض والوصل ترك هذا العطف) ([3]).

والمراغي[4] له بعض الزيادات في التعريف إذ يقول: (هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والهدى إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواضعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها) ([1]).

---

[1] - البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٩٣.
[2] - دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ٢٢٢ طبعة دار الفكر ١٤٠٢هـ.
[3] - بغية الإيضاح ٦٢/٢.
[4] محمد بن ابي بكر المراغي ولد عام : ٧٧٥ في القاهرة وتفقه فيها له عدة تصانيف توفي عام : ٨٥٩

وقد خصت الواو دون غيرها من الحروف في والوصل لأنها هـــي الأداة الوحيدة التي تفيد مطلق التشريك ولا تفيد معنى أخر وغيرها من الأدوات لـــه معاني مغايرة فالفاء تفيد الترتيب مع التعقيب وهكذا.

مواضع الوصل والفصل

كما مر معنا من قبل أن الترابط بين الفصل والوصل أســـاس في تـــذوق البلاغة العربية وفهم معانيها، ولذا سأورد المواضع والأقسام لكل منهما ثم سنأتي على ما صادفنا من الشواهد.

أولاً مواضع الفصل:

كمال الاتصال: وذلك أن يكون بين الجملتين كمال اتصال حيث تكون الثانية متصلة بالأولى اتصالاً كاملاً تاماً ويأخذ هذا التصور إذا كانت الجملة الثانية مؤكدة وليس قصدنا بالتأكيد ما تعارف عليه علماء النحو بل التأكيد من جهة المعنى ومثـــل ذلك (**قُلْنَ حَاشَا لله مَا هَذَا بَشَراً إِنَّ هَذاَ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**) ([2])، تأكيد للجملة الـــتي قبلها (**ما هذا بشرا**) وفي التوكيد تقوية للمعاني وتجليتها في ذهن السامع فلا تدعو في نفس من الحيرة شيء، ومن صوره أيضا: أن تقع الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى ولكونها أول على الغرض وأدنى بالمطلوب من جهة الإيضاح قوله عز وجل: (**واتْقُوا الَّذِي أَمَدَكُمْ بما تُعْلُمُونَ * أَمَدَكُمْ بِأَنْعَامٍ وبَنْيَنَ**) ([3])، فإن قوله تعالى: (**أمدكم بمـــا تعلمون**) جملة تحتاج لمزيد إيضاح وبيان فجاءت بعدها الجملة الأولى بدلا منـــها لأن الأنعام والبنين من جملة ما يعلمون وإنما خصها ونص عليها للعناية بشأنها لكونها أدل على المقصود وألزم للحجة وكونها أوفى بالغرض المقصود في الآية ومن صور كمـــال الاتصال أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى وأدل مثال يوضح هذه الصـــورة قـــول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**خالفوا المشركين، احفوا الشـــوارب وأوفـــوا اللحى**) ([4])، فجملة : احفوا الشوارب بيان للجملة الأولى : خالفوا المشركين،

---

[1] - علوم البلاغة للإمام المرغي: ١٧٣، الناشر مطبعة محمد أحمد خضر ١٣٧٣هـ.
[2] - سورة يوسف: ٣١.
[3] - سورة الشعراء آية: ١٣٢-١٣٣.
[4] - الحديث متفق عليه. عند البخاري ومسلم باب الطهرة باب خصال االفطرة (٢٥٩)

وإذ بالجملة الثانية اتضح وتجلى حقيقة المخالفة بأي شيء تحصل مخالفة المشركين ولا شك أن المتلقي مشتاق لسماع هذا التوضيح الذي جاءت به الجملة الثانية.

كمال الانقطاع: ومن موجبات الفصل بين الجمل أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع وهذا له صورتان انثنتان: فإما أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً أو تتفقان ولا يكون بينهما رابط في المعنى ([1])، ومثال الأولى قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (**شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً**) ([2])، والشاهد فيه الجملة الأولى من الحديث: شغلونا عن الصلاة، تمهيد لكلام سيأتي والنفس تترقب الشهور الحقيقي للنبي عليه الصلاة والسلام وموقفه من صنيع هؤلاء الكفار فجاءت الجملة الثانية الإنشائية: ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً، والجملة الثانية دعائية والأولى خبرية ولذا نلحظ ما كان بينهما من كمال الانقطاع واستحقت الفصل كما ترى ومثال الحالة الثانية قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه لزينب لما وضعت حبلاً تصلي إليه: (**حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قصد**) ([3])، والملاحظ هنا حدوث الفصل بين جملة (حلوه) و (ليصل أحدكم... وهما إنشائيتا والفصل لعدم الربط بينهما ولا يوجد بينهما أي ارتباط في المعنى.

شبه كمال الاتصال: وضابطه ما كانت الجملة الثانية فيه بمثابة جواب عن سؤال أثارته الجملة الأولى فتزلت الثانية مترلة الجواب عن الأولى، وتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال وعلى هذا كان مدار كلام البلاغة حيث أفاضوا في باب الفصل والوصل وأنه يلهب المشاعر ويثير التفكير ويستحسن أن نسطر ما قاله قطب البلاغة في معرض كلامه عن قول الله عز وجل: (**الله يستهزئ بهم**) ([4])، حيث يقول: وها هنا أمر سوى ما مضى

---

[1] - دلائل الإعجاز: ١٨١.
[2] - صحيح مسلم: ١٨٩/١١.
[3] - البخاري .كتاب التهجد باب ما يكره من التشديد في الغبادة رقم(٦٠٩)
[4] - سورة البقرة آية: ١٥.

يوجب الاستئناف وترك العطف وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تُحرّك السامعين لأن يعلموا مصير امرهم وما يصنع بهم وإذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو قوله: (**الله يستهزئ بهم**) في معنى ما صدر جوابا من أنفس السامعين كيت ذلك جاء قوله: (**الله يستهزئ بهم**)، ولو جاء الوصل لكانت الثانية معطوفة على كلام للمنافقين وأصبحت من قولهم، ولذا لاحظ الفصل عما قبلها (**إنما نحن مستهزءون**) ([1])،ويبدو لنا أن الحاجة الظاهرة والملحة لمجيء الثانية تليه لما تطلبه الأولى من إجابات عن أسئلة تلوح في الأفق وتتلجلج في خاطر المتلقي ولذا ليس هنالك مزية للجملة الثانية إلا أنها كشفت عن المستور وأظهرت ما توارى ولعلنا نتأمل قول الرسول عليه الصلاة والسلام لإيضاح المقصود بشبه كمال الاتصال حيث يقول: (**أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات..**) ([2])، ومعنى الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام أولى الأنبياء بعيسى في الدنيا والآخرة ثم تأتي الجملة الثانية لسؤال تثيره الجملة الأولى وهو سبب كونه أولى والتخصيص الذي خص به عيسى دون غيره من الأنبياء والجملة الثانية أدت الدور كاملاً في الإجابة لسؤال مفترض حيث قال: (**الأنبياء أبناء علات**) أي الأصل الذي بعثوا من أجله واحد والغاية القصوى من البعثة ودعوة الخلق إلى معرفة الخالق وإرشادهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم متفقون عليه فإن اختلفوا في الشرائع اتفقوا على معناها والجوهر فيها، فالفصل حدث هنا بين جملتين والعلة كما ذكرنا وهو شبه كمال اتصال.

ثانياً: مواضع الوصل:

مرّ في تعريفنا للوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، ولكن هنالك ثمة أسرار وراء ذلك الوصل بين الجملتين وقد وقع عليه نظري في كلام سطره الجبل

---

[1] - دلائل الإعجاز: ١٨٢.

[2] - مسلم كتاب الفضائل. باب فضائل عيسى عليه السلام رقم(٢٣٦٥)

الأشهم صاحب الطراز إذ يقول: (من حق الجمل إذا ترادفت وتكرر بعضها في إثر بعض فلا بد فيها من ربط الواو لتكون متسقة منتظمة) ([1]).

وهكذا تجد أن المتكلم إذا تكلم بالوصل كان على السامع البحث عن سر ذلك وإذا فصل أعمل ذهنه في ذلك الفصل ومن هنا بلغ الفصل والوصل المترلة واحتاج إلى ذوق وحس مرهف وتأمل معي جمال النظم وروعة الكلام في قوله: **(هُوَ اللهُ الَّذيْ لا إِلهَ إلا هُو المَلكُ القُدْوسُ السّلامُ المُؤْمِنُ المهُيْمنُ العَزيزُ الجَبَارُ المُتكَبِرُ)** ([2])حيث جاءت الجمل بلا عطف وأتت ترى جمالها مع الفصل لا بالوصل، ولعل السر كما يقول علماء البلاغة إن الصفات إن كانت متضادة أو متقابلة فإنك تأتي بحرف العطف وإلا فلا كما مر بنا ([3]).

ومما يحسن فيه الوصل وجود ما يشبه التضاد بين الجملتين وذلك لأننا لو حذفنا الواو وذكرنا الجملة بالفصل لكان هنالك توهم فلو قلنا زيد يعطي يمنع لظن السامع أن هنالك تردد، وتأمل على هذا قول الله عز وجل: **(ويَا قَومِ مَا لِي أدْعُوكُمَ إلى النَجَاةِ وتَدْعُوننَي إلى النَّارِ)** ([4]) وانظر إلى الآية بالفصل والوصل فأيهما سترى الإبداع.

ولعل ما اتفق عليه علماء البلاغة في مجيء الوصل بإطاره الواسع أن يكون هنالك التغاير والتشريك فالتغاير إذ لا يصح عطف الشيء على نفسه أو على جزئه فلو قلت نجحت سعاد وفاطمة لعلمنا أن الأولى غير الثانية أما التشريك وهو ما يطلق عليه الجامع والصلة بينهما فلا يجمع بين أمرين ليس بينهما صلة، وقول أبي تمام:([5])لاوالَّذيْ هُو عَالِمٌ أنَّ النَوىَ صَبِرٌ وأن أبا الحُسْيْنِ كِرِيمِ ([6])

---

[1] - الطراز للإمام العلوي: ٢٠/ ٤٣.
[2] - سورة الحشر آية: ٢٢.
[3] - البلاغة فنونها وأفنانها: ٣٩٦.
[4] - سورة غافر آية: ٤١.
[5] هو حبيب بن أوس الطائي ولد بحوران سنة :٩١ جالس الشعراء فعد من روموزهم اختلف في سنة موته والراجح : ٢٥٤هـ
[6] ايوان ابي تمام :٢٩٩رنشر دار صادر بيروت : ١٩٨٧

فقد وصل جملة (وأن أبا الحسين كريم) على الجملة الأولى (لا والذي..) والمعنى الذي يريده الشاعر: أن يعلم هرارة النوى والظرف والبعد وكرم أبي الحسين وكما هو واضح لا مناسبة من قريب ولا بعيد بين ما تم وصله وهذا مما عيب عليه. وقد حُددت مواطن الوصل بين الجملتين بصورتين:

الأولى: أن يكون هنالك اتفاق بين الجملتين خبراً وإنشاءً ([1]).

ومثال ذلك قول المولى عز وجل: (**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**) ([2])فالجملة الأولى والثانية خبريتان وتم الوصل بينهما لحصول الاتفاق في الخبرية.

ومثال الاتفاق في الإنشائية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها...**) ([3])، ففي الحديث٤ وصلت الجملة الثانية: (**ولا تستدبروها**) بقوله عليه الصلاة والسلام (**لا تستقبلوا القبلة**) والوصل هنا لاتفاق الجملتين في الإنشاء حيث النهي تم لوجود التناسب المعنوي المتمثل بين الاستقبال والاستدبار.

والسر فيه عند ما ذكر الاستقبال يتبادر للذهن الاستدبار فجاء الوصل محققا لمعنى بلغي رائع.

والصورة الثانية للوصل: كون الفصل بين الجملتين مخلاً بالمعنى مع كونهما متفقتان خبرا أو إنشاءً فيأتي الوصل بينهما لإزالة تلك العوائق الذهنية ومثاله: من يسألك عن خدمة فتقول له لا وعافاك الله، ولو تمت الجملة بالفصل لكانت دعاء عليه لا له وأوضح من هذا وذلك قول المولى عز وجل: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين**) ([4])، فجاء الوصل بين الجملتين لأنهما خبريتان وبينهما جامع وصلة وقد فصلت عما بعدها لأن ما بعدها جملة إنشائية.

---

[1] - البلاغة والضحة علي الجا رم : ٢٢٧

[2] - سورة الانفطار آية ١٣.

[3] - البخاري كتاب الوضوء بابا لا تستقبلوا القبلة ببول او غائط رقم (١١٨)

[4] - سورة الفاتحة آية: ٥.

تحليل الشواهدلفن الوصل والفصل

لكل من الوصل والفصل قيمته البلاغية وتميز مواضع الفصل من الوصل على ما يناسب المقام فن خطير، صاحب المسالك دقيق المأخذ لا يدرك أسراره ويسبر أغواره إلا من أوتي فهماً للمعاني حوله ولا نُبعد كثيراً عند ما قصر علماء البلاغة على معرفة الفصل والوصل لأنه يكمل بمعرفته أوجه البلاغة والفصاحة ويكون لديه ما ليس عند الآخرين، ولعلنا في هذه الصفحات أن نتذوق بعضا من أسرار ذلك الفن.

١- الحديث الأول:

وشاهدنا فيه موضع وصل حيث وصل بين (**إنما الأعمال بالنيات**) والجملة الثانية (**وإنما لكل امرئ ما نوى**) والجملتان اتفقتا في الخبرية فكلاهما خبرية وتجد أن هنالك تناسباً معنويا بينهما في الجملة الأولى موضوعها في النيات ومترلتها في قبول الأعمال والثانية تدور في معنى النية وتفقدها، ولذا تم الوصل بين الجملتين لتوفر ما يوجب الوصل.

٢- الحديث الثالث:

نجد في هذا الحديث شاهداً على الفصل والوصل فأما الفصل فهو في قوله: (بني الإسلام على خمس والجملة الثانية (**شهادة أن لا إله إلا الله**) فبينهما فصل حيث وقعت الجملة الثانية بدلاً من الأولى وهذا من صور كمال الاتصال ([1]) ولذا فإن الجملة الأولى تحتاج لمزيد إيضاح فلما تلتها الجملة الثانية كانت أدل على المقصود موضحة لها يبنى عليه الإسلام.

والوصل بين سائر جمل هذا الحديث فقوله: (**وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة**) بينهما وصل وكما ترى الجملتين كلتيهما وقعت خبرية وبينهما تناسب

[1] - البلاغة فنونها وأفنانها: ٤١٢.

في المعنى إذ الحديث يدور حول مكونات ذلك البناء فالصلاة والزكاة من مكوناته فالتناسب بينهما واضح.

٣- الحديث السادس:

أرسل الله الرسل وأنزل معهم الشرائع وأبان كل حلال وحرام ورغب في ترك الشبهات التي يتردد المرء فيها، وهذا الحديث عند التأمل في جملة نرى فيه موضع فصل وموضع وصل فأما الوصل فعند قوله: (**وإن الحرام بين**) فقد عطف على ما فيها (**وإن الحلال بين**) وحيث أن الجملتين خبريتان وبينهما تناسب في المعنى إذ الأولى أخبر عن وضوح الحلال وأنه معروف لكل أحد استناداً للنص الشرعي ومثله في الجملة الثانية الحرام فالمناسبة بينهما فيها ترابط وأما موضع الفصل فعند قوله: (**ألا وإن لكل ملك حمى**) وتلاها مباشرة (**ألا وإن حمى الله محارمه**) وسبب حدوث الفصل فيما بدى لي حيث أن الجملة الثانية وقعت مؤكدة للأولى حيث أن كل صاحب سلطان له حدود وحمى لا يتجاوزها الناس وهي علامة على الاحترام والخوف من ذلك السلطان فكيف برب السموات والأرض ولما جاءت جملة (**ألا إن حمى الله محارمه**) وقعت حداً فاصلاً لمعنى الحمى لله عز وجل وكيف أكد معنى عدم التعدي على حمى الله والاعتداء عليه بالوقوع فيما يغضبه ويسخطه ([1]) فبين الجملتين كمال اتصال حيث وقعت الثانية مؤكدة لمعنى الأولى.

٤_الحديث التاسع:

مع اتفاق شراح الحديث أنه داخل في جوامع الكلم إلا أن هنالك أسرار لحدوث الوصل في الحديث حيث وقع الوصل فقد عطفت (**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**) على جملة قبلها وهي (**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**) فالجملتان متفقتان في الإنشائية حيث الأمر في كلا الجملتين والمناسبة المعنوية بينهما حاضرة إذ المقالة في معنى الجملة الأولى مغايرة للثانية وهو التضاد كذلك ولأنه مما يجب فيه الوصل

[1] - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد: ٢٨.

ولو حدث الفصل لاختلف معنى الجملتين علما أنه ترد لوجود الاتحاد في معنى كل جملة.

فالسبب هو الاتفاق في الإنشائية والتناسب المعنوي المتمثل في الأمر والنهي والترك والإتيان.

٥- الحديث العاشر:

سبق أن طرحنا بين يدي هذا الحديث أهمية الاعتناء بالحلال في المطعم والمشرب وأنه سر استجابة الدعاء، وهنا في هذا الحديث نلحظ موضع فصل بين جملتين والله أعلم، حيث وقعت الجملة الثانية وهي **(يا رب)** مؤكدة لجملة قبلها وهي **(يا رب)** وهل ثمة موقف غير هذا الموطن يقال فيه تأكيد وهو يلح ويدفع يديه فالمشهد كله تأكيد على قبول تلك الدعوات وقد حصل بينهما فصل ولعل السر في ذلك حصول كمال الاتصال ووقوع الجملة الثانية مؤكدة للأولى وأنت ترى أن هذا التأكيد يقوي المعنى ويزيده حضوراً في الذهن .

٦- الحديث الرابع عشر:

يعرض هذا الحديث صوراً من الحكم على من أراد الخروج عن جماعة المسلمين واتصف بصفة توجب أحزابه من تلك الجماعة الواحدة المتصفة بصفات اتفق عليه من انظم فيها.

وفي هذا الحديث نلحظ موضع فصل وذلك في قوله: **(والتارك لدينه المفارق للجماعة)** حيث فصلت الجملتان عن بعض ولا أثر لأي حرف عطف وبعد التأمل فيها قد يكون فيها كمال الاتصال حيث وقعت الجملة الثانية **(المفارق للجماعة)** بيانا للجملة الأولى موضحا للقصد منها وهي **(التارك لدينه)** فجاءت الثانية تجلي وتوضح المقصود بتارك دينه وبما ذا يحصل ذلك الوصف الخطير والذي قد يفسر من كل جهة يتغير ولكن الثانية أوضحت بكامل الإيضاح بالمقصود بذلك الوصف.

٧- الحديث السابع عشر:

الرحمة في ديننا ليس لها حدود حتى مع الحيوانا كانت صورة الرحمة حاضرة في الواقع وعلى مجرى التوكيد.

وبعد التأمل في هذا الحديث نشاهد شاهداً على الوصل بين جملتين إنشائيتين في الأمر، الأولى (**وليحد أحدكم شفرته**) عطف بعدها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (**وليرح ذبيحته**) وحيث أن المعنى الذي يدور عليه الحديث حول التأمل الأمثل مع الحيوانات عند ذبحها ولحصول التناسب المعنوي تم الوصل بينهما.

٨- الحديث الثامن عشر:

وصايا موجزة تحمل بين طياتها معاني كثيرة لها دلالاتها الواضحة وإننا حين نمعن النظر في ثنايا هذا الحديث سنجد أن هنالك جمل وصلت ببعضها فالجملة الأولى (**اتق الله حيثما كنت**) ثم وصل بها الجملة الثانية (**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**) وكما نرى أن الجملة الأولى جاءت إنشائية طلبية متمثلة في الأمر (اتق) والمسوغ للوصل بينهما كونهما إنشائيتين وحصول التوافق بيهما ويجري على الجملة الثالثة في الحديث (**وخالق الناس بخلق حسن**) السبب نفسه وما ذكرناه من التوافق في الإنشائية ولذا حصل كمال انقطاع واستقلال كل معنى لوحده.

٩- الحديث التاسع عشر:

وضوح الألفاظ ويسر التراكيب والخلو من الغرابة صفة تلازم كل أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ولكنها حاضرة هنا بقوة لأن مقام النصوح يستلزم ذلك الوضوح والبعد عن الغريب.

وقد وجدنا في هذا الحديث شواهد للفصل والوصل هي على ما يلي:

فشاهد الفصل وقوع الفصل بين هذه الجمل: (**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك**) وسبب الفصل بين تلك الجملة وجود كمال الانقطاع ومن المشاهد أن الجملة الأولى وقعت نداء فهي إنشائية لفظاً ومعنى

والثانية خبرية فهي أمر بلا ريب.وشاهد آخر على الفصل كما هـــو في قولـــه: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**) فالجملة الثانية مؤكدة للأولى وهي بمنزلة التأكيد المعنوي إذ يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى ([1]).

وشاهد الوصل وقع في آخر هذا الحديث عند قوله: (**رفعـــت الأقـــلام وجفت الصحف**) فحدوث الوصل هنا والله أعلم لاتفاق لجملـــتين في الخبريـــة والفصل بينهما قد يفسد معنى السياق المراد في هذا الحديث.

١٠- الحديث الثاني والعشرون:

الصحابة رضوان الله عليهم لا نعرف أسبق منهم لمعرفة ما يقربهم لله وما يبعدهم عن ناره فكل صحابي يسأل رسول الله عن تلك المنازل لا ليمني نفســـه بل للحب في طاعة ربه.

وقد وجدنا شاهداً في هذا الحديث للوصـــل في قولـــه: (**إذا صـــليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال..**) فقد وقع الوصل بينهما ولعـــل السر في ذلك اتفاق الجمل في الخبرية والعطف، والوصل يقتضي المغايرة وهـــو المطلوب إيضاح في معنى الحديث إذ الجمل تختلف معناها عن أختاه ولذا حصل الوصل.

١١- الحديث الثالث والعشرون:

جمل قصيرة تأخذ برقاب بعضها لبعض ولكل منها معناه المستقل الواسع ومن الواضح جداً في شاهدنا البلاغي أن الوصل حاضر في ثنايا هذا الحديث فمن مطلعه إلى قبل آخر جملة فيه مواضع وصل (**الطهور شطر الإيمان، والحمـــد لله تملأ الميزان...**) وقوله: (**الصلاة نور والصدقة برهان**)، وهكذا تم الوصـــل في كثير من جمل هذا الحديث ولعل السبب في ذلك اتفاق الجمل في الخبرية والوصل

[1] - بلاغة تطبيقية: ١٣٥.

إذن إنما يأتي في حالة وسط وقد عرفت أن العطف يقتضي التغاير والتشريك فإذا كانت الجمل متغايرة وكان بنيهما جامع فالوصل هو الواجب ([1]).

١٢- الحديث الرابع والعشرون:

مشاهد النداءات العطرة التي تحوطها الرحمة من رحمة الأراضين والسموات حاضرة في سماء هذا الحديث وتكرار النداء فيه يجعل القلب يجمع قواه ليشد إلى خالقه الرحيل ويوقن أن ربه يحبه ويدعوه إلى عفوه جاء أسلوب النداء في الحديث جملة بعد جملة والشاهد وقوع الفصل في تلك الجمل ولعل السبب في ذلك اتفاق الجملتين في الإنشائية فالنداء إنشاء طلبي وحصل بينهما كمال انقطاع لأن الجمل اتفقت في الإنشائية و لم يكن بينهما في المعنى فحصل الفصل.

١٣- الحديث الخامس والعشرون:

فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه طرقاً متنوعا للمتاجرة معه بالعمل الصالح وكل يأيخذ ما يناسب جهده ووقته وهو دليل تيسير على الأمة، وشاهدنا في هذا الحديث موضع للفصل إذ وقع الوصل بين العديد من جمل هذا الحديث (**كل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة** ..) ولعل السر في حصول الفصل اتفاق الجمل في الإنشائية وإتمام المعنى بدون فصل والفصل لو كان في هذا الحديث لاختلف المعنى المطلوب لكل جملة لو تأملنا.

١٤- الحديث السابع والعشرون :

في قوله: (**البر حسن الخلق والإثم ما حاك**...) وما بعده من معنى فالوصل هنا حدث كما أسلفنا لوجود الاتفاق في الخبرية وحصول التشريك والتغاير في المعنى.

[1] -البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: ٤٢٤.

١٥- الحدث السابع والعشرون:

جمع الرسول خصال البر في حسن الخلق وهذا يدعو كل مسلم أن يعفر منزلة حسن الخلق والابتعاد عن مرذول الأخلاق.

وعند تأملي لهذا الحديث وقع بصري على شاهد للفصل جدير بالوقوف والتأمل ألا وهو عند قوله: (**استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس..**) ما سر وقوع الفصل هنا بين هاتين الجملتين فكما هو واضح أن الجملة الأولى وقعت إنشائية طلبية فهي أمر والثانية خبرية فاختلاف الجملتين بين الخبرية والإنشائية سبب لحصول الفصل والسبب وجود كمال الانقطاع.

١٦- الحدث الثامن والعشرون:

وقع في نهاية الحديث شاهد للفصل له معناه وسر البلاغي فعند تأملنا لقوله صلى الله عليه وسلم: (**فعليكم بسنتي .. وعضوا عليها بالنواجذ**) سنجد أن الجملة الأولى إنشائية طلبية وهي أمر خرج عن معناه إلى معنى الإرشاد والجملة الثانية فيها أمر كذلك ولازم معنى الإرشاد والتوكيد والملاحظ أن الاتفاق قد حصل بينهما في الإنشائية والثانية مؤكدة للأولى ولمعناها وما أكثر من دلالة تعبير عضو على معنى التأكيد للمعنى المراد و لم يبقى في الذهن إلى استحضار موقف التأكيد وحسب فالفصل حصل لكمال الاتصال لكون الثانية مؤكدة للأولى.

١٧- الحديث التاسع والعشرون:

تتوالى مشاهد الحرص والمسابقة بين الصحابة الكرام في المسارعة لكسب أعلى الدرجات وفي هذا الحديث جملة من الشواهد سنقف على ما تيسر منها بدون تكرار للمعاني والأسرار البلاغية التي تناولنا فيما سبق من الشواهد، ففي مطلع الحديث (**أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار..**)، فالجملة الأولى إنشائية طلبية والطلب فيها الأمر والثانية خبرية وبعد التأمل في سبب حصول الوصل بينهما أن الفعلين متقارنين والفصل بينهما يوقع توهما فالمعنى هل

يريد ما يدخله أو يبعده ومع حصول الوصل ترى أن كلا المعنيين قد طلبا، وفي صلب الحديث حصل وصل بين جمل خبرية كما في قوله: (**وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة** ..) والسر في ذلك الاتفاق فيما بينهما من الخبرية.

١٨- الحديث الثلاثون:

يطرح المصطفى عليه الصلاة والسلام قيما ومعالم للحياة وللسائرين نحو مرقاة ربهم في تلمس ما يحتاجونه من زاد للآخرة، وفي هذا الحديث وجملة ما فيه من جمل كلها عطف ووصلت على بعضها ولا سر في ذلك إلا لكونها اتفقت في الخبرية وكل جملة من جمل الحديث تحمل معنى مغايراً ولذا حصل الوصل.

١٩- الحديث الخامس والثلاثون:

توالت النواهي في هذا الحديث واحداً تلو الآخر في نصها دون غيرها مزية الاهتمام والمراعاة لها وتهيأ أو اتباعاً، والوصل هنا تم بين الجمل فالشاهد (**لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا**...) وهكذا في باقي جمله المصدرة بالنهي وهو أسلوب إنشائي طلبي والسر في ذلك الوصل اختلاف معانيها وحصول التضاد وليس الموافقة في المعنى ولذا الوصل أبلغ في إيضاح المعنى من الفصل بل إن الفصل ليوهم السامع فيما يذر ويترك.

المطلب العاشر : الاطناب

أولاً التعريف للإطناب

كثيرا ما كنا نسمع ويقال: تجنب الإيجاز المخل والإطناب الممل، فالاختصار إن لم يف بالمعنى فهو خلل والإطالة إن لم تكن لفائدة تقويل وملل.

ولذا فرقوا بين الإطناب والتطويل فكلاهما زاد للفظ فيه على المعنى إلا أن أحدهما أفادت فيه الزيادة وهو الإطناب والآخر لم تقدم ما يفيد وهو التطويل.

وقد جاءت لعلماء البلاغة عدة تعاريف للإطناب ولكنها تصب في معنى ودلالة واحدة فابن لأثير([1]) (زيادة اللفظ على المعنى لفائدة) ([2])، وأشار إليه الخطيب القزويني بقوله: (تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة) ([3])، وقيل أداء المعنى بأكثر مما يستحق من الألفاظ شريطة أن تكون الزيادة لفائدة ([4])، وهذه التعاريف فيها توحد بالمعنى المراد وإن اختلفت التعابير ويحصل الإطناب بطرق كثيرة تكثر عند بعضهم وتقل تارة ولعل السر في ذلك التداخل الكبير بين تلك الطرق ولأنها تؤدي معنى واحداً وهو الإيضاح وسأورد المشهور والملم من تلك الطرق.

الإيضاح بعد الإبهام وفائدتها تقرير المعنى وتثبته في ذهن المتلقي ومثاله قول الحق جل وعلا: (**أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ**) ([5])، فإن ذكر الأنعام والبنين توضيح لما أبهم قبل ذلك في قوله: (بما تعلمون).

التوشيع: وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر([6])، وهذا التعريف الذي مر فيه قصور إذ أن التوشيع يتعدى التثنية إلى الجمع كذلك، وفائدته البلاغية: إثارة للذهن وتشويقه إذ أنه

---

[1] ضياء الدين ابن الاثير محمد بن مبارك الجزري ولد عام : ٥٤٤ له تصايف عدة توفي عام : ٦٠٦

[2] - المثل السائر لنصر الله محمد عبد الكريم ضياء الدين ابن الأثير طبعة البابي الحلبي ت ١٩٧٩م.

[3] - الإيضاح: ١٨.

[4] - علم المعاني والبديع د/ عبد القدوس ابن صالح.

[5] - سورة الشعراء آية:

[6] - الإيضاح: ١٩٧، وهو نفس تعريف العلوي صاحب الطراز ٩/٣ ومبحث وروده في الجمع طرقه صاحب كتاب البلاغة وفنونها وأفنانها: ٤٨٥، مفصلا.

يذكر مرتين مرة مجملا والأخرى مفصلا بعد ثباته في ذهن المتلقي وتأكده في النفس كما أنه يحفز النفس لمعرفة تفاصيل ما سيأتي بعد إغلاقه مجملا، ومثاله قول الرسول عليه الصلاة والسلام للأشج عبد القيس: (**إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**) ([1]).

الاحتراس: وهو أن يكون في الكلام احتمال الإيهام خلاف المراد فيؤتى بما يدفع الإيهام ويصحح الكلام ([2])، ومثاله ما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة**) ([3])، فالمعنى المطروح في الحديث بيان منزلة الشهادتين وما يترتب عليهما من التوحيد والجنة وحتى لا يصبح في ذهن المتلقي أن ذلك محصور في الترداد الشفوي الخالي من العمل والتصديق والإقرار تم الاحتراس بقوله: (غير شاك) وفائدته البلاغية الحفاظ على المعنى من كل ما يفسده ويغيره بل يجعل المقصود منه واضح بلا عبث.

الاعتراض: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لكنه بلاغية كالتنزيه أو الدعاء أو التنبيه أوالتعظيم أو التحسر ([4]) ومثال ذلك قول المولى جل وعلا: (**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون**) ([5])، فقوله تعالى (سبحانه) جاءت معترضة لأن أصل الكلام ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون ، والله أعلى وأحكم.

التكرار لفائدة: وهو دلالة اللفظ على المعنى مردداً أو أن يكرر المتكلم اللفظ الواحدة باللفظ والمعنى ([6])، والفائدة التي اشترطها البلاغيون تدور حول التأكيد للمعنى ترهيبا أو ترغيبا وكذلك التهويل والتحسر أو لطول

---

[1] - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الايمان رقم (١٨)
[2] - بغية الإيضاح: ٢/ ١٤٢.
[3] - مسلم ٢٧كتاب الإيمان.
[4] - البلاغة الواضحة لعلي الجازم: ٢٥١.
[5] - سورة النحل آية: ٥٧.
[6] - معجم المصطلحات البلاغية: ٥٧٣، لبدوي شر دار الرفاعي بجدة: ١٤٠٥هـ.

الفصل، ويدل على ما ذكرنا الشاهد التالي فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلام : (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثا) قالوا: بلى يا رسول الله** ..) ([1])، فإن إعادة الكلام تكريرا الوارد في الحديث بين لنا أن ما سيقال ذو شأن وله مكانته من الترهيب والتحذير ثم أن التكرير للجملة يعطي النفس تلهفا لما سيقال بعد ذلك التكرير وإن ما سيقوله قد أكد عليه بالتكرير قبله، فا التكرير أسلوب من أساليب العربية يؤتى به لتأكيد القول وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك ومع هذا كله فإن ما وقع في القرآن والسنة جاء لنكتة بلاغية وذوق رفيع وليس ما هو في كلامنا من اللغو.

عطف الخاص على العام وعكسه وفائدته البلاغية التأكيد على شأن الخاص وعلو مترلته وأهميته وفيه تشويق لذكر ما أجمل ويشهد عليه مثالاً (**حَافِظُوا عَلَى الصَلَوَاتِ والصَّلاةِ الوَسْطَى**) ([2]) فقد ذكرت الصلاة في سياق العام ثم خصت بالذكر فهي مذكورة مرتين والسر البلاغي التعظيم والتنويه وكأنها شيء آخر من غير جنس العام ([3])، ومثال العام على الخاص قوله تعالى: (**رَبِ اَغْفْر لء وِلوَالِدِي ولَمَنَ دَخَلَ بَيْتَي مُؤْمنَاً وللّمُؤْمِنِين والمُؤْمِنات**) ([4])، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات مرتين فهما داخلان في عموم من ذُكر قبل ذلك والسر البلاغي الزيادة في إفادة الشمول والعناية بالخاص في ذكره مرتين وبعد هذا العرض فإن الناظر يرى تداخلا كبيرا بين أغراض الإطناب وهو كذلك لتقارب الدلالة عليه ([5]).

---

[1] - صحيح البخاري ، ٥/ ٣٢٤ كتاب الشهادات.
[2] - سورة البقرة آية: ٢٣٨.
[3] - بغية الإيضاح: ١٣٦/٢.
[4] - سورة نوح آية: ٣١.
[5] - المعجم الأدبي: ٢٦.

ثانياً: تحليل ودراسة الشواهد لفن الإطناب

لقي الإطناب عناية فائقة لدى البلاغيين وذلك أنهم يطيلون الكلام حوله عند ما يرد الإيجاز عليهم وحسبنا من ذلك قول ابن الأثير مبيناً القيمة البلاغية في التعبير بالإطناب إذ يقول: (بعد أن أمعنت نظري وجدته ضربا من ضروب التوكيد التي يؤتى بها في الكلام قصدا للمبالغة ([1]).

وقد حاولت جهدي أن استقصي أنواع الإطناب الواردة في الأحاديث فيبدأ الدراسة بالنماذج والشواهد اما استقصاء الإطناب بكل ما تحدث عنه اهل البلاغة فلا أزعم وذلك لأن النماذج والشواهد التي درستها توضح أنواع الإطناب وبلاغته ولن تخرج النماذج عن أي نوع لم أتعرض له عما جاء الحديث فيه إطناب وعلى الله اتكالي.

١- الحديث الاول:

المقام الذي يتحدث فيه الحديث مقام عزيز ورفيع كيف لا وقد رتب عليه قبول الأعمال وردها وجاء الإطناب بشاهدنا في قوله: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) وهذا معنى عام فيه بعض الإبهام يحتاج فيه إلى مزيد بسط وتوضيح فجاء التفصيل لمعنى هذا الكلام المتقدم ونوع الإطناب هنا الإيضاح بعد الإبهام ونلحظ تقرير وتثبيت المعنى بعد ما زاد فيه الشرح بما أتى بعده من إيضاح.

٢- الحديث الثاني:

كل من أتى على هذا الحديث بالشرح أو المدارسة يرون اشتماله على كل مفردات هذا الدين من بدأ العلاقة مع الله بالتوحيد حتى نهاية الدنيا ثم الجنة والنار مع كون الحديث جاء بالمعاني فيه محدودة دون إسهاب، وأعدت فيه النظر لمراعاة شواهد الإطناب في وبعد طول تأمل اتضح لي أن فيه شاهدان على الإطناب والله

[1] - المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، ٢/ ٣٩١.

تعالى أعلم، أما الأول ففي قوله: (**إن استطعت إليه سبيلا**) فهذا كلام جاء موضحا لمعنى متقدم وهو حج بيت الله الحرام ومعلوم أن الحج لا يجب إلا حالة الاستطاعة وتأمل يا رعاك الله القيمة البلاغية التي أضافتها هذه الجملة الاحتراسية حتى لا يفهم القول بوجوب الحج إطلاقاً فنوع الإطناب هنا احتراس وسر البلاغي واضح في كونه مصحح لمعنى ودفع للإيهام.

أما الشاهد الآخر فنجده حاضر في ثنايا الحديث من مطلعه إلى آخره حيث كان السؤال عن كليات مبهمة ثم يأتي التفصيل فيها من قبل جبريل عليه الصلاة والسلام ألا ترى أن الإحسان معناه لم يكن معروفا حتى جاء الإيضاح فيه وأكثر منه إيضاحاً الإجابة على تساؤل عن علامات الساعة فجاء الجواب شافيا موضحا لمبهم غير معروف وهذا يقال كذلك في حق الإيمان والإسلام فالإطناب هنا جاء لغرض الإيضاح بعد الإبهام وسره البلاغي الإثارة والترقب ومبعث التشويق لما سيقال عن ذلك المبهم وتمكين المعنى في النفس ([1]).

٣- الحديث الثالث:

مر معنا سابقا أن التوشيع تفسير ما أجمل قبله عددا حيث أن النفس تترقب حصر ذلك العدد بإيضاح تام وهذا درو التوشيع وسره البلاغي، وشاهدنا قوله عليه الصلاة والسلام: (**بني الإسلام على خمس**..) فإن لفظة خمس إبهام تتطلع النفس إلى بيانه وتترقب إيضاحه ولذا جاء قوله: (**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله** ...) موضحا توضيحا شافيا وجعل المعنى يتمكن في النفس فغرض الإطناب هنا التوشيع وسر البلاغي ذكره مجملا ثم مفصلا وزيادة معنى التوكيد فيه.

٤- الحديث الرابع:

الحديث الذي بين يدينا موضوعه في غاية الأهمية بمكان حيث يترتب عليه ختام حسن أو خاتمة السوء.

[1] - بغية الإيضاح: ١٣٣/٢.

والشاهد فيه لفن الإطناب قوله عليه الصلاة والسلام: (**ويؤمر بأربع كلمات...**) حيث جاء الإبهام في هذا الكلمات الأربع ما هي وما دلالته ولما جاء التفصيل فيها تاقت النفس ثم سكنت لحصول المقصود بإدراك تلك المبهمات والسامع يحتاج إلى ضبط الأصل قبل أن يبلغه الفرع وذكر المقدمات حتى يعي ويدرك تماماً ما سيقال له ([1])، فالإطناب هنا جاء بصورة التوشيع حيث ذكر العدد ثم جاء بذكر تفاصيله (يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد).

٥- الحديث الثامن:

دعوة الناس إلى توحيد رب العباد ونبذ كل دين غير دين الإسلام وجهاد كل من أبى ذلك شريعة الله ونهجه الذي أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وما صرح به الرسول في مطلع هذا الحديث أن الله تعالى أمره أن يقاتل كل من أعتنق دينا غير الإسلام وأنه حلال الدم والمال والحديث فيه إطناب حيث ذكر أن من دخل في الإسلام بالشهادتين و أقام الصلاة وآتى الزكاة أصبح معصوم الدم والمال وهذا المعنى يحتاج فيه إلى مزيد إيضاح ولذا جاءت الجملة الاحتراسية، إلا بحق الإسلام ، حتى لا يفهم أن من كان مسلما وقد وقع فيما يوجب منه أباحة الدم أو المال أنه معصوم بكونه مسلما موحداً مقيما للصلاة ومؤديا للزكاة فقد تباح دماؤهم وأموالهم بحق الإسلام مثل زنا الثيب والقصاص في القتلى فهذا حق يوجبه الإسلام ([2]) فجاء الإطناب بغرضه الاحتراس ملقيا مزيدا من الإيضاح مجليا لكل سائل ومسترشد فهو زيادة في المعنى لا يتم المعنى السابق إلا به وسر البلاغي فيما ذكرنا خير دليل.

٦- الحديث الرابع عشر:

عظم الله سبحانه حرمة دم المسلم وقد ورد في بعض الأحاديث (**لأن تنقض الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من إراقة دم المسلم**)([3])الحديث الذي بين يدينا فيه شاهد على الإطناب في قوله: (**إلا بإحدى ثلاث**) فهذا عدد

---

[1] - سر الفصاحة لابن سنان الخفا جي: ٢٢٢.
[2] - شرح ابن عثيمين على الأربعين النووية: ١٤٩.
[3] ر واه مسلم في كتا بالقصاص باب تحريم وتغليظ القتل برقم(١٢٨٧)

مبهم يحتاج في المقام إلى بسط وتوضيح والحال التي عليها يستلزم منها التوكيد على ما سيقال لأنه بمكان كيف لا وهو متعلق بدم مسلم موحد فغرض الإطناب هنا التوشيع وسر البلاغي كما مر بنا انه ذكر مرتان مجمل ومفصل ومما يجعله مثبتا في الذهن تتشوق النفس إلى معرفة تفاصيله.

٧- الحديث الخامس عشر:

نحن في صدد التأكيد على معنى عظيم وخلق رفيع أدرجه الرسول من علامات الإيمان للعبد ألا وهو إكرام الجار والضيف وفي هذا الحديث شاهد على الإطناب فالنبي صلى الله عليه وسلم كرر في هذا الحديث (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) بجانب كل أمر من الأمور الثلاثة التي هي من خصال الإيمان ومكملاته وهي:

١. أن يحاسب نفسه ويتأمل فيما سيقول فإن كان فيه خير ومصلحة وإلا فليطلب الصمت.

٢. أن يكرم جاره ويحسن إليه بالمعروف ولا يؤذيه.

٣. أن يكرم ضيفه ومن حلّ عليه بحسن التودد وتقديم الطعام له بالاشتياق والسهر على راحته.

والتكرير في هذا الحديث لتأكيد ما أمر به وإيقاظا للنفس وتحريكا لها في المسارعة للخيرات وتحصيل المشروط ([1]).

ومن أسرار التكرير توكيد المعاني في الأذهان ومعلوم أن التكرير في حق المتكلم لإيضاح المنزلة والإشعار بأهميته المتلقي الإدراك ثم التصديق على توكيده وأنه ذو شأن.

[1] - المثل السائر : ٨٣/٣.

والتوكيد مع هذا كله من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في أفئدتهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها.

يقول الإمام الزمخشري-رحمه الله- (إن في التوكيد تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يرام حفظه وكلما زاد التكرار كان أمكن في القلب وأرسخ في الفهم وأبعد عن النسيان) ([1]).

٨- الحديث الثاني والعشرون:

الرحمة بالخلق وتيسير الدين لمن دخل به وشرح الله له صدراً سمة من سمات تبليغ الناس دين الله عز وجل ونهج سار عليه الرسول والصحابة من بعده.

وفي هذا الحديث يأتي صحابي حديث عهد بالإسلام ويعدد على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب عليه وما يجتنب وفي أثناء تعداده يقول (**لم أزد على ذلك شيئا**) فهذا إطناب حيث جاءت هذه الجملة الاعتراضية للتنبيه على الاقتصار بما قال وعدد والسر البلاغي في هذا الاعتراض أن معنى الحديث وما جاء فيه من الالتزام بتلك الشرائع دليل على دخول الجنة و لم يذكره في السياق جملة من الشرائع والواجبات والتي هي لا تقل شأنا عما ذكر فجاء الاعتراض ليبين للمتلقي ويؤكد له الاقتصار على تلك الأمور موجب للجنة.

٩- الحديث الرابع والعشرون:

المشهد الحاضر في هذا الحديث ربنا وخالقنا يخاطب عباده المساكين بجملة من النداءات ومن الملاحظ أن ما تم ذكره في سياق هذا الحديث القدسي ترهيب وترغيب للنفوس المقصرة وتشمير للنفوس المحلقة وشاهدنا على الإطناب وقوع التكرير في قوله: (**يا عبادي**) عشر مرات وغير خاف علينا أن هذا النداء مجيب لك نفس مؤمنة كيف لا والله سبحانه يتودد إلى خلقه ويقول لهم يا عبادي وأنها

[1] - الكشاف: ٣٨٥/٣ للإمام محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٢٨ طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

منزلة وشرف عظيم لنا وهذا التكرير جاء لسر بلاغي ونكتة لطيفة ألا تـــرى أن كل نداء جاء بعده معنى مستقل عما قبله فطول الفصل بين تلك النداءات ســـر بلاغي حتى يستعيد القلب توقده ووعيه لما يقال له.

ويقول ابن الأثير في هذا الصدد: (إن التكرير إنما يأتي لما أهم من الأمـــر بصرف العناية إليه ليثبت ويقرر) ([1]).

والتكرير الذي وقع في هذا الحديث ليعطي المتلقي الرغبة والشوق لسماع ما يقول رب العزة والجلال فالتكرار هنا جعل القلب معلق بتلـــك النـــداءات المتكررة فيجعل القلب حاضر لتلقي ما يقال بلهف وتقبل.

١٠- الحديث الخامس والعشرون:

الجو العام لهذا الحديث هو بيان الطرق التي يتحصل بهـــا العبـــد علـــى الدرجات وجاء الهدى والسياق النبوي مدللاً عليه وموضحا وشاهدنا البلاغـــي للإطناب تكرير لفظ (**صدقة**) سبع مرات وهذا الاسم المتكرر جاء لسر ونكتـــة بلاغية ألا وهي التأكيد والإلمام والإيضاح في تحصيل ما جاء بالصدقة ولأنه مقام قد يتعذر على النفوس ويشق عليهم فجاء التكرير موضحا لكل طريق موصـــل للواجب.

١١- الحديث السادس والعشرون:

أنعم الله على عباده بنعم وخصهم دون سائر خلقه بمزيد العناية والتوفيق وهذا يوجب شكره على تلك النعم وفي الحديث أرشد الرسول ووضح كيـــف يتم ذلك بل جعله في السلامى وهي مفاصل أصابع اليد وشاهدنا البلاغي علـــى الإطناب وجود مبهم في قوله: (**كل سلامى من الناس عليه صدقة**) وهذا يحتاج لإيضاح فإنه معنى متعلق ولذا جاء بعده الكلام مفسراً لذلك المعنى المبهم بـــل لم يدع لأحد سؤال عن طريقة التحدث عن نفسه والغرض هنا الإيضاح بعد الإبهام

[1] - المثل السائر: ٣/ ١٥.

ولعل السر البلاغي في هذا الغرض أن النفس تستشرف معرفته وبيانه وإدراك تفاصيله فإذا سيق الكلام بعد ذلك مفصلا صادف نفسا مهيأة لتلقيه فيتمكن فيها ويثبت ([1]) وقد بدا لي سر في ذلك الإبهام ألا وهو إبحار النفس وإعطائها فرصة الحدي الداخلي بينه وبين نفسه مما يجعل العقل يفتش عن تفسير محتمل لذلك الإبهام والله أعلم.

١٢- الحديث التاسع والعشرون:

لم تعرف البشرية ناسا كانوا أحرص على المسارعة في الخيرات وتلمس طرقها غير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سياق هذا الحديث يُسأل الرسول عن عمل يدخله الجنة ويباعد ذلك الصحابي عن النار فجاء السؤال كبيراً والإجابة مبهمة مجملة ليس من المناسب أن يكون الجواب يسرا بل لا بد أن يستجمع عليه القلب والعقل ثم يوضح لذلك السائل وهذا عندي سر بلاغي من جملة بلاغته عليه الصلاة والسلام وأما ما سيرد أمر كبير وثقيل.. فالغرض هنا الإيضاح بعد الإبهام فإن ما أتي بعد قوله: لقد سألت عن عظيم وأنه ليسر على من يسره الله تعالى عليه) كمل الإيضاح الذي سيق بعد هذه الجملة جاء موضحا لذلك المبهم وفي تأخيره وإجماله سر تتطلع له النفس بالترقب وبعد التأمل هنالك شاهد آخر على وجود الإطناب وهو عند قوله: (**ثكلتك أمك**) وهي جملة اعتراضية جاءت بعد سؤال كان محل الاستغراب والتعجب من قبل رسول الله ولذا جاء الرد شافياً وقبل الرد جاء الإطناب بغرضه الاعتراضي البلاغي مزيداً من الاعتناء بما سيقال بعد ذلك الاعتراض وتوجيه النفس أن ما سيرد له كامل الاعتناء ولذا جاء بقصد الدعاء.

[1] - المثل السائر: ٢/ ٢١٩.

١٣- الحديث الرابع والثلاثون:

جعل الله لإنكار المنكر منزلة رفيعة بل عده جملة من أهل العلم من أركان الإسلام وشعبة وفي هذا الحديث يرتب الرسول درجات الإنكار حتى لايقع المجتهد وذو الحماس فيما لا تحمد عقباه.

وشاهدنا البلاغي وجود الإطناب في قوله: (**فإن لم يستطع**) مكرراً مرتين والسر البلاغي في هذا التكرير لفت النفس أن التغير لا يكون إلا على مراحل وإن الانتقال من مرحلة إلى أخرى مقرون بعدم الاستطاعة وإذا كان كذلك ذهب للدرجة التي تليها من الإنكار وهذا بلا شك يعطي التكرير الوارد تغييراً كافياً موضحا بما يجب أن يفعل ([1]).

١٤- الحديث الثاني والأربعون:

في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان من الواحد الأحد الرحيم الرحمن.

والشاهد البلاغي لفن الإطناب ورود لفظ (**يا ابن آدم**) مكرراً ثلاث مرات والسر البلاغي وراء ذلك التكرير الطول بين الفقرات ولأن المشهد الذي يعطي معاني الحديث مشهد فيه تلطف وتودد من الله لعباده ولذا جاءت النداءات حاملة معنى مغايراً عن الآخر وهذا يستلزم وضع النداء لأن ما يدعون الجبار إليه معنى جديد يحتاج إلى استدعاء الخواطر والعقول قبل الأبدان.

[1] - بتصرف يسير جامع العلوم والحكم : ٢٤٥.

المطلب الحادي عشر : المساواة

أولاً التعريف:

يختار البليغ للتعبير عما في نفسه طريقاً من طرق ثلاث فهو تارة يوجز وتارة يسهب وتارة يأتي بالعبارة بين ذلك وعلى حسب ما تقتضيه حال المخاطب ويدعو إليه موطن الخطاب.

وهي في مصطلح فرسان البيان عبارة عن تأدية المقصود بمقدار معناه من غير زيادة فيه ولا نقصان وقد تكون مساواة مع الاختصار على نحو يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف الكثيرة المعاني ([1])، وعند تأمل قوله تعالى (**وَمَا تُقَدِّمُوا لَأَنفِسِكُم مِنْ خَيرٍ تَجِدُوه عِنْدَ الله**) ([2]) وقوله كذلك (**ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيئُ إلا بأَهْلِهِ**) ([3])، ستجد أن الألفاظ بقدر المعاني وأنك لو حاولت أن تزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلا أو أردت إسقاط لكمة كان ذلك إخلالاً فالألفاظ جاءت مساوية للمعاني ومن هنا تخلص إلى تعريفها لهم (المساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها عن بعض) ([4]).

ثانيا: تحليل الشواهد لفن المساواة

١ الحديث الحادي عشر:

الريبة والشك تدعو الإنسان في حيرة فيما يفعل أو يترك وجاء الشاهد البلاغي للمساواة في قوله (**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**) معطيا المعنى ما يستحقه من الألفاظ الموضحة له دونما إطالة أو اختصار وكان الرسول وضعه أمام تصور واضح لا يحتاج معه إلى دليل.

---

[1] - الطراز للإمام العلوي: ٣/ ٣٢٣.
[2] - سورة المزمل آية: ٢٠.
[3] - سورة فاطر آية: ٤٣.
[4] - البلاغة الواضحة: ٢٤٠.

٢- الحديث الثاني عشر:

هذا الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة من خـــائص قوله عليه الصلاة والسلام ([1])، وجاءت الألفاظ على قدر المعاني فمن كان يرجو أن يكون إسلامه حسناً فليترك الدخول فيما لا يعنيه وحسب وأنت ترى كـــم تحمل هذه الألفاظ على المعاني المراد استنطاقها وحسب.

٣- الحديث السابع والعشرون:

عند ما يطلب من أحدنا تعريفاً لأمر ما فإنه سوف يشرف ويقـــرب في اختيار الألفاظ الموصية بما يريد ولذا يقع في حيرة من أمره والمتأمل في مفـــردات هذا الحديث لتعجب كيف أن المعنى واضح كوضوح الشمس في رابعة النـــهار بألفاظ مساوية له دون إسهاب بل جاءت منقادة سلسة (**البر حســـن الخلـــق والإثم ما حاك في نفسك وكرهنا أن يطلع عليه الناس**)، ولو تأملنا هذه الألفاظ كيف أدت المعاني بعبارة كافية فإننا سندرك ما يقال فقط عند التأمل وإعمـــال العقل فيما ورد.

٤- لحديث الحادي والثلاثون:

جاء الصحابة يسأل رسول الله عن معنى محدد موجز فجاء الجواب علـــى قدر السؤال وهذا والله من الأمور اللافتة في بلاغة المصـــطفى عليـــه الصـــلاة والسلام، الزهد في الدنيا مفتاح حب الله لعبده والزهد فيما عند الناس مفتـــاح لمحبتهم لنا، معاني محددة بألفاظ موجزة لا يحتاج فيها المستوضح إلى مزيد إيضاح وشرح وتفصيل فسبحان الله.

[1] - شرح الأربعين النووية للإمام ابن دقيق العيد: ٤٣.

المبحث العاشر الإيجاز

أولاً التعريف:

أكرم الله العرب وغيرهم بالإسلام ونزول القرآن الكريم وفيه ما الإيجاز ما لا يوجد في غيره، وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره بأمور كان منها: أنه أعطي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً فكان يعبر عن المعاني الكثيرة بكلمات قليلة، بل أثنى على الذين يتكلمون فيوجزون، ومتى ما كان تأدية المعنى بلفظ قليل فإنه خير للمتكلم والمخاطب على حد سواء.

ويعد الإيجاز من الأساليب البلاغية الراقية ومن أسراره حسن الاختيار ودقة التفكير وتقريب الفهم ولا يحمد الإيجاز إلا في مواضعه ولكل مقام مقال.

ولو كان الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام ([1]).

ولا يؤتى الإيجاز إلا من رزق حدة في الذهن وإرهافا في الإحساس البياني ومعرفة تامة بدلالة المفردات وإدراكا واعيا لأحوال المخاطبين وقد اجتمع كله في الرسول صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه وأبلغ حال.

وقد تنوعت تعاريف أهل البلاغة له، فيقول عنه أبو هلال العسكري: (تقليل الألفاظ وتكثير المعاني) ([2]) بل قيل هو: (أن تكون الألفاظ أقل من المعنى الذي يراد التعبير عنه) ([3]) فالإيجاز – إذن – قصر اللفظ مع وفاء المعنى أو استثمار أقل قدر من الألفاظ في أكبر قدر من المعنى وليس الإيجاز قلة اللفظ وحسب بل لا بد من أن يكون المعنى وافياً كاملاً.

وقد قسموه إلى قسمين: إيجاز حذف وإيجاز قصر:

---

[1] - أدب الكتاب: ٢٠ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتية ،نشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ بيروت.
[2] - كتاب الصناعتين ، ١٨١ لأبي هلال العسكري طبع دار إحياء الكتب العربية ١٣٧١هـ القاهرة.
[3] - البلاغة فنونها وأفنانها، ٤٥٧.

فأما إيجاز الحذف فهو: حذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف كحذف المبتدأ و بقاء الخبر أو العكس أو حذف المضاف أو المضاف إليه وهو الكثير أو الصفة أو موصوف وغير ذلك من الدلائل ([1]).

وأما القصر: فهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف وهو أعلى حالات الإيجاز مكاناً.

وإننا إذ نبحث مثالاً تستأنس به على تعاريف القصر لنجد أن قول الحق جل وعلا: (**وَلَكُمْ فِي القِصَاصَ حَيَاةٌ**) ([2])، إيجاز قصر من وجه ومن آخر إيجاز حذف ولنا بعض الوقفات من هذه الآية الكريمة ناقلاً ما سطره الخطيب في معرض كلامه عن الإيجاز إذ يقول: (لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه لأن المراد به: أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض فكان في ارتفاع القتل حياة لهم) ([3]).

وفي كلام الرسول غير ما تقدم في صدر بحثنا قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: (**إن من البيان لسحراً**) ([4])، فإنه كلام كثير المعاني ومعناه من البلاغة في القول ما يعمل عمل السحر فيؤثر في النفس ويحملها على الإقدام والتسرع ولعل فيما سوف نسوقه – إن شاء الله – خير دليل على بلاغة الرسول واستعماله للإيجاز في صورة يعجز أرباب البلاغة والبيان عن مثله.

ثانيا: دراسة وتحليل الشواهد لفن الإيجاز

١– الحديث الثاني:

حديث جبريل المشهور والذي بين أيدينا فيه تفاصيل أحكام الإسلام والمعلوم من الدين بالضرورة.

---

[1] - البلاغة الواضحة: ٢٤٢.
[2] - سورة البقرة آية: ١٥٦.
[3] - وقد وازن بين قول العرب: (القتل أنفي للقتل) وبين وجه البلاغة في الآية من عدة وجوه الإيضاح: ١٨٤.
[4] - رواه البخاري كتاب النكاح حديث رقم : ٨٥١.

وقد جاء في الحديث إيجاز حذف في قوله: (**ذات يـــوم**) إذ تقـــديره: في ساعة ذات مدة من اليوم فحذف الجار والمجرور لدلالة المعنى القائم عليه وظهور المعنى المراد والسر البلاغي في ذلك الإيجاز والاختصار والانتقال لما هو أهـــم إذ ليس المهم في سياق الحديث تحديد أي وقت كان ذلك المشهد بل المهم تفاصيل وذكر ما جرى من إيضاح من جبريل للرسول وتبليغه شرائع الله فالإيجاز أعطى أهمية لما بعده للتركيز عليه ([1]).

٢- الحديث الثالث:

لعل جمع العقل على المعنى المراد دون غيره بلفظ يسير سر بلاغة الإيجـــاز وهذا ما نلحظه في هذا الحديث وقد جاءت شواهد الإيجاز متعددة فمنها قوله: (**بني**) حيث حذف الفاعل لشهرته وتعينه في الحديث مما يجعل الإيجاز أجمل.

وكذلك قوله: (**وإيتاء الزكاة**) حيث تم حذف المفعول الثاني والتقـــدير إيتاء الزكاة مستحقيها فهذا إيجاز حذف والسر البلاغي كون ذلك الحذف متعين إذ أن الزكاة لا تعطى إلا لمستحقيها والمقام على توكيد ذكر الزكاة وليس بيـــان تفاصيل أهلها.

٣- الحديث الخامس:

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهو من جوامع الكلم الذي أوتيها المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو صريح في رد كل بدعة فهنـــا إيجـــاز حذف في قوله: (**فهو رد**) حيث تم حذف المضاف إليه وإنابة المضاف محله لأنه هو المقصود والمعنى أن كل شيء مخالف لما جاء به الرسول فهو مـــردود علـــى صاحبه فكلمة (رد) أفادت معنى كثيراً مع قلة اللفظ.

[1] - من بلاغة السنة: ١٣.

٤- الحديث السادس:

جاء في سياق هذا الحديث ثلاث شواهد للإيجاز نأخذها بالتفاصيل على النحو التالي:

فأول شواهد الإيجاز قوله: (**لا يعلمهن كثير**..) فهنا إيجاز حذف حيث تم حذف المفعول به أي لا يعلم حكمها والسر البلاغي في وقوع هذا الحذف أن سبب الوقوع في تلك المشتبهات جهل الناس بها والتساهل من الحذر منها وكأن الحذف يعطي دلالة ذلك الوقوع وهو الجاهل فالمناسبة بين الحذف والتساهل في الاقتراب واضحة.

والشاهد الثاني على وقوع الإيجاز جاء في معرض التمثيل على الوقوع في الشبهات وهذا فيه إيجاز حذف إذ كونه يضرب المثل لأدنى أحوال الوقوع في الشبهات وهو الاقتراب من حدود الله المحرمة وترك التمثيل لما هو أعلى من ذلك لأن العاقل يدرك بداهة أن التحذير من الأدنى والأخف يشير إلى التحذير من الأعلى والأشد ([1]).

٥- الحديث الثاني عشر:

سبق أن قلنا أن الحديث شاهد على المساواة ومن زاوية أخرى ستجد أنه شاهد على وقوع إيجاز القصر فيه إذ أن المعنى المطلوب إدراكه بالعقل والفهم يقع خلف تلك الكلمات فترك الدخول فيها يعنى البحث عن أمور لا طائل من وائها لفوت على المرء تحصيل الطاعات والفوز بالجنات بل أن ذلك علامة على خسارته لأنه لم يكن إسلامه حسنا خالصاً لرب العالمين.

ونحن نتساءل كم أدى ذلك اللفظ اليسير لتلك المعاني العظيمة والتي لم تذكر في ثنايا الحديث وأصبحت حاضرة في الذهن بمزيد الاهتمام.

[1] - روائع من أقوال الرسول: ٢٣٠.

٦- الحديث الثالث عشر:

زيادة الإيمان ونقصانه هو المعيار الخطير لقرب العبد من الله أو ابتعـــاده، ونجد أن الإيجاز وقع في قوله: (**لا يؤمن أحدكم**) وقد قال العلماء: يعني لا يؤمن الإيمان الكامل والتام حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه مما يجعل الأنانية وحب الذات أمر مكروه ومستبعد في حياتنا والسر البلاغي لوقوع إيجاز الحذف هنا زيادة الاعتناء به وتحصيله وكأن معنى الحديث ألا إيمان إلا بالحب للآخرين لما تحب لنفسك فالحذف هنا أضاف معنى الطلب للإيمان الكامل والبحـــث عنـــه وكأنه منفي عنه.

٧- الحديث السابع عشر:

مرمعنا السابق أن الرحمة في ديننا طالت كل شيء حتى الحيوان حال ذبحه والانتفاع به ونجد أنه قد وقع هنا إيجاز حذف في قوله صلى الله عليـــه وســـلم: (**قتلتم وذبحتم**) حيث تم حذف المفعول به والتقدير قتلتم الحيوان وذبحتم الحيوان ونرى أنه تم الحذف بناء على الدلالة عليه وكونه في السياق ظاهر.

٨- الحديث الحادي والعشرون:

في الحديث مشاهد على وقوع إيجاز الحذف وذلك في قوله: (**ثم استقم**) أي أن تستقيم على أعمال الطاعات ويفهم من معنى استقم كذلك الانتهاء عن جميع المخالفات إذ لا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده وإيجـــاز الحذف وقع عند ما تم حذف الجار والمجرور مما جعل لفظ (**استقم**) تعطي معـــنى عاما لكل شيء يصدق عليه أنه قد استقام بلا تحديد ([1]).

٩- الحديث الثالث والعشرون: تكاد أن تكون كل جمل هذا الحديث شـــاهداً على وقوع الإيجاز فالحديث يذكر أوصاف العبادات بجمل قصيرة والضحة ليس

[1] - جامع العلوم والحكم: ٥١٢.

فيها لبس ولا غموض تعطي المعاني الكثيرة في إيجاز واضح وبيان مشرق وتعابير تفيض بالخير ([1]).

فالتعبير (**بأن الصلاة نور**) فهي نور في الدنيا تنير للعبد دربه حتى لا يتخبط في الشهوات وتكبله المعاصي والآثام نور في الآخرة حيث تنير عليه ظلمة قبره وتضيء له دربه الموصل إلى جنة الله وخلده ومثله يقال في قوله: (**والصدقة برهان**) أي برها على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود ربه وحجة له عند خالقه تدافع عنه يوم القيامة.

وتأمل قوله: (**كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**) وهذا لا يخفى ما فيه من الإيجاز البديع حيث طوى كثيرا من الألفاظ إذ المعنى كل الناس يغدو لمصالحه فبائع نفسه بالأعمال الصالحة فمعتقها من العذاب فبائع نفسه بالأعمال السيئة فموبقها بالعذاب فهذا إيجاز قصر دلت عليه ألفاظ يسيرة حاملة بين جنباتها معاني فياضة مشعة.

١٠- الحديث الثاني والثلاثون:

الضرر والضرار لفظان بمعنى واحد والضرر هو الاسم والضرار الفعل أي لا يدخل أحد على أحد ضرراً لم يدخله على نفسه والحديث شاهد على وقوع إيجاز القصر فالحديث ثلاث كلمات وتفسيرها والمعاني التي تدل عليه تحتاج لمزيد من الإيضاح والتفسير في وقوع الضرر والإضرار للآخرين فكم دلت على معاني كثيرة وهي كلمة واحدة وهذا سر كما تقدم متعين للإيجاز وحسب.

١١- الحديث السادس والثلاثون:

في قوله صلى الله عليه وسلم: (**من يسر على معسر**) إيجاز قصر فقد جمعت هذه الكلمة كل أنواع التيسير الممكنة من الإبراء والهبة أو التصدق عليه أو تأجيل الدين حتى يتيسر له الوفاء أو حصول الشفاعة عند من يطلبه أو دلالة

[1] -قطوف من رياض السنة: ٧٥.

المستفتي فيما وقع فيه من ضائقة فسبحان من أجرى البيان والفصاحة على لسان نبيه وطوعت له الكلمات والتعابير بأحسن مقام.

١٢- الحديث الثامن والثلاثون:

كما أن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه فإن تعظيم أدنى طاعته يتقرب به إليه وقد وقع الإيجاز في هذا الحديث عند قوله: (**وما تقرب إلي عبدي بشيء**) فهذا إيجاز قصر فكلمة شيء تمثل كل شيء من أنواع الطاعات والتقرب لله من الصلاة والصيام والقيام وصالح الأعمال ومعلوم أن النكرة تفيد العموم وهكذا كان الإيجاز معطيا معنى لكل سامع أن الله يفرح بالطاعة والتقرب له بأي شيء تقدر عليه وكل له اجتهاده فيما يريد من الطاعات.

١٣- الحديث الأربعون:

الحديث أفاد الحض على قلة المخالطة وقلة الاعتناء والزهد في الدنيا وقد وقع في الحديث شاهد على الإيجاز عند قوله: (**تنتظر الصباح وتنتظر المساء**) وهو إيجاز حذف حيث تم حذف المضاف أي قدوم الصباح أو قدوم المساء لدلالة الظف عليه في السياق ولأن المقام مقام وعظ وإرشاد فجعل التركيز في اللفظ حتى يعطي المعاني المرجوة إذ أن كلمة قدوم أو انتظار مخالفة للمعنى الزهد المشار إليه في الحديث([1]).

١٤- الحديث الحادي والأربعون:

قال أبو الزناد: هذا من جوامع الكلم لأنه قد جمعت هذه الألفاظ اليسيرة معاني كبيرة ([2]) فهنا إيجاز قصر وقد يكون هنالك إيجاز حذف ويكون التقدير لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل ، فحذف المفعول به ووصفه ليجعل النفس تبحث عن ذلك الإيمان المرغب فيه والذي نفي وجوده إلا باتباع ما جاء به الرسول وحذر منه.

---

[1] - من كنوز السنة: ٦١، بتصرف يسير.
[2] - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد : ١٠٨.

المبحث الثالث

بلاغة علم المعاني من خلال الشواهد

وبعد هذا التطواف في علم المعاني واستجلاء البلاغة النبوية فإننا أمام بحور من الفصاحة ودروب من ألوان البيان فقد وجدنا القدرة الفائقة على الإيماء بالمعاني وإثارتها في غزارة وثراء بألفاظ قليلة وعبارات موجزة خالية من الفضول بعيدة عن تكلف الزخرف بريئة من معاناة الصنعةمع ذلك فهي تحوي من قيم الجمال الفني وروعة التصوير ما يجعلها القمة في علم البيان.

كل ذلك مع حسن لغوي ممتاز في اختيار اللفظ ووقوعه ومناسبته لمعناه بحيث لا يغني عنه سواه مع تناسب بديع بين اللفظ والمعنى ثم وصولاً إلى التأثير في القلوب وإقناع العقول بما يتطلبه المقام من هدى وإرشاد وعند المرور على علم المعاني في بلاغته عليه الصلاة والسلام فأول ما تدخل إليه الخبر والإنشاء ومعلوم أن الخبر والإنشاء نوع من التواصل والتفاعل بين الناس فكل شخص أخبرك بواقعة لم تحضرها وأدخل في حالتك الذهنية تغيراً فقد أضاف إلى علمك عنصراً جديداً أثار فيك شعوراً ممتعاً ([1])، أو ردة فعل مناسبة لذلك الشعور ثم يأتي دروب بالإخبار أو تأمره أو تنهاه أو غير ذلك وهذا التصور نجده حاضرا في ثنايا الأحاديث التي تناولنا بالدراسة والإيضاح.

فيرد الخبر والإنشاء حسب المقام الذي يقتضيه ويدعو إليه فنجد حديثاً مبدوءاً بجملة خبرية قد تكون مؤكدة وقد تكون خالية من المؤكدات كقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات) وقد تزيد المؤكدات في الجملة إظهارا للمعنى لأنه محتاج للتدعيم قوله كقوله عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه ..) فالمؤكدات هنا إن واللام وعند التجوال في تلك الحدائق العطرة قد نجد حديثاً مبدوءاً بجملة إنشائية والعجيب أن هذا التنوع بين الإنشاء

[1] - التصوير الفني في الحديث النبوي: ٥٨٠.

والخبر جاء متماشيا مع المقام الذي يقتضيه الحديث أو الحكم المراد، ونجد أنواع الإنشاء الطلبي لها حضورها القوي وهذا قد يسوقنا إلى القول أن معاني تلك الأحاديث جامع لما يحتاجه المرء في حياته ودنياه ولذا يجيء الإنشاء الطلبي دافعا لكل سامع بالحذر والترقب والالتزام بما يطلب.

ولو عرضنا بالقول على قوله صلى الله عليه وسلم(قل آمنت بالله ثم استقم) كيف جمع هذا الإنشاء الطلبي والذي جاء بأسلوب الأمر على معنى جمع له معاني الإسلام والإيمان ورسم له منهجا واضحا ولا يخف علينا التناسب بين هذا النوع من الإنشاء والمقام الذي يتحدث عنه وبيان مكانته في الاستقامة على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات.

وعند المسند والمسند إليه وما في ذكرهما أو تقديم أحدهما على الآخر فيكفي لإيضاح مترلته وكيف أصاب منه الرسول حظا وافراً ما قاله الإمام عبد القاهر في ذلك (هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ذلك أن قد فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان) ([1]).

والكلام يأخذ في سياق ترتيبه المتعارف عليه من حيث التقديم والتأخير ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير فيكون من الحسن تغير هذا النسق ليكو المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يراد ولنا وقفة مع قوله: (**كل سلامى من الناس عليه صدقة**)، والأصل صدقة على كل سلامى من الناس، والتقديم والتأخير هنا لم يتم إلا لسر بلاغي إذ أن التقديم يزيد المعنى ويؤكد عليه لحصول التصدق على تلك النعم التي أسدها الله لنا والتعبير يدل على العموم والتعظيم، وإننا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي أوتي زمام الفصاحة والبلاغة ما لم يعط غيره وضع الألفاظ في موضعها بحسب ما يقتضيه المقام البلاغي ولذا تجد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقدم أو يؤخر

[1] - دلائل الإعجاز: ١٠٦ وما بعده.

جزافاً بل على أغراض يقصد إليها ويعرف ما وراء هذا التقديم من مغزى وما وراء ذلك التأخر من أسرار ([1]).

وفي ذكر المسند والمسند إليه أو حذفهما فقد علمنا أن البلغاء من الناس يميلون إلى أسلوب الحذف وإيجاز أكثر مما يميلون إلى أسلوب الذكر والإسهاب لأنهم يرون الأول عنواناً للبلاغة ومقياسا للذكاء وقدرة فائقة على التعبير البديع وهذا ما تلمسناه من خلال الشواهد المتقدمة وكيف تحقق ذلك في ثنايا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتي قيد البحث.

وفي مبحث القصر تنوعت استخداماته في سياقات الأحاديث النبوية مرة بأسلوب إنما ومرة بالنفي ولا وأخرى بما حقه التأخير وعند حديثا على أسلوب القصر وتواجده البليغ في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ليشوقنا الشاهد البلاغي (**الدين النصيحة**) حيث قصر الدين في بذل النصح ثم وضح قطاف النصيحة وغير هذا كثير في تنوع أساليب القصر وبراعة استخدامه بما يحقق المقصد من أداء المعنى ومراعاة اللفظ.

وفي سياقنا عن بلاغة علم المعاني وبالتحديد في فن الفصل والوصل وجدنا دقة اختيار الرسول النبي الأمي عليه الصلاة والسلام لموضع الفصل عند ما يجب الفصل ومتى يعدل إلى الوصل إذا احتاج إليه وكما مر هنا سابقاً أن الملقي متى ما وصل بين جملتين بالواو كان على المتلقي البحث عن سر هذا الوصل وكذلك البحث عن سر الفصل وليس السر في تلقي المتلقي لذلك وفهمه قوله وإنما قطب الرحى لم عبر الفصل وعدل عن الوصل ([2]).

أما غلبة الإيجاز فهي الطابع المميز في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما متع من كمال العقل وغلبة الفكرة وفصاحة اللسان وبرئ من شوائب الإطناب بما يجاوز مقدار الغرض وتحقيق المقصد وكثر في حديثه ما قل حروفه

[1] - النظم القرآني في آيات الجهاد: ٢٩٨.
[2] - بتصرف يسير الطراز ، العلوي ٢/ ٤٩.

وكثرت معانيه و وقع الإطناب في موقعه والاحتياج له قام و لم يكـــن تطـــويلاً واترك لك الحكم في قوله: (البر حسن الخلق) كيف جمع هذا اللفظ المعاني الـــتي يظل فيها الشراح حتى يوفيها حقها من البيان وهذا تجد أن علـــم المعـــاني لـــه حضوره وطابعه المميز في جملة ما تناولنا من شواهد ولعل سر ذلـــك أن علـــم المعاني له رابطة وخاصية بالفصاحة والبلاغة ونحن أمام سيد البشر ومن علم الناس أساليب البيان بل جعلنا نقف عاجزين عن تتبع تلك الأسرار البلاغية في أحاديثه ألا بما سمح لنا إدراكنا القاصر أمام تلك اللوحات المتعددة.

الفصل الرابع

علم البديع وفيه أربعة مباحث :

الأول التعريف بعلم البديع ونشأته

الثاني التعريف بالمحسنات البديعية المعنوية، وفيه المطالـــب التالية:

١) الطباق

٢) المقابلة

٣) اسلوب الحكيم

الثالث المحسنات البديعة اللفظية وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الجناس

المطلب الثاني: السجع

المطلب الثالث: رد الاعجاز على الصدور

الرابع : بلاغة علم البديع من خلال الشواهد

المبحث الأول

علم البديع ونشأته

لا ريب في أن الفنون البديعية قديمة من قدم التعبير الأدبي نفسه عرفها المتقدمون واستخدموها في أساليبهم واهتم البلاغيون القدامى بها وأعطوها حقها من الدرس البلاغي.

وكانت تطلق كلمة بديع على كل ما فيه طرافة وجمال وصفة محدثة من الأساليب الأدبية الرائعة.

وقبل التعرض والتطواف في بساتين البديع والتعرف على فنونه يجدر بنا أن نتتبع نشأة ذلك الفن وتطوره لأنه سيعطينا صورة واضحة عن أبعاده ويعين على تفهم مباحثه وتذوقها.

لقد أسرف الشعراء والأدباء في العصور المتأخرة غاية الإسراف في استعمال المحسنات البديعية إما إعجاباً بها وإما إخفاء لفقرهم في المعاني وبهذا انحط النتاج الأدبي مما ولد عزوفا عن هذا العلم من جانب بعض الدارسين والنقاد المعاصرين.

ولقد عرفوا أن العيب ليس في البديع ذاته وإنما هو في سوء فهمه واستخدامه تعللوا من ذلك العزوف وأعطوه حقه من العناية والدراسة وردوا إليه اعتباره كقطب بلاغي عند تقييم الأعمال الأدبية أو الحكم عليها ([1]).

ومن المسلم به أن الفنون البلاغية الثلاثة لم تكن من أول أمرها محددة المعالم معروفة الموضوعات وإنما نشأت تدريجا وعلى اختلاط موضوعاتها ومع توالي القرون جاءت تلك الدراسات والتي سوف نمسك بخيوط منها لنستوضح الطريق.

[1] - مقالات في النقد الأدبي: ١٦، د/ عبد الحميد إبراهيم نشر دار الهداية بمصر الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ.

ولعل من صميم القول أن ندرك أن الدراسات البلاغية كانت على نوعين: نوع كان الذوق الأدبي ميزانهم في الحكم على جمال الأساليب الأدبية فتزلت فنون البديع عندهم أكرم متزل وحظيت بأعلى مقام، والنوع الآخر: سيطرت عليهم النزعة العقلية وغلبت فيه العجمة فأخضعوا البلاغة العربية لسلطان المنطق والفلسفة وعلى رأس هذا الفريق السكاكي كما هو مسطر في المفتاح فلم يدخل البديع في حيز البلاغة لأن البلاغة عنده محصورة لعلم المعاني والبديع ([1]).

وترجع الأولى المحاولات تحديد معالم فن البديع ما قام به أبناء الفريق الأول من جهود دؤوبة ونظر ثاقب فهذا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ضمنه كثيرا من الخطب الرائعة والأخبار البارعة مع بيان قدر أصحابها إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة تأتي مبثوثة في تضاعيفه لا تدرك إلا بالتأمل والتصفح الطويل وقد أشار إلى البديع بقوله: (والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة) ([2]).

ولكن المحاولة الجادة ما قام بها أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه البديع فنابت فنون البديع منه حظا وافراً واعتنى بها البلاغيون جيداً وجعلها في فنون خمسة هي: الاستعارة ، والجناس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والخامس المذهب الكلامي ثم ذكر بعدها فنونها غير تلك الخمسة والتي يرى أنها أصول لعلم البديع ([3]).

وهو بهذه الخطوة العزيزة كأنه أراد أن يستقل هذا الفن بنفسه بعد أن أصبح مختلطاً مع غيره.

قلت هذه الخطوة خطوة أخرى خطاها العلامة أبو هلال العسكري كما في كتابه الصناعتين فقد عدد أنواعا من فنون البلاغة وحاول أن يقعد لها بأشعار

---

[1] - النقد النمهجي عند العرب: ٥٩، للدكتور محمد مندور بلا تاريخ طباعة نشر دار نهضة مصر .
[2] - البيان والتبيين: ٥٥/٤.
[3] - علم البديع د/ عبد العزيز عتيق: ١٤ دار النهضة العربية بيروت طبعة أولى ١٤٠٥هـ.

العرب وجميل أقوالهم واتفق مع ابن المعتز في بعض ما قال ثم جاء بعده ابن رشيق القيرواني وسطر في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه أفرد فيه أبوابا لمباحث البيان وأخرى للمحسنات البديعية و مما جعل يستقر في الأذهان أن البديع شيء والبيان شيء آخر ونراه يشيد بابن المعتز وأنه مهد الطريق لمن بعده لاكتشاف تلك المعالم البلاغية ([1]).

وهنا سطع في سماء البلاغة قمر أضاء للحائرين ما هم فيه مختلفون في تحديد معالم تلك الفنون، جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني و وضح في كتابه دلائل الإعجاز نظرية علم المعاني وفي كتابه أسرار البلاغة علم البيان.

وهو لهذا يعد بحق مؤسس البلاغة العربية والمشيد لأركانها والموضح لمشكلاتها والذي على نهجه سار المؤلفون.

والمتصفح لكتابيه السابقين يرى أنه لم يحاول فيهما وضع نظرية علم البديع وإنما تكلم في كتابه أسرار البلاغة عن ألوان البديع وهي الجناس، السجع، حسن التعليل– الطباق– المبالغة– وحديثه عن هذه المحسنات ليس لأغراض بديعية بمقدار ما هو لأغراض بيانية وراح يثبت أن الجمال فيهما لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيباً يؤثر في النفس ([2]).

واستقر بنا الحال عند الخطيب القزويني الذي جاء بعد السكاكي والذي خص البديع بمباحث مستقلة وأفرد له في كتابه مفتاح العلوم وألحقه في نهاية كتابه ولكن الخطيب القزويني تعقب السكاكي ولخص ما جاء فيه وحاول جاهداً أن يظهر الجمال ويتناسى الصفة والجمود وذلل في كتابه الإيضاح، ما استغلق فهمه وزاد فيه وعرض نماذج تشرح القاعدة ولا يبعد بالشاهد عن مواطن جماله ([3]).

---

[1] - البلاغة تطور وتاريخ: ١٤٧.
[2] - أسرار البلاغة: ٥ للإمام عبد القاهر الجرجاني طبعة دار المعارف الرياض، ١٤٠١هـ الطبعة الأولى.
[3] - علم البديع: ٤٣.

واستمر الفراق بين البديع وبين أهل البيان والبلاغة والمحاربين للصفة تارة وتارة حتى جاء العصر الحديث وأصبح الأدباء والبلغاء ينظرون إلى البديع على أنه وسيلة يستعان بها على تذوق الأساليب البيانية والارتقاء بها، وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة بخلوها من التعقيد المعنوي ولا يختلف كثيرا تعريف البديع عن هذا القول وكما يقول فيه الخطيب القزويني (علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة) ([1])وكل من عرفه لا يختلف كثيرا عن قول الخطيب إلا بتقديم وتأخير بين مفردات التعريف وحسب ([2]).

[1] - علم البديع: ٧.
[2] - على سبيل المثال كتعريف ابن خلدون وابن الأثير وغيرهما.

المبحث الثاني

المحسنات المعنوية:

التلازم بين قيمة المعنى وقيمة اللفظ خاصية لبلاغة النبوية كما أنها تعطـــي لكل مترلته والاهتمام به ولا يقلب أحدهما على الآخر.

وإذا كان من المتقرر أن علم البديع فن بلاغي له حدوده ومعالمه فإنـــه لا يخرج عن ذلك الإطار في كون المحسنات المعنوية فنون بديعية تعتمد في اهتمامها البلاغي على تحسين المعنى وتزينه وأثر ذلك التحسين في الوظيفة الأدائية لما يـــأتي في تلك المحسنات، وسوف نتاول تلك المحسنات البديعية وموقعهـــا البلاغـــي في الأحاديث التي فيه الدراسة وعليه التكلان.

المطلب الأول: الطباق

أولاً: التعريف:

ويقال له التطبيق والطباق والمطابقة وفي اصطلاح البلاغيين: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام منثور أو شعر ([1]).

ويقول في صاحب الطراز: (هو أن يؤتى بالشيء وبضده في كلام وهو نوع من علم البديع متفق على صحته وقد يسمى بالتضاد أو التكافؤ) ([2])، ومثاله في كتاب الله عز وجل: (**وتَحْسَبُهمْ أيْقَاظاً وهُمْ رُقُودٌ**) ([3])، فقد وقع الطباق بين لفظين هما: أيقاظا و رقود.

والطباق يأتي على نوعين :

١. **طباق الإيجاب**: ما صرح فيه بإظهار الضدين أو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً ومثاله قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام) ([4])، فإن الطباق وقع بين الحلال والحرام وهو طباق إيجاب إذ المعنى لا يختلف سواء كان مثبتا أو منفيا.

٢. **طباق السلب**: ما لم يصرح فيه فإظهار الضدين أو ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلباً نحو قوله تعالى: (**قُلْ هلْ يَسْتوي الَذيِ يْعْلُون والَذينَ لا يَعْلَمُون**) ([5]).

---

[1] - علم البديع: ٧٧.
[2] - الطراز٢: ٢٧٧.
[3] - سورة الكهف آية: ٢٤.
[4] - صحيح البخاري كتاب البيوع رقم: ٢٠٥٩، فتح الباري على البخاري: ٤/ ٣٧٥..
[5] - سورة الزمر آية: ٩.

ثانياً: تحليل الشواهد لفن الطباق

١- الحديث الثاني:

وقع الطباق في ثنايا الحديث وسره البلاغي ما ذكرناه في كون المتضادات جاءت في سياق واحد تعطي النفس شعوراً يأخذ أحد المعنيين المتضادين بعد طول وعي وترقب.

وهذا ما نلمسه في قوله: (**بياض – سواد**) فقد وقع جناس الإيجاب بين هاتين الكلمتين والقلب يحتاج لمعرفة تفاصيل تلك الحالة التي جاء عليها جبريل فكان أسلوب الطباق معيناً على رسم تلك الهيئة بأبعادها وما تحمله من أخبار.

وشاهد آخر نلمسه في ثنايا هذا الحديث وهو قوله: (**وتؤمن بالقدر خيره وشره**) فالجمع بين الضدين يعطي المتلقي مساحة قبل الإقدام وهذا مكمن سره البلاغي إذا الطباق أشبه ما يكون بجرس معه طلقات تحذير لما سيأتي وكل هذا الشواهد من قبل طباق الإيجاب.

٢- الحديث الرابع:

كتب الله المقادير على الخلق وهم في بطون أمهاتهم وتبقى حياة المرء وفق ما قدر الله وما صاحبها من عمل، وفي الحديث عدة شواهد أولها: (**شقي أو سعيد**) كم هي سعادة الإنسان لما يعفر أن الله قدر له ذلك وأن عليه العمل وهذا يعطيه قوة ارتباط بالله وحسن التوجيه إليه فقد وقع الطباق هنا وهو طباق إيجاب والشاهد الآخر ورود لفظة النار والجنة في مشهد تترقب فيه النفس عواقب ما عملت وجاء الطباق في ثنايا جملتين زادهما إيضاحا لأن معنى الجملة متعلق بالجنة أو النار ([1]).

[1] - جامع العلوم والحكم: ١٦٩، بتصرف يسير.

٣- الحديث السادس:

عند التأمل والتجوال في أفق هذا الحديث سندرك ما فيه من المزايا والأسرار البلاغية والتي تجلت فيما يخصنا من قول في الطباق ، فالطباق بين الحلال والحرام زاد المعنى جمالا وأثار في النفس وبعث فيها التأمل والنظر لإدراك ما وراء اللفظين وما ينبغي الالتزام به من معنى ([1]).

٤- الحديث الحادي عشر:

يضع هذا الحديث قاعدة جلية في التعاملات في الحياة بحيث أنه يستبعد

كل ما فيه ريبة وشك ويعمل على ما لا تجد النفس فيه شكوكاً وحشداً كبيرا من الريبة ([2])، والشاهد البلاغي هنا وقوع طباق السلب بين قوله: (**ما يريبك وما لا يريبك**) حيث اختلف الضدان إيجابا وسلبا والطباق هنا جعل أمر الحسم واضحا فهو بين أمرين أحدهما واضح جلي والآخر فيه غبش وقتامه .

٥- الحديث الخامس عشر:

إطلاق اللسان بالحديث وجمله يقول ويرتع فيما يحب باب سوء وطريق مفضية إلى الهلاك وقد وقع شاهد بلاغي على الطباق له أبعاده البلاغية بين (**فليقل خيرا أو ليصمت**) وهذا طباق إيجاب والعجب هنا أن المقارنة في السياق بين الضدين توقظ الضمير وتزرع الانتباه.

٦_الحديث الثامن عشر:

المسارعة لتحصيل الحسنات والمباعدة عن اقتراب السيئات أمر يحتاج لعزيمة صادقة وعزم متجدد وجاء الطباق جامعاً للسيئة والحسنة كما في قوله: (**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**) حتى يدرك العامل الفرق الشاسع بين الضدين ويعرف البون الكبير بينهما والطباق هنا طباق إيجاب.

---

[1] - بلاغة تطبيقية: ١٢٤.
[2] - إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية : ٩٢.

٧- الحديث التاسع عشر:

طرح الأمور المتضادة في معرض كلام يراد به الحذر والترقب وبذلك النصح أسلوب في غاية الاقتناع وهذا ما يلمس في ثنايا هذا الحديث خصوصا أن المقام مقام نصح لغلام يحتاج فيه لمزيد العناية والاهتمام بما سيقال له.

في الرواية الأخرى للحديث جاء الطباق بصورة الإيجاب واضعا العقل بين خيارين لا ثالث لهما ففي قوله: (**الرخاء – الشدة**) وكذلك (**ما أخطأك لم يكن ليصيبك**) والشاهد الآخر في قوله: (**الفرج مع الكرب**) وفي الشاهد الأخير (**مع العسر يسرا**) صورة متزاحمة لا يملك العاقل أن يتردد ويؤمن بما يحصل وتزداد الصورة وضوحا في اقتران حصول الضد بضده فلا يملك الإنسان إلا السعي والإقبال على ما فيه خير له ولو تأملنا قوله: (**الفرج مع الكرب**) كيف جمع الطباق لين ضدين أحدهما لا يجتمع مع الآخر والسر البلاغي هنا ليس حصول الطباق فحسب بل السر كون الضدين متلازمين وبإقبال العبد على ربه والالتجاء إليه يفترقان.

٨- الحديث الثالث والعشرون:

الشاهد فيه قوله: (**فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**) وهكذا الإنسان يسعى في الحياة الدنيا فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى فيوبقها أي يهلكها ([1])والطباق هنا في جمعه للضد وصاحبه لا يترك سبيلا لكل الساعين في الحياة فهو لن يكون إلا أحدهما فقد والطباق هنا طباق إيجاب.

وبدا لي شاهد آخر في ثنايا الحديث وقد وقع بين حرفين وذلك في قوله: (**حجة لك أو عليك**) والمعنى أنك إذا تعلمت القرآن انتفعت به وسعدت في الدنيا والآخرة فيكون حجة لك وإن كان الأمر على خلاف ذلك شقوت في

[1] - شرح الأربعين حديثا النووية: ٦٣.

الدنيا والآخرة فيكون حجة عليك، وسر الطباق هنا ما أضافه الضد من جعل العافية محصورة بين شيئين لا ثالث لهما وجعل الحكم قاطعا فإما الانتفاع ويكون حجة لك أو عدم الانتفاع فيكون حجة عليك.

٩- الحديث الرابع والعشرون:

كنا قد ذكرنا أن جوهر الطباق وسر البلاغي يتخطى من كونه زينة للكلام إلى أنه يزرع الانتباه والتيقظ عند ما يجمع الشيء وضده وكيف الترقب والحال في سياق لحديث قدسي فإنه يجعل النفس في وعي تام لأنه تأمل في الضدين.

وجاء في هذا الحديث القدسي عدة شواهد وهي في قوله: (**كلكم ضال إلا من هديته**) وعند ما يتعقد المقارنة بين هذا الفعل وضده وهو الاسم (ضال) يدرك الواحد منا كم هي نعمة الله عليه في كونه أنعم عليه بنعمة الهداية والإسلام وهذا مما يزيد في النفس إدراك لصورة الضد والتمسك بالهداية والصلاح.

والشاهد الآخر: (**كلكم عار إلا من كسوته**) فإن العري ضده الرجل المكسي ، ولعل العري هنا والاكتساء معناه التقوى أوالتجرد منها كما في سياق الآية (ولباس التقوى ذلك خير) ([1]).

وشاهدنا الأخير (**كلكم جائع من أطعمته**) إلا والملاحظ هنا أن الطباق لم يقع بين ضدين وإنما وقع ين ضدين أحدهما يؤدي معنى الضد للآخر إذ الجوع ضده الشبع ولكن المعنى العام للسياق يؤكد أن الطباق وقع بين اسم وفعل ويدل عليه قول الله عز وجل : (**ومن يضلل الله فلا هادي له**) ([2]) فإن الطباق وقع بين اسم وفعل والتعبير بالاسم يفيد نفي الجنس وهنا تحصل المطابقة، والطباق هنا طباق إيجاب.

---

[1] - سورة الأعراف آية: أية (٢٦)
[2] - سورة الأعراف آية: ١٨٦.

وقد قال الخطيب أن الطباق لا يقع إلا في الأفعال والصحيح أنه يقع بين الاسم والفعل على حد سواء بل نرى أنه أشار إلى طرف من ذلك وأطلق عليه الطباق الخفي وكونه يجمع بين معنيين لا يتنافيان في ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه ([1])، وفي الآية السابقة إيضاح للمقصود من هذا الكلام والله أعلم.

١٠- الحديث السابع والعشرون:

تحديث مسميات الأمور وإيضاح معالمها وخصوصا ماله علاقة بالشرع حلة وحرمة سارت عليه ألفاظ الأحاديث النبوية وهنا في قوله: (البر ... الإثم) حصل طباق بينهما والبر كلمة تدل على كثرة الخير والإثم تدل على مقارفة الحرام وقال العلامة أن الخلق المفسر به البر يتعدى إلى معنى حسن الخلق مع الله بفعل طاعته وترك محارمه والتسليم بكل ما أمر به وعدم التذمر من أقداره ([2])، والطباق هنا طباق إيجاب جمع بين الضدين.

١١- الحديث السادس والثلاثون:

شاهدنا البلاغي في قوله: (**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**) ومعناه أن التقرب إلى الله لا يحصل بالنسب وكثرة الآباء ومكانتهم في الدنيا وإنما يحصل ذلك بالعمل الصالح والتقرب لله.

والطباق هنا طباق سلب والسر البلاغي الجمع بين الضدين يرجع فيه إلى زيادة التحقيق بما سوف يستقر عنده من معنى في ذكر الضد ثم يتلوه ضده وهنا يحصل للنفس استبصار بما تريد وما تدع.

---

[1] - الكلام مفصلا أورده شارح الإيضاح: بقية الإيضاح: ١١/٤ – وما بعده.
[2] - شرح الأربعين النووية: ٢٩٤.

١٢- الحديث السابع والثلاثون:

رفعة المرء في الدنيا والآخرة متعلقة بما يناله من حسنات وسيئات وليس هنالك عمل يعمله المرء إلا رتب الله له حسنات أو كتب على مرتكبه السيئات والشاهد البلاغي في قوله: (**إن الله كتب الحسنات والسيئات**) فجمع بين الضدين ليحث المرء أين يجد الحسنات فيطلبها وأن يعثر على السيئات ويتركها فالطباق هنا طباق إيجاب والسر البلاغي في الطباق عموماً ما نراه من توكيد للمعاني والضد يظهر حسنه الضد ويذكر ترغيبا أو ترهيبا لأحدهما والمعنى للضد الأول لا يتضح إلا بإيراد الثاني فيتجلى فيه الشعور والترقب ([1]).

١٣- الحديث الأربعون:

في ختام الحديث جاء شاهد الطباق واضعا حداً لعدم التفريط في الوقت والاستعداد للرحيل ففي قوله: (**من صحتك لمرضك**) وقع طباق إيجاب فالصحة والمرض بينهما تضاد فإما أن تستفعل الصحة قبل المرض فتفوز وإما يدهمك المرض فلن تستطيع فعل الطاعات لعجزك والطباق الآخر في قوله: (**حياتك لموتك**) فالإنسان حال حياته فإن بمقدوره المنافسة في الصالحات وزيادة الأعمال ورفعة الدرجات وإما إذا مات انقطع عمله ([2]) والطباق هنا طباق إيجاب إذا الحياة ضدها الموت، والسر في هذا الطباق كيف استطاع الطباق أن يستحث الهمة ويرغب في العمل بدون نصح مباشرة وهذا يعد سر لا تدركه إلا العقول المبصرة ويتجلى بلاغته عليه الصلاة والسلام في تنوع أساليب الدعوة إلى الخير بألوان شتى.

١٤- الحديث الثاني والأربعون:

يتقرب الله لعباده بنفحات التوبة والغفران أما قال: (**إِنَّ اللهَ يُحِبُ التَوابِينِ وَيُحِبُ المُتطَهِرِيْنَ**) ([3])، والمقام في شاهدنا مقام دعوة للتوبة وتأكيد عفو الله وصفحه عن عباده المذنبين مهما كثرت ذنوبهم.

---

[1] - الحديث النبوي من الوجهة البلاغية لعز الدين السيد: ٢٣٢.
[2] - من كنوز السنة: ٦٣،
[3] - سورة البقرة آية: ٢٢٢.

وقد جاء الطباق بين خطايا ومغفرة، وقد ساوى بينهم في القدر فكلاهما عبر عنه بقرار حتى لا يعقد المذنب المقارنات فيهلك وحتى يعلن سعة رحمة ربه والسر البلاغي هنا الدعوة لمن عصاه بالمسارعة والتوبة بعقد الطباق بين تلك المتضادات وجعل التوبة أمراً محببا تطمع له النفس.

المطلب الثاني فن المقابلة

أولاً التعريف:

المقابلة لون من الألوان البديعية تؤثر في الأسلوب شكلا ومضمونا وتساعد على رسم الصورة في ذهن السامع واضحة جلية وهي من الأساليب الشائعة في كلام الناس لما يجري في ألسنتنا من مقارنة الأضداد وقد وقعت المقابلة في كلام الرسول عليه الصلاة والسلام في مقامات عديدة وذلك لتأكيد المعنى وتقريره في نفوس أمته.

وقد أطال البلاغيون في تعريفها والفرق بينها وبين الطباق وهذا ما سوف نسلط عليه الضوء.

فنرى قدامة بن جعفر يقول فيها: (أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة) ([1]).

أم أبو هلال العسكري: (هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة) ([2]).

أما الخطيب القزويني : (أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب) ([3]).

والبلاغيون مختلفون في أمر البلاغة فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة ومنهم من يرى أنها نوع مستقل من أنواع البديع وهذا هو الأصح ولأن المقابلة أعم من المطابقة ولعل الفرق بينهما فيما يلي:

١. أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين أما المقابلة فأكثر من ذلك بل تصل إلى خمسة أضداد متقابلة.

---

[1] - نقد الشعر لقدامة بن جعفر: ١٤١ تحقيق كمال مصطفى مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٣م.
[2] - الصناعتين لأبي هلال العسكري ٣٣٩، تحقيق على البجاوي الطبعة الثانية.
[3] - الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٥٣.

٢. أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد أما المقابلة فتكون بالأضداد وغيره وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها) ([1])،كيف تم المقابلة بين الأضداد الثلاثة والمقابلة لها الدور الكبير في إيضاح المعنى وتقريبه في الذهن فيكون حاضرا بلا تردد.

ثانيا دراسة وتحليل الشواهد

في استعراضنا للأحاديث النبوية وجدت أن المقابلة قد تربعت وأخذت موقعا كبيرا من جملة ناحية البيان فجاءت المقابلة مؤدية دورها الكامل في التقرير والإيضاح وتبرير الشكوك.

١- الحديث الرابع:

وقعت المقابلة عند قوله عليه الصلاة والسلام: (**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**) وحتى تتضح هذه المقابلة الرائعة والتي بثت في النفس الخوف والوجل لأنها وضحت مآلات الأمور على أسبط القول في معنى تلك المقابلة فإن تحول المرء عن دينه وسوء الخاتمة امر حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك تجده في قوله (**إلا ذراع**) أي حتى يقرب أجله تماما ولما عقد الرسول المقابلة جعلها يبين أمرين رجل يعمل بعمل أهل الجنة ويكون على صلاح من أمره حتى إذا قارب الأجل تنكس عن الطريق فعمل بأعمال أهل النار وعلى الطرف الآخر بعض الناس خال في حياته مقترف للسيئات والمحرمات وإذا قارب أجله تاب ورجع إلى ربه فتاب

[1] - رواه مسلم كتاب الصلاة: ٤٤.

توبة صادقة واستحق الجنة وهذا ما يدل عليه كثرة دعاء الرسول عند قوله((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ([1]).

وسر هذه المقابلة كون النفس عند سمعها لحال الفريقين كيف نشمر عن ساعد الجد والمثابرة على فعل الطاعات وسؤال الله الثبات وسر آخر أن الأضداد في هذه المقابلة – الجنة – النار – ذكرت مقدمة ومؤخرة، يجعل الأمر محصورا فيهما بين الترغيب والترهيب.

٢– الحديث السادس:

والشاهد البلاغي على مجيء المقابلة في قوله عليه الصلاة والسلام: (**إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**) فهذه المقابلة تزيد المعنى جمالا ووضوحا لأن الضد يظهر حشنه الضد كما أنها تثبت النفوس وتحثها على النظر والتأمل للوقوف على حقيقة هذه المضغة والعمل على إصلاحها ليتحقق بصلاحها صلاح الجسد كله ([2])، والمقابلة هنا بين ضدين (**صلحت صلح الجسد**) وبين ضدهما (**فسدت فسد الجسد**).

٣– الحديث السابع:

عند ما يستدعي الأمر مزيدا من العناية والاهتمام تأتي المقابلة كأسلوب نبوي في الأحاديث النووية مضيفة إلى ذلك قيمة إثرائية ودلالية وفي شاهدنا البلاغي في هذا الحديث (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) فالمعاني هنا حشدت ثم أُظهرت للمتلقي ففي الضد الأول في صدر الشاهد تجد كلاما عن النهي مقرونا بالتجنس ويؤمر بأمر بعد نلمس فيه الاستطاعة بدون إهمال ولا تحمل فلا يطاق، وعند ما تمت المقابلة زادت المسافة واتضح المقصود وأخذت النفس زادها.

---

[1] - رواه الترمذي باب الأدعية والأذكار : ٢١٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه.
[2] - بلاغة تطبيقية: ١٣٠.

٤- الحديث الحادي عشر:

الزهد والورع شعار الصالحين ودثار المتقين وما دام الأمر بين التحريم والكراهة أو الحل المشوب بحذر وتوجس يجيء الفيصل في ذلك لأن مرجعه لشخصك وما تجد فيه من الريبة، والمقابلة هنا وقعت بين (**دع ما يريبك**) أي اترك ما فيه ريبة وبين (**وما لا يريبك**) على اختيار تقدير الفعل افعل ما ليس فيه ريبة فالمقابلة تمت بين ضدين يقابلهما مثلهما.

٥- الحديث التاسع عشر:

وقعت المقابلة عند قوله: (**لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**) وعند قوله: (**وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**) النفع وعدم النفع ولك وضدها، ثلاث معان أيضا: الضر وعدم النفع وعليك وكما أسلفنا أن من شأن المقابلة إظهار المعنى وتنبيه الأذهان وتحريك العقول إذ الجمع بين المعاني وضدها يزيدها وضوحا ورسوخاً في القلب واستقراراً في العقول ([1]).

٦- الحديث الثاني والعشرون:

والشاهد البلاغي على وقوع فن المقابلة في قوله: (أحللت الحلال وحرمت الحرام) وكما هو واضح فإن المقابلة تمت بين ضدين يقابلهما مثلهما إذ المعنى فعلت الحلال واجتنبت الحرام فالمقابلة هنا ظاهرت بين تلك المعاني إذ لا يوجد أمر يقدم عليه المرء يتوسط الحلال والحرام فهو إما حلال وإما حرام ولذا الاجتناب والإقدام متعلق بهما وحسب وعليه مدار الأعمال.

٧- الحديث الرابع والعشرون:

المعنى الذي يراد أن تعيه قلوب البشر أمر جلل ومعتقد كبير وتقرير ذلك يحتاج فيه حشر المتضادات والمقابلة بينهما حتى ينار القلب وتزداد البصيرة وانظ

[1] - بلاغة تطبيقية: ١٤٤.

إلى عجيب المقابلة ولطفها فقد قوبل بين (**أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم**) و (أتقى – أفجر) ثلاث معان يقابلها مثلها لأن سعة ملك الله ومقادير الخلق والرزق ومفاتيح الغيب له سبحانه ولا تنفعه طاعة الطائعين ولا معصية العاصين بل خزائنه لا تنفد ولأن هذا المعنى الكبير لا يدرك بالمثل السائر والعبارة القصيرة نجد سر المقابلة هنا حاضر في تقرير المعاني وتوكيدها.

٨- الحديث الخامس والعشرون:

التجرد لله في طلب مرضاته بصالح الأعمال كان والله ديدن الصحابة ومن بعدهم من خير القرون والسؤال عن كل ما أشكل في تحصيل الطاعات صفة ملازمة لذلك الجيل الفريد والشاهد البلاغي في هذا الحديث لفن المقابلة عند قوله: (**يكون**

له فيها أجر) وقوله: (**أكان عليه وزر**) فالمقابلة تمت بين حرفين: له وعليه وبين اسمين أيضا (**أجر و وزر**) وفي معنى الحرف: له يتخذ معنى الملكية والحصول على الأجر لما عمل وفي معنى عليه أنه ارتكب حراما وكتبت عليه الخطيئة فالمقابلة جعلت الأمر الوارد والذي كان مثار السؤال أمراً مسلماً به لأنه اشتمل على المقابلة والحجة والبرهان.

٩- الحديث التاسع والعشرون:

ما جاء في مقدمة الحديث أمر عليه سعادة العبد أو شقاوته وهو معنى عظيم لا يمر مرور الكرام تحتاج فيه لمزيد الإيضاح والاهتمام وهذا ما تؤديه المقابلة ووقوعها في هذا الحديث والشاهد عند قوله: (**يدخلني الجنة ويباعدني عن النار**) فالمقابلة تمت بين الجنة والنار والإدخال فيها والمباعدة عن الجحيم وسر المقابلة التعبير بالإدخال في الجنة قابله مباعدة فليس مجرد دخول فقط وإنما غاية الابتعاد عنها وهذا المعنى زاد من إيضاحه وتقريبه فن المقابلة الذي تم في الحديث وسر بلاغي تدركه العقول في بلاغة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

١٠ السادس والثلاثون:

الجمل في هذا الحديث كلها عبارات متقابلة تجمع بين عمل الإنسان في الدنيا وجزاءه الذي سيناله في الآخرة والشاهد البلاغي في قوله: (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**) فالمقابلة تمت بين كرب الدنيا وكرب القيامة وعلى الرواية الأخرى الآخرة وكرب الدنيا لا تساوي كرب الآخرة وهذه المقابلة جعلت من يسعى في تنفيس الكرب يقارن بما في الدنيا من غصص ويسعى إلى قضائها عن إخوانه فإن الجزاء من جنس العمل([1]).

١١- الحديث السابع والثلاثون:

فضل الله واسع ولا يحيط بمنه وكرمه أحد يحب التوبة ويدعو إليها ويرغب عباده في طلبها وهذا ما نجده واضحا في شاهدنا البلاغي وعند ما تحدث عن اقتراب السيئات أم الحسنات فلم يتضح لي فيه مقابلة نظرا لأن الحديث يدور حول الحسنات.

ففي قوله: (**إن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**) فالمقابلة تمت بين فلم يعملها وعملها وبين الحشنة والسيئة، فالهم بالسيئة دون العمل تكتب له حسنة والهم مع العمل تكتب سيئة وهذه المقابلة لا تترك لمقترفي السيئات إلا طريقا يلمس فيه الإصرار على فعل السيئات لأن الله عز وجل رتب على الفعل وليس على الهم.

١٢- الحديث الأربعون:

شاهدنا البلاغي لفن المقابلة تأتي عند قوله: (**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**) فهذا تقابل لطيف بين أصبحت

[1] - قطوف من رياض السنة: ١١٠.

وأمسيت وبين الصباح والمساء ([1])، وهذه المقابلة بين الأضداد جعلت المعنى الذي يراد وهو عدم التعلق بالدنيا والاستعداد للرحيل قريب حاضر في ذهن العبد فهو ملازمة في كل أوقاته، وهكذا رأينا في أسلوب المقابلة أنها تضفي على العقول رونقاً وبهجة وتقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني وتجلو الأفكار ومن صفات الأدب العالي الفريد تلاحم أجزائه وائتلاف الفاظه حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة ، ونرى كيف الرسول ببلاغته الفذة راحت المقابلة تستدعي المعاني في الأحاديث التي تناولنها وكيف حلقت بنا البلاغة النبوية في أعلى البيان.

[1] - من كنوز السنة: ٦٢.

المطلب الثالث أسلوب الحكيم

أولا التعريف:

يقصد بأسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يترقب إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى ويذكر الجاحظ مثالا طريفا عن أسلوب الحكيم إذ يقول: (قيل لشيخ هرم: كم سنك ؟ فقال: إني أنعم بالعافية)، فالشيخ ترك الإجابة عن السؤال الموجه إليه وصرف سائله في رفق عن ذلك وأخبره أن صحته موفورة، إشعاراً للسائل بأن السؤال عن الصحة أولى وأجدر([1]).

ومثاله كذلك ما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: (**متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت**) ([2])، فعلم الساعة علم غيبي استأثر الله به فلا يعلم أحد متى قيامها والإجابة التي أجابها عليه الصلاة والسلام ليس لها علاقة بما سأل ولما علم الرسول عليه الصلاة والسلام أن الاستعداد لها بالعمل أهم من العلم بوقتها كان هذا الأسلوب والسر البلاغي في هذه الإجابة التي قالها الأعرابي فإنها موافقة لما سأل عنه الرسول لا ما سأل عنه الصحابي وقد عد البلاغيون الأسلوب الحكيم من البلاغة في الصميم وأبانوا عن جماله بما ذكرنا وفي كونه أسلوب يكشف ما في العقول ويعطي جمالاً على المعاني المترتبة.

---

[1] - البيان والتبيين: ١٤٨/٢ .

[2] - البخاري كتاب الآداب، ومسلم كتاب البر والصلة رقم ٢٣٣٩.

ثانيا تحليل الشواهد لأسلوب الحكيم

الحديث الثالث عشر:

كما أسلفنا من قبل أن الجواب الحكيم هو الذي يتلائم مع حال السائل ولا يقف عند حدود رغبته في جواب معين نظراً لما هو أكثر فائدة وأعظم نفعا وفي هذا الحديث امتنع الرسول عن آية زيادة وكأن الإنسان إذا ملك عواطفه وسيطر عليها ملك الخير كله والسر البلاغي في كون ذلك الجواب جاء لسؤال غير وارد وانتقل الرسول من سؤال وجواب لإجابة وأمر يرى أنه أبعد أثراً من سابقه والدليل على معرفة الرسول باحتياج من حوله أنه كرر عليه الأمر والسؤال من قبل السائل لم يعثر على إجابة بل دله على إجابة هي الشفاء.والشاهد فيه : (لا تغضب) فالسائل جاء للنبي عليه الصلاة والسلام يسأله ويطلب منه الوصية فجعل الررسول اسلوب الحكيم جوابا للوصية وأنه أحوج منه اليها ولان ترك التسرع مفتاح كل خير

المبحث الثالث

المحسنات البديعية اللفظية

تعد المحسنات اللفظية من حلي القول التي يتجمل بها اللفظ وتبرز من خلالها جمالياته اللفظية وإذا كان البديع بعمومه ليس مقصودا لذاته فإن المحسنات اللفظية أبعد في ذلك فلا تُقصد لذاتها ولا يعول عليها في أمر اللفظ.

و لم يتعرض على البديع للنبذ القطعية من قبل الأدباء والمؤلفين إلا بعد ما أغرق فيه ناس كثيرون كانوا نموذجا لعصر الانحطاط البلاغي والفساد الذوقي للبلاغة حتى أصبح البديع نوعا من العيب الذي يقع فيه الأديب والكاتب نظرا لأنهم أخذوه بتكلف وتعسف وإسفاف بلا مراعاة لمتزلته البلاغية ولكونهم وضعوه في غير موضعه ولذا جاء أدبهم معبراً عن فساد في الذوق وفاسد من القريحة.

والمحسنات اللفظية غير المتكلفة مما يزيد منها الكلام جمالاً فقد جاءت حاضرة في كتاب الله العزيز في أوضح سياق وأجمله وجاءت في ثنايا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وأعظمهم بياناً على مأخذ الحسن وروعة الاستخدام ([1]).

والمحسنات اللفظية قسم من علم البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهي ضربان: معنوي ولفظي ([2])، وعلى هذا التعريف تكون المحسنات اللفظية هي وجود تحسين الكلام من ناحية اللفظ بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة.

وعند التأمل في موقع علم البديع بقيمته من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أنه قد جُل عن الصناعة وبرئ من العيوب التي تلحق كلام الأدباء وتفضيهم إلى التكلف المذموم.

---

[1] - الخصائص الفنية في الأدب النبوي: ١٤٦.
[2] - الإيضاح: ٣٤٨.

المطلب الأول

فن الجناس

الجناس من فنون البديع اللفظية ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز عده في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده.

ويعد الجناس من أكثر فنون البديع مدارسة عند علماء البلاغة فقد ألفوا فيه كتبا شتى وجعلوه أبوابا متعددة واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض وممن تعرض له بالبحث والاستقصاء قدامة بن جعفر والإمام السيوطي وقطب البلاغة عبد القاهر الجرجاني والسيوطي أفرد له مؤلفه: جنى الجناس وأوصل أنواعه على ما يقارب الأربعمائة نوع وليس المقام مقام عدها فذلك موضعه من كتب البلاغة ([1]).

وهذا الفن البديعي مأخوذ من المجانسة: وهي المشابهة وسبب التسمية مجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ([2]).

ويقول الخطيب في تعريف الجناس التام: (أن يتفقا -أي اللفظان- في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها) ([3])، وغير التام مبناه على الاختلاف بين اللفظين المتجانسين فهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها.

ومثال التام قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة**) ([4])، فالصلاة الواردة في الحديث يتفق مع الأخرى في عدد الحروف والترتيب والحركة والنوع وهذه شروط كونه تاما مع اختلاف المعنى في اللفظين فالأولى معناه الانتقال بالذكر والدعاء وقراءة القرآن إلى أن تقام الصلاة والثانية المقصود بها الصلاة المفروضة.

---

[1] - جنى الجناس للإمام السيوطي ، ٧١ بتحقيق د/ محمد رزق الخفاجي الدار الفنية للطباعة والنشر بلا تاريخ.
[2] - المثل السائر ١٧٩/١.
[3] - الإيضاح: ٣_٣٩
[4] - رواه البخاري في كتاب ...الصلاة لحديث(٦٠٠.

ومثال غير التام أو الناقص قوله: (**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**) ([1])، فالجناس وقع بين قوله: (ائتلف واختلف) وهو جناس ناقص لاختلاف الحرفين في النوع مع التشابه في باقي العناصر.

وقد انقسم علماء البلاغة في الجناس إلى طرفي نقيض ووسط فمنهم من بالغوا في الثناء عليه فقالوا إنه كالغرة في وجه الفرس ([2])، وفريق حطوا من شانه فهو عندهم من أنواع الفراغ وقلة الفائدة وأنه طريق لتعقيد الكلام وتكلفه ([3]).

وتوسط قوم فقالوا الجناس المقبول جاء عفوا في الكلام من غير كد ولا استكراه و لم يكن مقصودا في ذاته ([4]).

وحامل لواء القول بالتوسط في فن الجناس هو العلامة عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: (أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من الفعل موقعا حميدا و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً) ([5]).

وقد أرجع أحد الباحثين السر البلاغي للجناس إلى ثلاثة أمور:

١. تناسب الألفاظ في الصورة كلها أو بعضها.

٢. التجاوب الموسيقي والصادر من تماثل الكلمات تماثلا تاما أو ناقصا.

٣. المجانسة التي لجأ إليها الأديب لاختلاف الأذهان واختداع الأفكار([6]).

وقد سار البلاغيون على تقسيم الجناس إلى تام وناقص أو غير تام كما هو الحال عند الخطيب وهذا ما سوف أسير عليه لأن التفصيلات والتقسيمات التي ذكرت لهذا الفن ما هي إلا نوع من البعد بالبلاغة من جمالياتها إلى تجميدها في قواعد جافة موحلة.

---

[1] - البخاري كتاب أحاديث الأنبياء: ٣٣٣٦، ومسلم باب البر والصلة رقم ٢٩٣٨.
[2] - المثل السائر لابن الأثير: ٢٤١/١.
[3] - العمدة في صناعة الشعر والنثر: ٣٢٩/١.
[4] - فن الجناس : ٣٠ لعلي الجندي، دار الفكر العربي : ١٩٥٤م القاهرة.
[5] - سر الفصاحة: ٣٢٧.
[6] - أسرار البلاغة: ٨.

ثانيا تحليل الشواهد لفن الجناس

١- الحديث الثاني:

جاء في هذا الحديث جناس غير تام أو ناقص إذ الشاهد (**الحفاة العراة العالة رعاء الشاء**)، فالجناس وقع بين : (**العراة ورعاء**) وهذا جناس ناقص إذ لم تتوفر الشروط الأربعة للجناس وإنما جاء الاختلاف بين الكلمتين في المعنى مع الاختلاف في الحروف فمعنى العراة: أي ليس عليهم من اللباس ما يستر أكثر أجسامهم أو باعتبار ما كان في حال الفقر لهم وقلة ذات اليد ومعنى رعاء : أي الذين يرعون الغنم والماشية.

والجناس هنا جناس ناقص ويسمى جناس القلب إذ الحروف تقدم بعضها على بعض فالراء تقدمت في اللفظ الثاني وفي الأول تأخرت وكذلك العين.

٢- الحديث السادس:

التحذير من الوقوع في المحرمات نال الحظ الأوفر من التوجيه القرآني والنبوي وضربت له الأمثال لأنه خطوة للوقوع فيه فالقرآن يقول: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**) ([1])، والبلاغة النبوية تحذر منه بألوان البيان والشاهد هنا قوله: (**لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**) فالجناس وقع بين (حمى) الأول والثانية وهو جناس تام إذ اتفقت في الأمور الأربعة واختلف معنى كل منهما.

فالمقصود بحمى الأولى: حدود ما يملكه الملك والثانية المحارم التي حرمها الله عز وجل والجناس هنا له سر بلاغي إذا أن النفس لما تحمي معنى الحمى في بداية الحديث ويدرك معناه وما جاء السياق به يرتدع لما يعرف معنى الحمى في الثانية وكأن الأولى مهدت لفهم الثانية والالتزام الأكيد بها.

[1] - سورة النور آية: ٢١.

٣- الحديث الرابع والعشرون:

في هذا الحديث القدسي يروي لنا رسولنا فيما يرويه عن ربه نفحات من الأسس وتفضل الله علينا بخيراته المتتالية.

وقد جاء شاهد الجناس في قوله: (**ولن تبلغوا نفي فتنفعوني**) فمعنى الثانية ما سوف يقدمه المرء لله من نعم وهو عاجز إذ المنعم الله وحده ولا سواه والأولى ما ينعم الله به على عباده من خيرات متتالية ونعم لا تحصى.

والجناس هنا ناقص لاختلاف العدد في الكلمتين مع وجود الترتيب في الحروف الأصلية في النون والفاء والعين.

والسر البلاغي هنا عقد المقارنة بين ما يقدمه الله لعباده من النعم وبين استحقاق الله للشكر والثناء بما أنعم لعجزنا عن ذلك.

٤- الحديث الثاني والثلاثون:

حرم الله الظلم على نفسه وجعله محرما بين خلقه لما يفضي به من انتزاع حقوق الآخرين بلا حق والتعدي على ما عندهم بل رتب الله عليه أقصى العقوبات وأنكاها

وشاهدنا البلاغي في قوله: (**لا ضرر ولا ضرار**) فالجناس هنا ناقص إذ هنالك زيادة في الكلمات الثانية واختلاف أيضا في الحركات للكلمتين ومعنى الأولى: أي لا ضرر على النفس وأن يتركب ما فيه ضرر عليها ومعنى (ضرار) أي الإضرار بالغير والتعدي عليهم.

وكان المعنى الذي جاء به هذا السياق يلمع إلى بلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام في تحييد الظلم والضرر وجعله منبوذا لا على نفسك فحسب بل على الآخرين ([1]).

[1] - إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية: ٢٨٣.

المطلب الثاني

فن السجع

تعريفه: يعد السجع من صنوف البديع التي تستحسن إذا قلت من التكلف وكانت الألفاظ فيها مقودة بالمعاني.

وهو من الفنون البديعية الأكثر شيوعاً على ألسنة الفصحاء والبلغاء قديما وحديثا وقد تناوله العلماء بالبحث والدراسة منذ البذور الأولى لنشأة البلاغة العربية ولا يكاد يخلو مؤلف في البلاغة عن السجع كما تجده عند ابن المعتز حتى آخر من بحث في البلاغة من المعاصرين وفيهم صاحب الطراز العلوي أفرد له بحثاً مستقلاً.

عرفه صاحب سرا فصاحة ابن سنان الخفاجي بقوله: (تماثل الحروف في مقاطع الفصل) ([1])، وهو تعريف لا يشمل بالدقة أنواع السجع كما يأتي.

وقال ابن الأثير: (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد) ([2])، ونرى عبد القاهر يدلى بدلوه حول السجع (وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا)([3]).

ثم استطرد في إيضاح فيمته ومتى يكون حسناً (ولن تجد أيمن طائراً وأحسن أولاً وآخراً وأهوى إلى الإحسان وأجلب للاستحسان من أن نرسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ) ([4]).

وقال أبو هلال العسكري في معرض كلامه عن السجع (وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه الصلاة والسلام وكان صلى الله عليه وسلم وربما غير

---

[1] - سر الفصاحة: ٢٠١.
[2] - المثل السائر: ١٩٥/١.
[3] - أسرار البلاغة: ١١.
[4] - الرجع السابق: ١٤.

الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ واتباع الكلمة أخواتها) ([1]). والأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام وليس توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد ولو كان كذلك لكان كل أديب من الأدباء سجاعاً.

وقد اشترط البلاغيون شروطا حتى يخلص السجع إلى البراءة وعدم الكلف والخلو من التعسف وبها يكون أكثر جمالا وأبعد مقصداً منها.

١. أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها.

٢. أن تكون تلك المعاني مألوفة غير غريبة أو ركيكة ومن أجل السجع فقط.

٣. أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى ([2]) الذي دلت عليه الأخرى.

ومن المسلم به أن ما ورد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من سجع هو من الكمال في غاية فلا تكلف فيه ولا تصنع بل هو في موضعه من حيث لفظه وتركيبه ومعناه.

ألم يرد عنه عليه الصلاة والسلام أنه ذم وحذر من السجع المتكلف فقد قال (**أسجع كسجع الأعراب**) ([3])، ولعل ما نورده شاهد على ذلك وقد قسمه علماء البلاغة إلى أنواع ومن أشهرها:

١. المرصع: وهو ما اتفقت في الفاصلتان في الوزن والتقفية مع اتفاق باقي ألفاظ الفقرتين أو أكثرهما في الوزن والتقفية ومثال ذلك قول الله: (**إِنَّ الأَبْرارِ لَفْي نَعْيمٍ وإِنَّ الفُجَارَ لَفيْ جَحِيم**) ([4]).

---

[1] - الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٢٦٧.
[2] - الطراز للعلوي: ٢٢/١ بتصرف يسير.
[3] - رواه مسلم في كتاب القسامة رقم: ١٦٨٢.
[4] - سورة الانفطار آية: ١٣-١٤.

٢. المطرَّف: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان في التقفية واختلفتا في الوزن نحو قوله: (**المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه**) ([1]) فالفقرتان انتهتا بهاء الغائب والاتفاق في التقفية مع اختلاف الوزن.

٣. المتوازي: ما اتفقت فيه الفاصلتان وزناً وتقفية نحو قوله: (**صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**) ([2]) حيث اتفقت الفواصل في الجمل الثلاث في الحرف الأخير وفي وزن الكلمة.

[1] - رواه البخاري باب الصدقة رقم: ١٤٧٩.
[2] - رواه البخاري با الأدعية والأذكار: رقم: ١٧٩٧.

ثانيا: دراسة وتحليل الشواهد لفن السجع

١- الحديث الأول:

جاء شاهد السجع في قوله: (**يصيبها أو امرأة ينكحها**) حيث اتفقت الفاصلتان فيه في التقفية فكل منهما منتهي بهاء وألف مع الاختلاف في الوزن وهذا ما يسمى بالسجع المطرف.

ولعل السر البلاغي هنا ما نراه من التشابه في إصابة الدنيا أو قصد نكاح المرأة لكونهما داخلان في عداد منع الحياة فالمناسبة بينهما بوجود السجع جعلت المعنى محتماً لهما دون سواهما.

٢- الحديث الثاني:

أراد الراوي أن ينقل بالدقة جميع مجريات ذلك الحدث العجيب والغريب فجاءت تفاصيله مراعية الحال.

والسجع قد حل في قوله (**الشعر**) و(**السفر**) وهذا سجع متوازي حيث اتفقت الفاصلتان فيه وزنا وقافية ومثله يقال كذلك في قوله: (**كفيه**) وبين قوله (**فخذيه**) فكلا الفاصلتين اتحدا في عدد الحروف والوزن واتفقت كذلك في التقفية وهذا الحديث مليئ بشواهد السجع المتناثرة ومنها (**بالقدر خيره وشره**) حيث وقع سجع متوازي بين هاتين الفاصلتين ونلاحظ الاتفاق في الوزن والتقفية وكذلك (**الحفاة العراة العالة**) ولعل السر في ذلك السجع التنوع الإيقال والدقة في وصف مجريات الأحداث التي وقعت في الحديث وكيف كان التلقي والسجع هنا نراه قد ساعد كثيرا في فهم المعاني وعزر من تمكينها من النفس وهذا سر مجيئه.

٣- الحديث الرابع:

ما كتب على وهو في بطن أمه أمر يستلزم من المسلم الرضاء والتصـــديق وهذا يطلب عن السماع أن يصحب تلك المعاني والألفاظ الموقظة للنفس وهذا ما نلمسه في قوله (**أجله – عمله**) فقد وقع السجع بنهما وهو سجع متوازي إذ حصل بينهما الاتفاق في الوزن والقافية فكلاهما ينتهي باللام والهاء وهذا السجع جاء لتحقيق معنى الإيمان بتلك الأمور الغيبية في أسلوب بديع لطيف ([1]).

٤- الحديث الثامن:

دعوة الناس لتوحيد الله وجعله المعبود الأوحد وإلا اســـتوجب قتـــالهم وعرض الحلول الأخرى على من يأبى.

وجاء السجع في هذا الحديث عند قوله: (**دماءهم وأموالهم**) وهو جناس متوازي إذ اتفق اللفظان في الوزن والقافية وكل منهما منهي بالهاء والميم، ولعل السر البلاغي وقوعهم في السياق البديعي يوحي الجمع بين المعنيين إذ الحـــديث سوى بين العصمة من المال والدم فالتناسب في السجع جاء في مكانه ومقـــوي لغرس تلك المعاني في النفوس.

٥- الحديث التاسع:

جاءت الإشارة إلى ان هلاك من كان من الأمم السابقة مرجعه إلى التعنت في سؤال الأنبياء وعدم اجتماعهم على كلمة تجمعهم والملاحظ في دقة استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم للسجع والشاهد (**مسائلهم**) وقوله (**أنبيائهم**) فكل كلمة أدت المعنى المراد تأديته فالألفاظ لم يؤت بها لأجل السجع وحسب بل هي تابعة لإيصال المعنى وتوضيحه والسجع هنا مرصع إذ الاتفاق في التقفية و وجود الاختلاف في الوزن.

[1] - من كنوز السنة: ١٠٢.

٦- الحديث التاسع عشر:

وقع السجع في الحديث بروايته الأخرى وعند قوله (إن النصر مع الصبر) والسجع هنا متوازي حيث اتفق اللفظان في الوزن وفي القافية التي هي الراء ولعل السر البلاغي هنا شدة التلازم بين الصبر والنصر فهذه وسيلة تتبعه النتيجة ([1]) وهي تحقيق الفوز والسجع هنا جعل هذا المعنى حاضراً وتمكن البلاغة النبوية في كون هذا السجع زاد المعنى قوة وفخامة وأضاف إليه التأكيد.

٧- الحديث الخامس والعشرون:

التصبر على فعل الخير مع القدرة في المنافسة عليه ومداومتهم على ذلك وإحساسهم أنهم مع ذلك مقصرون والله إنه لشعور لا يكاد نلمس له الأثر إلا عند خير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء السجع عند قوله: **(أهل الدثور بالأجور)** والسجع هنا متوازي حيث اتفقت الفاصلتان على الوزن والتقفية ومعنى الكلام أن أصحاب المال الوفير حازوا الأجور والحسنات.

والبلاغة النبوية نراها حاضرة المشهد إذا جاء السجع ملبيا للمعنى المراد إيضاحه وإيقاظ القلب لإدراكه وقد وقع سهلا لأن المعنى هو الذي استدعاه من غير كلفة.

٨- الحديث الثامن والعشرون:

المقام العام لهذا الحديث الدعوة إلى التمسك بأهداب الدين وترك ما يأتي حديثا من الاختراع والابتداع في الدين والنجاة معلقة بالتمسك بالهدي النبوي ثم سنة من بعده من الخلفاء الراشدين فهم أبصر الناس بالطريق المستقيم.

ولذا جاء السجع في قوله: **(الراشدين المهديين)** لتحصل الموافقة بين الاسم والوصف التي تحلى به والسجع هنا من المطرف حيث اتفق اللفظان على القافية والختلفا في الوزن وهو سجع لطيف بديع جاء لتقوية المعنى الذي أراده

[1] - الفتوحات الربانية: ١٨٤/١.

النبي من ربط الأتباع بالخلفاء ولكونهم وصفهم بالمهديين وهذا الربط قام به السجع الذي أدى دوره بأحلى حلة وأجمل مكان.

٩- الحديث الثلاثون:

كل جمل هذا الحديث فيه النهي المحمول بالأمر وهذا يستوجب أن يتوحد فيه الأسلوب وهذا سر بلاغي نبوي إذ المناسبة بين تلك الجمل يجعل الأسلوب موحد لتلك المعاني.

والشاهد البلاغي في قوله: (**فلا تضيعوها .. فلا تعتدوها**) والسجع هنا سجع مرصع إذا حصل الاتفاق بين اللفظين في الوزن والقافية وكذلك باقي الجملة، والسر البلاغي النبوي عند ما تزاحمت صور النهي في العقل وتشابهت أدواته وما دام كذلك جاء السجع موفقاً ذا قيمة خادما تلك المعاني العظيمة.

١٠- الحديث الثاني والأربعون:

الاعتصام بالله وحده وطلب تنفيس الحاجات منه ، ولما علم أن الدعاء لا يصرف إلا لله جاء منه مسجوعاً الرجاء (**دعوتني ورجوتني**) والسجع هنا سجع متوازي.

المطلب الثالث

رد الأعجاز على الصدور:

رد الأعجاز على الصدور من الفنون البديعية التي تؤدي إلى الترابط بين الكلام والتلاحم بين أجزائه ويكون الكلام في أوله متصل بآخره وآخره لا يستغني عن أوله.

وكأن الكلام أفرغ في قالب واحد وبهذا يزداد قوة المعنى المراد ويتأكد وأول من تكلم عن هذا الفن البديعي اللفظي عبد الله بن المعتز وقد عده في كتابه أحد فنون البديع الخمسة الكبرى وسماه رد أعجاز الكلام على ما تقدمها.

أما المتأخرون من رجال البديع فمنهم من سمى هذا الفن: رد العجز على الصدر ومنهم من سماه التصدير لن هذه التسمية في نظرهم أدل على المطلوب وأليق بالمقام وأخف على المستمع وعرفه الخطيب القزويني بقوله: (أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملاحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها) ([1]).

ورد الأعجاز على الصدور يؤكد المعاني وقررها في النفوس وذلك أن اللفظ عند ما يذكر في أول الفقرة ثم يكرر في عجز الكلام فإن هذا يؤدي إلى تأكيد المعنى وتقريره في ذهن السامع.

ورد الأعجاز على الصدور من أسباب ترابط الكلام وتلاحم أجزائه فأوله يدل على آخره وآخره مرتبط بأوله أما ترى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا أو راح)** ([2])، فانظر كيف ارتبط معنى الحديث بوصف وأصبح أوله يسوق آخره ويرتبط به وهذا هو السر البلاغي وراءه.

---

[1] - الإيضاح: ٣٩٩.
[2] - رواه البخاري كتاب المساجد: رقم : ٢٨٥.

ثانيا: تحليل الشواهد لفن رد الأعجاز على الصدور

١- الحديث الأول:

استهل الحديث بإعلاء شأن النيات في قبول الأعمال ولذا نرى أن رد العجز على الصدر جاء لهذا الغرض و لم يكن حدوثه أمر بلا داعي بلاغي والشاهد: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**) فالأعجاز ردت على الصدور وقد حصل التجنيس من النيات لفظ (نوى).

٢- الحديث الثاني:

أمر الإيمان كبير وشأنه عظيم وقد حصل رد الأعجاز على الصدور كما في قوله: (**الإيمان أن تؤمن**) وقد كرر لفظ التجنيس ليرد الثاني إلى الأول ويحدث بينهما الربط وكأن العجز جاء إيضاح للصدر وهذا السر البلاغي في لاغة المصطفى عليه الصلاة والسلام حاضرة الذهن ولأن الموقف يستدعي مزيدا من العناية والاهتمام ([1]).

٣- الحديث السابع عشر:

دين الإسلام دين السماحة والإحسان والرحمة لمن في الأرض حتى يوم العرض وقد جاء الشاهد البلاغي في قوله: (**إن الله كتب الإحسان .. فأحسنوا**) فرد العجز الذي هو قوله (**فأحسنوا**) على الصدر الذي هو قوله (**الإحسان**) فالرابطة التي تمت بين الصدر والعجز جاء عن طريق هذا الفن البلاغي.

٤- الحديث الثامن عشر:

جاء في الحديث الشريف: (**ما وجد في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق**) ([2])، وإذا كان الخلق على درجة كبيرة في ميزان العدل فحري بالمؤمن العاقل الكيس الفطن أن لا يفوت هذه الفرصة العظيمة والشاهد ي هذا

---

[1] - جامع العلوم والحكم: ١١٣.

[2] - رواه أبو داود في كتاب الأدب، معالم السنن في شرح سنن أبي داود ٤/ ١٣٧.

الحديث عند قوله: (**خالق الناس بخلق حسن**) ففي الصدر أمر بالتخلق وصفة : (**خالق**) يفهم منها المشاركة والمفاعلة مع الغير وهذا يجعل العجز محل تقـــدير في الجملة إذ رد الأعجاز على الصدور هنا أوضح بما يكون ذلك التخالق بل وصفه بأنه حسن والسر البلاغي هنا في الذهن.

المبحث الرابع

بلاغة علم البديع من خلال الشواهد

إذا كانت اللفظة المفردة هي اللبنة الأولى في بناء الكلام فإن البلاغة تتبعها بالدراسة وبيان الجمال والسر وراء اختيار تلك الألفاظ دون غيرها، وإن الناظر في ألفاظ الأحاديث التي تم دراستها ليجد الوئام الكامل بين اللفظة وبين معانيها ولا يقوم غيرها بالتعبير عن المعنى المراد إلا إياها علاوة على ما فيها من الجرس والسلاسة حتى أن السامع يقف كثيرا عند تخطي اللفظة من المعنى البسيط إلى معاني أكثر دقة وإيضاحا بل تجد ما تم اختياره في سياق الحديث مناسبا لحال المقام ومدللا عليه.

وهذا ما تجده في أسلوب الطباق والمقابلة وعند الجناس وجدنا كيف أوصلت الكلمة المعنى لذهن السامع وقلبه بل أصبحت حاثا له لفعل الخير.

وقد مر معنا في دراستنا لشواهد فن البديع أن البلاغة النبوية اتسمت بحسن الاختيار مع سهولة العبارة.

ومن خلال دراسة جملة من الأحاديث تحت علم البديع رأينا كذلك كيف أصبحت الألفاظ متساوية البناء متفقة الانتهاء سليمة من عيوب الاشتباه وشين التعسف والاستكراه يتوخى في كل جزأين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان ويوافقانهما في الوزن كما مر معنا في السجع ([1])، وبأدنى تأمل ندرك كم كان لتلك الألوان البديعية من أثر في موسيقي الألفاظ وحسن إيقاعها وجلب الأنس والارتياح في استماع هذه الجمل وهي تؤدي معانيها وفق بناء محكم مرتفع عن الصنعة والتكلف ([2]).

ومن باب التدليل وحسب تأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**) فسبيل وغريب مختلفان في اللفظ متفقان في الوزن

[1] - الخصائص الفنية في الأدب النبوي: ١٤٤.
[2] - الطراز للعلوي: ٢/ ٣٧٩.

أما ترى أنه سجع جاءت فواصله سمحة تسوق المعنى وتزف النفس له وهكـــذا نرى في موسيقي الألفاظ والتي يحمل دورها من البديع قد وظفه النبي صـــلى الله عليه وسلم في النصوص السابقة أيما توظيف فأتى بأحسن حلة وأجمل مكان.

وقد رأينا كيف استطاع علم البديع بموسيقيته الداخلية والخارجية في إيجاد العلاقة المتشايكة بين الألفاظ وتآلف عناصر الشكل والمضمون وما نلاحظ مـــن ربط نفسه المتكلم بالتعبير الجميل في السياق وقد شاهدنا القدرة الفائقة في جانب البلاغة النبوية على اختيار الكلمات ذوات الإيقاع المحبب وقد لازم ذلك الشعور أمران:

١. التعاطف والتأني بين المعنى واللفظ.

٢. الانسجام في إيقاع الحروف وزنة الكلمات ([1]).

وفي قوله: (**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان**) تقابل واضـــح يؤدي إيقاعاً سلسلا فقد لمسنا التقابل بين الجمل وبين أجزاء الجملة الواحدة.

أما في الحديث الآخر(**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصـــيبك وأن مـــا أصابك لم يكن ليخطئك**) فالسر البلاغي في هذا التقابل العجيـــب التـــوازن في اللفظ ساق للتوازن في المعنى فكلا الجملتين أعطت معنا لا ينفك عن الأخرى.

وفي مقام السجع جلى لنا أن السجع المستخدم ســـجع تقبلـــه الـــنفس بالاشتياق والقلب بالانقياد.

ولعلي أُجمل ما أتى عليه السجع في مقام النبوة:

١. أنه سجع يتبع اللفظ فيه المعنى ويسوق له.

٢. الوضوح في العبارات والبعد عن أي معنى يحتمل لتلك الكلمات.

[1] - التصوير الفني: ٥٣٥.

٣. الاعتماد على الإيقاع والزنة الموجبة بألوان من المشاعر الفياضة والتي توقظ الروح والعقل وتجعله يطلب ما يقال حاشا له لفعل خير أو تجنب شر.

الخاتمة

ها نحن ننتهي من هذه الرحلة العلمية الممتعة شاكراً لله على ما يسر لي من إنجازها على وجه بذلت ما استطعت فيه سبيلا حاولت أن آتي على ما في هـــذه الأحاديث من صور وتشبيهات واستعارات وأن أفتش عن مواقع الكناية والبيان وأبحر في البحار الزاخرة باحثا عن علم المعاني وأحلق في سماء الكلمـــة متتبعـــا جماليات علم البديع وقد تبين لي وتحقق بما لا يدعو مجالا للشك الأمور التالية:

١. اتخاذها الأربعين النووية مجالا للبحث فيه مزية وخاصـــية فكـــثير مـــن المصنفات الأدبية والبلاغية التي تناولت الحديث النبوي بالدراسة لم يهتم أصحابها بجانب الصحة والضعف في محيط الدراسة والتي يبينون الحجـــة والبرهان على الجودة الفنية والروعة البلاغية فيما يدرسونه من أحاديـــث وهذا الخلل من شأنه أن يقلل من شأن الإشادة والإعجاب اللذين وجدناه في هذه الشواهد إذا علم أن مدار البحث حديث ضعيف أو حديث واه وهذا ما انفردت به هذه الدراسة دون غيرها واتخذت من صحيح الحديث وقويه مجالا رحبا لصحة الاستدلال والاستنباط وبيان الروعة مـــع قـــوة الدليل.

٢. تعرفت على أبرز خصائص البيان النبوي والتي تميزه من بيان غيره من بلغاء العرب وتسمو به إلى قمة البيان العربي وإعلانا بأنه بيان إنسان اصـــطفاه ربه عن جدارة واستحقاق بل رأينا كيف يكون الإيجاز في مواطن الإيجاز والإطناب في موطن الإطناب وفي كل موقف لا يجاوز بيانه مقدار الإبلاغ في المعنى الذي مد يده ولا يقف دونه.

٣. أن الفنون البلاغية الثلاثة ليست مقصودة لذاتها وإنما هي وسائل تفرضها حالة الموقف الذي يتحدث فيه صلى الله عليه وسلم إذ يلمـــس بحســـه

الفطري ما يتطلبه المدقق من الفنون البلاغية ليتوصل به إلى المتلقي في أبهى حلة وأكبر تأثير.

٤. ظهر من الدراسة أن الأربعين النووية تحويه كما كبيرا من البلاغة النبوية والتي جاءت تحث تقسيمات البلاغيين وهي لغة راقية تقوم على الجمال والكمال فيزداد بها القول جمالا ويكتسب بها المعنى المراد كمالا.

٥. التلازم الكبير في بناء الكلمة والمعنى الذي تحمله فالتركيب يتقلب بين الخبر والإنشاء أو التقديم والتأخير أو القصر والإيجاز أو بين موضع فصل ووصل وكل هذا تعرض فيه القيمة البلاغية وأسرار بلاغية وكل أسلوب ينادي بأسراره وسبب اختياره.

٦. اتضح لي من خلال هذه الوقفة أن الألوان البديعية في الأربعين النووية لها فوائد معنوية ولفظية وقد جاءت مناسبة لما تقتضيها المقامات.

ولا يسعني في ختام ذكر هذه النتائج إلا أن أختمها بالتوصيات التالية حجة علي ودافعة لغيري:

١. على أساتذة البلاغة والأكاديميين ألا يحجروا عقول الطلاب على الشواهد التي وردت في كتب البلاغة فإن هذا الأمر يؤدي إلى تقليل شأن البلاغة في قلوب الناشئة والمتعلمين بل الظن أن البلاغة لا تتعدى تلك الشواهد البلاغية فعلى الأساتذة أن يجاوزوا ذلك وينطلقوا لعالم أرحب وليس غير القرآن والسنة ميدان ففيه كتر عظيم ولم يعط حقه من الدرس البلاغي مثل ما أعطي الشعر.

٢. لا يمكن للبليغ أن يعدَّ نفسه بليغا ما لم يتعرف على كم وافر من الكلام البليغ خصوصا القرآن والسنة ويدرسه ويتذوق بلاغته ولا يقتصر على

فهم القواعد النظرية فقط فالبلاغة قاعدة وشاهد ولا بد من التقاء القطبين لتكمل بهما شخصية البليغ.

٣. توجيه الباحثين لاستخراج ما في السنة من بلاغة وفصاحة لإفراج البلاغة من قفص الاتهام الذي رميت به وإن البلاغة قد تجملت وثبتت على شواهد محدودة ، ولم تعد رائعة بهذا العصر المتجدد.

٤. خير ما تطبق عليه القواعد البلاغية هو الحديث النبوي للأسباب التالية:

أ- لبلاغته السامية المقطوع بها والمشهود لها.

ب- غزارة مادته وكثرتها مما يعطي الباحث مجالاً فسيحا ففيه جل الفنون البلاغية إن لم يكن جميعها.

ت- أن الحديث النبوي الصحيح لهو أوثق نثر وصل إلينا بين القدسية التي أحاطت به وحفظته وهذا يعزز مكانته البلاغية والكلامية.

ث- في دراسة للحديث من الوجهة البلاغية سيعرض للطالب ما هو أبعد وأحسن من ذلك إذ سيقت على فوائد في معرفة دينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا مفقود في غيره من النصوص.

ولا يفوتنا أن نلاحظ تنوع الأساليب في البلاغة النبوية بتنوع الموضوعات والمواقف، واختلاف المقامات والأغراض، فالدارس للأسلوب النبوي يجده مردداً بين أنماط كثيرة من الأساليب، لكل منها غايته، التي لا يصلح لها سواه، من تفصيل بعد إجمال، أو تفسير بعد إبهام، أو توكيد بالتكرار، أو إجراء الكلام على طريقة القص والحوار.. إلى غير ذلك من وسائل الأداء في الأسلوب النبوي.

وبعد، فإن عنى هذا البحث شيئا، فإنما يعني أن ما أورده من أحكام ونظرات في أدب النبوة، من حيث احتواء أساليبه، ووسائله التصويرية، وقيمه

الجمالية والفنية والموضوعية، كل ذلك لا يرقى بالطبع إلى درجة البرهان القاطع، والقول الفصل في جوانب البلاغة النبوية الرحيبة الخصبة، وإنما هو بالغ فقط درج التمثيل والتدليل والإشارة، والقارئ نفسه متروك لـــه أني يشـــاركني في إتمـــام البحث، بمزيد من التأمل في الأقوال الشريفة، على ضوء ما ذكـــرت، ليعـــرف بنفسه مدى صحة ما قدمت من أحكام ونظرات، وليضيف إليها ما اهتدى إليه، مما فاتنا أو يعدل فيها، أو يصحح أو يتحفظ، فبهذا وحده تتضـــافر الجهـــود، لتحقيق الغاية المرجوة، من مثل هذه البحوث.

على أن استيعاب الكلام في البلاغة النبوية وخصائصها، ومجالي روعتـــها وتفوقها، إنما هو طلب لغاية في السماء، ولا نجد ما نختتم به هذا البحث أفضـــل من هذه المناجاة الأدبية التي يتوجه بها أمير الشعراء إلى إمام البلغاء:[1]

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة ... حديثك الشهد عند الذائق الفَهِم

حليت من عطل جيد البيان به ... في كل منتشر في حسن منتظم

بكل قولٍ كريم أنت قائله ... تُحيي القلوب وتُحيي ميت الهِمَم

والحمد لله أولا وأخيرا.

[1] - ديوان أحمد شوقي: انظر الشوقيات ٢٤٧/١ .

الملاحق

ملحق لتخريج الأحاديث

١. الحديث الأول: رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله، الحديث الأول: رواه مسلم في كتاب الإمارة باب قوله: إنما الأعمال بالنيات رقم: ١٩٠٧.

٢. الحديث الثاني: رواه مسلم كتاب الإيمان حديث رقم: ٨.

٣. الحديث الثالث: رواه البخاري كتاب الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم رقم الحديث ٨، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام حديث رقم ١٦.

٤. الحديث الرابع: رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٢٠٨ ، ومسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي رقم ٢٦٤٣.

٥. الحديث الخامس: رواه البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا رقم ٢٩٩٧، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة رقم : ١٧١٨.

٦. الحديث السادس: رواه البخاري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه رقم ٥٢، ومسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات: ١٥٩٩.

٧. الحديث السابع: رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة رقم: ٥٥.

٨. الحديث الثامن: رواه البخاري كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم: ٣٦.

٩. الحديث التاسع: رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن الرسول رقم: ٦٧٧٧، ومسلم كتاب الفضائل باب توقيره عليه السلام رقم، ١٣٣٧.

١٠. الحديث العاشر: رواه مسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة رقم ١٠١٥.

١١. الحديث الحادي عشر: رواه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم ٢٥١٨، وبعض أصحاب الفتن كالنسائي رقم ٣٢٧ والإمام أحمد رقم ٢٠٠.

١٢. الحديث الثاني عشر: رواه الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء فيمن تكلم فيما لا يعنيه رقم ٢٣١٨، وعند ابن ماجه ٣٩٧٦ وعند ابن حبان ٢٢٩.

١٣. الحديث الثالث عشر: رواه البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان رقم ١٣ ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان رقم ٤٥.

١٤. الحديث الرابع عشر: رواه البخاري كتاب الديات رقم ٦٤٨٤، ومسلم كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم رقم ١٦٧٦.

١٥. الحديث الخامس عشر: رواه البخاري كتاب الرقائق باب حفظ اللسان ٦٤٧٥ ومسلم كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار رقم ٧٤.

١٦. الحديث السادس عشر: رواه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ٦١١٦.

١٧. الحديث السابع عشر: رواه مسلم كتاب الصيد باب الأمر بإحسان الذبح والقتل رقم ١٩٠٠.

١٨. الحديث الثامن عشر: رواه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس رقم ١٩٨٧والإمام أحمد برقم ٢٣٦ والدارمي ٣٢٣.

١٩. الحديث التاسع عشر: رواه الترمذي كتا ب صفة الصحابة ٢٥١٦ والإمام أحمد ٢٩٣.

٢٠. الحديث العشرون: رواه البخاري كتاب الأدب باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت رقم ٦١٢٠.

٢١. الحديث الحادي والعشرون: رواه مسلم كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام رقم ٦٢.

٢٢. الحديث الثاني والعشرون: رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان رقم ١٨.

٢٣. الحديث الثالث والعشرون: رواه مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم ٢٢٣.

٢٤. الحديث الرابع والعشرون: رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم برقم ٢٥٧٧.

٢٥. الحديث الخامس والعشرون: رواه مسلم كتاب الزكاة رقم ١٠٠٦.

٢٦. الحديث السادس والعشرون: رواه البخاري كتاب الصلح باب فضل الإصلاح بين الناس رقم ٢٧٠٧ ومسلم كتاب الزكاة رقم ١٠٠٩.

٢٧. الحديث السابع والعشرون: رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم رقم ٢٥٥٣.

٢٨. الحديث الثامن والعشرون: رواه أبو داود كتاب السنة باب في لزوم رقم ٤٦٠٧و الترمذي كتاب العلم باب ما جاء بالأخذ بالسنة واجتناب البدع : ٢٦٧٦.

٢٩. الحديث التاسع والعشرون: رواه الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة رقم ٢٦١٦وابن ماجه باب كف اللسان ٣٩٧٣ والإمام أحمد ٢٣١.

٣٠. الحديث الثلاثون: رواه الدار قطني رقم ٤٢ والحاكم رقم ١١٥ والبيهقي الباب العاشر

٣١. الحديث رقم ١٢٠. الحديث الحادي والثلاثون: رواه ابن ماجه كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا رقم ٤١٠٢ وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٤١ وأبو نعيم في الحلية ٢٥٣.قال البوصيري في زوائد ابن ماجه إسناده ضعيف وفي سنده خالد بن عمرو القرشي لأنه منكر الحديث وقال ابن معين أحاديثه موضوعة وقال عنه البخاري وأبو زرعة منكر الحديث.

٣٢. الحديث الثاني والثلاثون: رواه ابن ماجه كتاب الاحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره رقم ٢٣٤٠ والإمام أحمد برقم ٣١٣.

٣٣. الحديث الثالث والثلاثون: رواه البيهقي الكتاب ١٠ رقم ٢٥٢ وله شواهد أخرى عند البخاري رقم ٢٥١٤ ومسلم برقم ١٧١١.

٣٤. الحديث الرابع والثلاثون: رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٤٩.

٣٥. الحديث الخامس والثلاثون: رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم رقم ٢٥٦٤.

٣٦. الحديث السادس والثلاثون: رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن رقم ٢٦٦٩.

٣٧. الحديث السابع والثلاثون: رواه البخاري كتاب الرقائق باب من هم بحسنة أو سيئة رقم ٦٤٩١، ومسلم كتاب الإيمان باب إذا هم العبد بحسنة رقم ٢٠٧.

٣٨. الحديث الثامن والثلاثون: رواه البخاري كتاب الرقائق باب التواضع رقم ٦٥٠٢.

٣٩. الحديث التاسع والثلاثون: رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق باب طلاق المكره رقم ٢٤٥ والحاكم في المستدرك ١٩٨.

٤٠. الحديث الأربعون: رواه البخاري كتاب الرقاق رقم ٦٤١٦ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

٤١. الحديث الحادي والأربعون: رواه البغوي في شرح السنة رقم ٢١٣/١ والبغدادي في تاريخه ٤/ ٣٦٩.

الحديث الثاني والأربعون: رواه الترمذي كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة رقم ٣٥٤٠ والإمام أحمد ٥/ ١٧٢ والإمام الدارمي ٣٢٢/٢.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	إياك نعبد	٥	١٦١
البقرة	إن الله يحب التوابين	٢٢٢	٢١٩
البقرة	ولكم في القصاص حياة	١٥٦	١٩٧
البقرة	أولئك على هدى من ربهم	٥	١٥٥
البقرة	يجعلون أصابعهم في آذانهم	١٨	٧٣
البقرة	حل لكم ليلة الصيام	١٨٧	٨٧
البقرة	فأتوا سورة من مثله	٢٣	١٣٢
آل عمران	وأما الذين ابيضت وجوههم	١٥٤	٧٣
آل عمران	ربنا لا تزغ في قلوبنا	٨	١٣٩
آل عمران	وما محمد إلا رسول	١٤٤	١٥٩
النساء	وآتوا اليتامى أموالهم	٢	٧٤
النساء	وعضهم وقلهم في أنفسهم قولا بليغا	٤	٢
النساء	فتحرير رقبة	٩٢	٧٣
النساء	وبالوالدين إحسانا	٣٦	١٣٢
المائدة	أو لامستم النساء	٦	٨٧
المائدة	ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا	١٠١	١٣٩
الأنعام	وجعلنا الأنهار تجري من	٦	٧٦
الأعراف	ومن يضلل الله فلا هادي له	١٨٦	٢١٧
الانفال	الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٢	١٥٤
التوبة	وصلي عليهم إن صلاتك	١٠٣	١١٤
هود	وما توفيقي إلا بالله	٨٨	١٦٠
يوسف	قلن حاشالله ماهذا بشرا	٣١	١٦٨
يوسف	واسأل القرية التي كنا فيها	٥٤	٧٤
الرعد	ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء	١٦	٧٢
ابراهيم	مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم	١٨	٦١
ابراهيم	قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار	٣٠	١٣٢
النحل	ويجعلون لله النبات سبحانه	٥٧	١٨٣

الاسراء	حجابا مستورا	٤٥	٧٥
الكهف	وتحسبهم ايقاظا وهم رقود	٢٤	٢١٣
مريم	يا يحي خذ الكتاب بقوة	١٢	٢١٣
النور	يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا	٢٤	٢٣٢
الشعراء	واتقوا الذي أمد كم بماتعلمون	١٣٢	١٨٢-١٦٨
القصص	يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم	٤	٧٦
الروم	لله الامر من قبل ومن بعد	٤	١٦٠
فاطر	إن أنت إلا نذير	٢٣	١٦١
فاطر	ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله	٤٣	١٩٣
الصافات	و عندهم قاصرات الطرف عين	٤٨	١٥٩
الصافات	طلعها كأنه رؤوس الشياطين	٦٥	٥٨
الزمر	قل هل يستوي الذين يعلمون	٩	٢١٣
الزمر	أن تقول نفس يا حسرتا	٥٦	١٤٣
غافر	ويترل لكم من السماء رزقاً	٣١	٧٣
غافر	ويا قومي ما لي أدعوكم الى النجاة	٤١	١٧١
الزخرف	أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام	١٨	٩١
الزخرف	وماظلمناهم ولكن كانواهم الظالمين	٧٦	١٦٠
الحجرات	إنما المؤمنون أخوة	١٠	١٥٩
الحجرات	أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخي ميتا	١٢	٨٩
الذاريات	وما خلقنا الجن والأنس	٥٦	٦٥
النجم	وماينطق عن الهوى	٣-٤	١٧
الرحمن	الرحمن – علم القرآن	١	٢
الرحمن	هل جزاء الاحسان إلا الاحسان	٦٠	١٢٦
الحشر	هو الله الذي لا إله إلا هو	٢٢	١٧١
الطلاق	لينفق ذو سعة من سعته	٧	١٣٢
التحريم	يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم	٧	١٤٠
نوح	ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا	٢٣	٧٦
نوح	ربي اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي	٢٨	١٨٤
المزمل	ماتقدموا لأنفسكم من خير	٢٠	١٩٣

الانفطار	إن الابرار لفي نعيم	١٣	١٧٢
الانفطار	إن الفجار لفي جحيم	١٤	١٧٢
الغاشية	في عيشة راضية	٧	٧٥
الغاشية	فذكر إنما أنت مذكر	٢١	١٦٠
الضحى	والليل إذا سجى	٢	٧٦

فهرس الأحاديث

ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	١١
أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد	٤٦
أن الموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش	٨٣
إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا	٩٠
إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو	٩٤
أنا أفصح من نطق بالضاد	٩٩
إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل	**١٠٣**
إن من البيان لسحرا	١١٤
اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن	**١١٧**
والله ليهنئك العلم أبالمنذر	١١٩
ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجداً	١١٩
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى	١١٩
أرءيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل	١٢٦
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء	١٢٧
أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم	١٢٧
إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر	١٢٨
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة واحدة	١٢٨
أما يخشى أحدكم إذا رفع	١٢٨
أفضل الأعمال الصلاة لوقتها	١٤٨
الأنبياء أبناء علات	١٧٠
إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة	١٨٣
أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	١٨٣
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثا	١٨٤
إن من البيان لسحراً	١٩٧
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها	٣٣١
بعثت في نفس الساعة	١١

تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ١١٧

الحياء شعبة من الإيمان ١٣٦

حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل ١٦٩

خير صفوف الرجال أولها وشرها ٢٢١

ستعرضون على ربكم ١١٨

شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم ١٦٩

الصوم جنة من النار يستجن بها العبد من القتال ٦٩

الطاعون آية الرجز ١١٤

فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ١١

كم من عذق معلق أو مدلى في الجنة لأبي الدحداح ٢٢٧

كل مسكر حرام، إن على عز وجل عهدا ١١٥

ليبلغ الشاهد منكم الغائب ٣٨

لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ٤٩

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٨٩

لا يقيمنّ أحدكم أخاه ثم يجلس ١١٧

لأن تنقض الكعبة حجراً حجراً **١٨٧**

لاتزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ٢٣٠

لئن كنت كما قلت فكأنما تستفهم الملّ ١١٨

اللهم اعط منفقا خلفا ١٣٢

ليس الغنى عن كثرة العرض ١١٦

لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ١١٦

لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع ١١٧

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد ٤٨

ما وجد في ميزان العبد يوم ١١٣

المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به ٣٣٥

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين ١١٦

ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ١٢٦

ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله . ١٦٥

ما وجد في ميزان العبد أثقل من ٢٣٢
من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا ٣٣٣
متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما ٢٣٤
من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ٩١
نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ٣٨
هل تدرون ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ٢٢٦
ولولا أنكم تذنبون لخلق ١١٨
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم ١٢٦
يا أنجشة رفقاً بالقوارير ١٠٣
يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال ٢١٣
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ٢٢٢

فهرس الأعلام

الاعلام	الصفحة
أحمد بن الحسين المتنبي	٦١
أحمد بن سليمان المعري	٥٩
الشاعر : أحمد شوقي	٢٥٦
الاصيرم بن عبد الاشهل الانصاري	٩٥
الاشهب بن رميلة الازدي	٥
بشار بن برد الاموي	٦٣
جرول بن أوس الحطيئة	١٣٥
حبيب بن أوس الطائي ابو تمام	١٧٤
الحسن بن عبد الله ابو هلال العسكري	١٩٦
الحارث بن حمدان الحمداني	٧٧
الحسن بن سعيد القيرواني	٥٨
حسين بن إبراهيم القزويني	٥٤

خفاف بن عمير بن ندبة السلمي ٥٦
سراج الدين ابو يعقوب السكاكي ٥٤
طرفة بن العبد البكري ١٤٥
عبد القاهر ابو بكر الجرجاني ٣
علي ابو الحسن التهامي ١١١
عبد الله بن محمد ابن سنان الخفاجي ٢٣١
علي بن عيسى الرماني ١١٨
عبد الله بن المعتز بن المعتصم ٥٣
عمروبن بحر الجاحظ ٣
العز بن عبد السلام العباسي ١٢
القاسم الحسن بن بشر الامدي ٥٣
محمد بن وهب بن سعيد الحارثي ٦١
محمد بن ابي بكر المراغي ١٦٩
معروف الرصافي ١١١

محمد بن مبارك الجزري ١٣٢

محمود بن عمر الزمخشري ١١٨

محمد بن على ابو الاسود الدؤلي ١٤١

الوليد بن عبادة الطائي البحتري ٣٦

همام بن غالب الفرزدق ١١١

يحيى بن حمزة العلوي ٧٢

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القائل	الصفحة
لم يشمل الأرض سحاب وماء	خفاف بن ندبة بن عمير السلمي	٩١
تصح والشيب فوق الرأس ألّما	مجهول	١٤٤
خلوت ولكن قل علي رقيب	ابو العتاهية	٦٣
صواعق يخضعون له الرقابا	جرير بن عبد الله الخطفي	٧٢
وأسيافنا ليل تهادى كواكيه	بشار بن برد	٦٢
ولمع برق كسيوف الهند	ابو عبادة الوليد الطائي	٥٩
وجه الخليفة حين يمتحد	محمد بن وهب	٦١
إذا فاخرتهم ذكروا الجدود	معروف الرصافي	١١٠
شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر	محمد بن وهيب	١٤٨
ما هذه الدنيا بدار قرار	ابو الحسن علي التهامي	١١٠
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر	ابو فراس الحمداني	٧٦
خلالك الجو فبيضي واصفري	طرفة بن العبد البكري	١٤٣
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي	الحطيئة جرول بن أوس	١٣٣
لا يشبعون وأمهم لا تشبع	جرير بن عبد الله الخطفي	١١٠
وبرقاً كإيماض بيض تسل	ابو الحسن السلامي	٦٠
أقول بشجوي تارة ويقول	ابو فراس الحمداني	١٠٨
فكأنه آس يحسب عليلاً	أحمد ابو الطيب المتنبي	٦١
حديثك الشهد عند الذائق الفَهِم	احمد شوقي	٢٥٤
عار عليك إذا فعلت عظيم	ابو الاسود الدؤلي	١٣٩
برأي نصيح أو نصيحة حازم	بشار بن برد	١٣٣
صبرٌ وأن أبا الحسين كريم	حبيب بن أوس الطائي ابو تمام	١٧٢
جاوزت كيوان في علو المكان	أحمد بن سليمان ابو العلا المعري	٥٩
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن	المتنبي أحمد أبو الطيب	١٤٨
قلم أصاب من الدواة مدادها	عدي بن الرفاع	٥٩
رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا	أحمد ابو الطيب المتنبي	١١٠

فهرس المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي دارا بن كثير دمشق ط٣-١٤١٦ه .
٢-الإعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين ط١-١٩٩٢م .
٣-الاستفهام القرآني د/محمد توفيق مطبعة الأمانة بمصر بدون تاريخ نشر.
٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني دار الكتب العلمية
٥-الإحكام في أصول الأحكام للإمام الأمدي تعليق عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- الرياض مطبعة مؤسسة النور سنة١٣٨٧ه ط٦ .
٦-الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القز ويني دار الكتب العلمية ببيروت ط ١ ١٤٠٥ه .
٧-الإكسير في علم التفسير للفقيه سليمان عبد القوي حققه د/عبد القادر حسين ،نشر مكتبة الآداب بمصر سنة ١٩٧٧م .
٨-إعجاز القران والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي ١٤١٠ه بدون رقم طبعة .
٩-أدب الحديث النبوي د/بكري شيخ أمين دار الشروق ببيروت ط٤-١٣٩٩ه .
١٠- إتحاف الألباب بفصل الخطاب لعلي عبد القادر الجزائري ،المكتبة الجامعية بالإسكندرية ط٨-١٤٠٨ه .
١١- أدب الكاتب للإمام ابن قتيبة دار الكتب العلمية ط١-١٤٠٨ه بيروت.
١٢- إيضاح المعاني الخفية في الأربعين نووية محمد تاتاي دار الوفاء المنصورة ط١-١٤١١ه .
١٣- أعلام المسلمين عبد الغني الدقر دار القلم دمشق -١٤١٣ه .
١٤- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد محمود شاكر دار المدني بجدة الطبعة الاولى ١٤١٢ه .
١٥- بلاغة الأصول د/علي المعماري دار الأنصاري القاهرة ١٤٠٧ه .
١٦- البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع للعلامة الشوكاني نشر مكتبة ابن تيمية –القاهرة بلا تاريخ نشر .

١٧- البرهان في وجوه البيان للحسن بن وهب ،المكتبة العلمية ببيروت- ١٤٠٠ه .
١٨- البلاغة العربية في ثوبها الجديد د/بكري شيخ أمين دار العلم للملايين ببيروت ط١-١٣٩٩ه .
١٩- البديع في شعر المتنبي التشبية والمجاز د/منير سلطان- مكتبة منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٢م .
٢٠- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت لبنان بدون تاريخ نشر.
٢١- البلاغة الواضحة لعلي الجارم طبع في لبنان بلا تاريخ نشر .
٢٢- البداية والنهاية للإمام ابن كثير الدمشقي دار الكتب العلمية ببيروت ط٤-١٤٠٨ه .
٢٣- البلاغة تطور وتاريخ د/شوقي ضيف دار المعارف ط٥- بلا تاريخ نشر .
٢٤- البلاغة العربية فنونها وأفنانها د/فضل حسن عباس دار الفرقان ط٢- ١٤٠٩ه .
٢٥- البيان النبوي محمد بيومي دار الوفاء المنصورة ط١-١٤٠٧ه.
٢٦- البيان والتبيين للجاحظ دار الفكر تحقيق عبد السلا م هارون بلا تاريخ نشر وطباعة
٢٧- بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح عبدا لمتعال الصعيدي مكتبة الآداب ١٤٠٥ه .
٢٨- التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني طيعة عيسى الحلبي مصر بدون تاريخ نشر .
٢٩- بلاغة تطبيقية لمسائل البلاغة بيسوني عبد الفتاح ط١- نشر مكتبة الحسين الإسلامية ١٤١٢ه - ١٩٩١م .
٣٠- تذكرة الحفاظ للذهبي طبع في حيدراباد ١٣٣٤ه .
٣١- تحفة الاحوذي شرح-جامع الترمذي للحافظ محمد للمباركفوري دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٠ه - ١٩٩٠ه .
٣٢- تأملات في البيان النبوي ابراهيم عوضين نشر مطبعة السعادة القاهرة ط٢-١٤٠١ه .

٣٣- التصوير الفني في الحديث النبوي محمد الصباغ المكتب الإسلامي ط١-١٤٠٩ه .
٣٤- التحرير البياني د/ محمد أبو موسى مكتبة وهبة ١٤٠٠ه .
٣٥- تيسير مصطلح الحديث د/محمد الطحان طبعة عام ١٤٠٧ه نشر مكتبة المعارض بالرياض .
٣٦- الثقافة الأدبية للطالب لعلي جواد الطاهر طبعة ١٤٠٧ه دار الرائد العربي بيروت لبنان .
٣٧- جني الجناس للإمام السيوطي تحقيق د/محمد رزق الخفاجي ،الدار الفنية للطباعة والنشر بلا تاريخ .
٣٨- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع العلم ابن رجب الحنبلي طبعة دار الرسالة ١٤٢٣ه .
٣٩- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية لعز الدين السيد دار اقرأ بيروت ط٢-١٤٠٦ه .
٤٠- الحروف لأبي الحسن المزني ط١-١٤٠٣ه دار الفرقان الأردن .
٤١- الخصائص الفنية في الأدب النبوي د/محمد الدبل من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ١٤١٠ه
٤٢- ديوان البحتري تحقيق حسن كامل الصيرفي دار المعارف ط٢- بلا تاريخ نشر .
٤٣- ديوان المتنبي ،دار المعرفة ببيروت بعناية مصطفى السقا١٣٩٧ه .
٤٤- الدليل إلى المتون العلمية للشيخ /عبد العزيز القاسم دار الصميعي ط١-١٤٢٠ه .
٤٥- دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوع محي الدين وزملائه ،دار ابن حزم ط١-١٤١٦ه بيروت البنان .
٤٦- ديوان بشار بن برد جمع وتحقيق محمد الضاهر بن عاشق ،الشركة التونسية للتوزيع عام ١٣٩٦ه بدون تاريخ طباعة .
٤٧- ديوان جرير الخطفي دار صادر بيروت بلا تاريخ نشر .
٤٨- ديوان أبي فراس الحمداني تحقيق وشرح د/ خليل الدويهي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى سنة١٤١٢ه .
٤٩- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد بن الصديقي الشافعي دار الكتاب العربي بيروت البنان ط١٠-١٤٠٥ه .

٥٠- ديوان أبي تمام نشر دار صادر بيروت ١٩٨٧م .
٥١- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دار المعارف بالرياض ١٣٩٨ه .
٥٢- ديوان أحمد شوقي ،الشوقيات دار الكتاب العربي بيروت لبنان بلا تاريخ طباعة ونشر .
٥٣- روائع من أقوال الرسول لعبد الرحمن حسن الميداني دار القلم بدمشق ١٩٩١م- ط٥ .
٥٤- رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي حققه عبد العزيزر باح دار المأمون للتراث -١٤٠٢ه .
٥٥- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري طبعة دار الوفاء ط٤- ١٤٢٢ه .
٥٦- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ،الناشر مؤسسة الرسالة ط٩-١٤١٣ه .
٥٧- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي تحقيق علي نورة ط١- مكتبة الخانجي ١٣٥٠ه .
٥٨- شرح الأربعين النووية للعلامة محمد بن صالح العثيمين دار الثريا للنشر عنيزة ط٣/١٤٢٥ه-٢٠٠٥م .
٥٩- شرح الأربعين نووية للإمام النووي الناشر مكتبة ابن تيمية بلا تاريخ نشر .
٦٠- شرح الأربعين نووية للعلامة ابن دقيق العيد مكتبة ابن تيمية بالقاهرة بلا تاريخ نشر .
٦١- الصورة الفنية في الحديث الشريف د/أحمد باسوف دار الكتب العلمية عام ١٩٩٦م .
٦٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠ه .
٦٣- طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي تحقيق محمود الطناحي مطبعة عيسى الحلبي ط١-١٣٨٣ه .
٦٤- ظاهرة التأويل وصلته بالبلاغة د/احمد عبد القادر دار الرشيد دمشق بلا تاريخ نشر .
٦٥- العمدة في صناعة الشعر لأبن رشيق القيرواني تحقيق د/محمد قزقزان مكتبة الكاتب الغربي دمشق ١٩٩٤م .

٦٦- العلل المتناهية للابن الجوزي الحنبلي تحقيق ارشاد الحق الأثري نشر دار ترجمان السنة- لاهور
٦٧- العمل بالحديث الضعيف لعبد الكريم عبد الله الخضير دار العلم بجدة عام ١٤١٧
٦٨- علم البيان د-بدوي طبانه مكتبة الانجلو المصرية ط٤- عام ١٣٩٧ه.
٦٩- علوم البلاغة للإمام المراغي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ - ١٤٠٢ه .
٧٠- العلماء العزاب الذين اثروا العلم على الزواج عبد الفتاح بوغدة مكتبة الرشد الرياض ط٢-١٤٠٣ه .
٧١- علم البيان عبد القدوس أبو صالح وأحمد توفيق من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الثانية .
٧٢- عمدة القارىء شرح صحيح البخاري لبدر الدين الغني ط١-١٤٢١ه دار الكتب العلمية ببيروت .
٧٣- عبقرية محمد العباس محمود العقاد دار الكتاب العربي بيروت طبعة عام ١٩٦٩ه .
٧٤- علم البديع د/عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية بيروت ط١- ١٤٠٥ه .
٧٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني طبعة دار الفكر بلا تاريخ .
٧٦- فن الجناس لعلي الجندي دار الفكر العربي ١٩٥٤م القاهرة .
٧٧- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية للعلامة محمد بن علان دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨ه .
٧٨- القاموس المحيط للفيروز آبادي طبعة دار البيان ط٢٠١٤٠٧ه .
٧٩- قطوف من رياض السنة د/صالح أحمد رضا دار القلم دمشق ط٢- ١٤١٠ه .
٨٠- كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ه .
٨١- كشف الظنون عن الأسماء والفنون لحاجي خليفة -اسطنبول ط١عام ١٣٦٠

٨٢- الكشاف للإمام محمد بن عمر الزمخشري دار الكتاب العربي ط٣-١٤٠٧ه .
٨٣- اللامات للإمام أبي قاسم الزجاجي تحقيق د/مازن مبارك ، دمشق ١٣٨٩ه بدون تاريخ طباعة ولا نشر .
٨٤- من كنوز السنة محمد على الصابوني ط١-١٤١٠ه مكتبة الغزالي بدمشق .
٨٥- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي مطبعة الحلبي-١٩٢٧م .
٨٦- مقالات في النقد الأدبي د/عبد الحميد ابراهيم نشر دار الهداية مصر ط١-١٤٠٧ه .
٨٧- معجم البلدان لياقوت الحموي دار احياء التراث العربي بيروت ١٣٩٩ه .
٨٨- منادمة الإطلال للعلامة عبد القادر بدران المكتب الإسلامي بإشراف زهير الشاويش ط٢-١٤٠٤ه بيروت .
٨٩- المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي للمحافظ والإمام . السيوطي دار النهضة بلا تاريخ نشر
٩٠- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة بيروت ط٣-١٤٠٣ه .
٩١- المجموع شرح المذهب لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي دار الفكر .
٩٢- معجم مصطلح الحديث حسن اسماعيل الجمل ط-١٤١٢ه الدار العالمية للشباب الإسلامي – الرياض .
٩٣- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة شمس الدين السخاوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ .
٩٤- مشاهير الشعراء والأدباء على نعيم خريس دار الكتب العلمية بيروت ط١-١٤١٠ه .
٩٥- معجم البلاغة العربية د/بدوي طباعة ونشر دار الرافعي جدة ١٤٠٨ه - ط٣ .
٩٦- مواهب الفتاح شروح التلخيص لعتوب المغربي نشر أدب الحوزة رقم بلا تاريخ .

٩٧- المعجم المصنف لمؤلفات الحديث محمد خير يوسف مكتبة الرشد ط١-١٤٢٣ه الرياض .
٩٨- المعجم الادبي لجبور عبد النور دار العلم للملايين بيروت ط١ عام ١٩٧٩
٩٩- المنهاج الواضح حامد عوني مكتبة الجامعة الأزهرية بدون تاريخ .
١٠٠-المنهاج في شرح صحيح مسلم الحجاج طبعه دار ابن حزم ١٤٢٣ه
١٠١-من بلاغة السنة د/محمد أبو بكر مطبعة أطلس ١٩٧٩م .
١٠٢-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير شرح وتحقيق د/بدوي طبانه نشر مكتبة الأنجلو ١٩٧٦م .
١٠٣-المفصل في علوم البلاغة العربية عيسى علي العاكوب القاهرة بلا تاريخ نشر او طباعة
١٠٤-من بلاغة الحديث الشريف عبد الفتاح لاشين مؤسسة عكاظ للنشر والتوزيع ط-١٤٠٢ه .
١٠٥-معالم السنن في شرح سنن أبي داوود دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط١-١٤١١ه .
١٠٦-مجاز القران للعز بن عبد السلام مكتبة عباس الباز- مكة /١٤٠٥ه.
١٠٧-من وحي الرسالة احمد حست الزيات ط٦-١٣٩٣ه دار الثقافة بيروت .
١٠٨- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب للإمام ابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار احياء التراث العربي بيروت
١٠٩-معاني الحروف للإمام الرماني حققه عبد الفتاح شلبي مكتبة الطالب الجامعي بمكة ط٢ .
١١٠- المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري ط١ عام ١٣٣٢نشر دار الجيل ببيروت
١١١-من بلاغة القران د/احمد بدوي دار النهضة مصر للطباعة والنشر بالفجالة القاهرة بدون تاريخ .
١١٢-النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير طبعة دار الفكر بدون تاريخ نشر .
١١٣-النظائر لبكر أبو زيد ط١-١٤١٣ه دار العاصمة الرياض .
١١٤-النظم القراني في ايات الجهاد د/ ناصر الخنين مكتبة التوبة –الرياض ط١ عام ١٤١٦ه .

١١٥-نقد الشعر لقدامه بن جعفر تحقيق كمال مصطفى مكتبة الخاتجي مصر ١٩٦٣م .
١١٦- النقد المنهجي عند العرب د_ محمد مندور بلا تاريخ نشر دار نهضة مصر القاهرة
١١٧- يتيمة الدهر للثعالبي دار الفكر ط٢-١٩٧٣ لبنان بيروت

فهرس المحتوي العام

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
التمهيد	١١
وقفة مع جوامع الكلم	١١
أقسام جوامع الكلم	١٣
مكانة الحديث النبوي	١٦
الدراسات المعاصرة حول بلاغة الحديث النبوي	٢٠
الفصل الأول	
التعريف بالإمام النووي وكتابه وأسباب البلاغة النبوية	
التعريف بالإمام النووي	٢٨
التعريف بالأربعين النووية ونسبة الكتاب إلى مؤلفه	٣٨
المطلب الثالث :شروح الأربعين النووية	٤١
البلاغة النبوية وأسبابها وسماتها	٤٥
سمات البيان النبوي	٤٨
ا لفصل الثاني علم البيان	
علم البيان والعلوم الأخرى	٥٢
تعريف علم البيان	٥٦
التعريف بفنون علم البيان الواردة مع شواهدها	٥٧
التعريف بفن التشبيه	٥٧
تحليل الشواهد لفن التشبيه	٦٣
المجاز العقلي واللغوي	٧٣
التعريف وأقسام المجاز	٧٣
تحليل الشواهد لفن المجاز	٧٨

فن الكناية ٨٨
التعريف والأنواع ٨٨
تحليل الشواهد ٩٣
بلاغة علم البيان من خلال الشواهد ١٠٠

الفصل الثالث علم المعاني

التعريف بعلم المعاني ١٠٧
التعريف بفنون علم المعاني ودراسة شواهدها ١٠٩
بين الخبر والإنشاء ١٠٩
أغراض الخبر ١١٠
تحليل الشواهد لأغراض الخبر ١١٢
أضرب الخبر ١١٥
دراسة وتحليل الشواهد لأضرب الخبر ١٢٢
الاستفهام (الإنشاء الطلبي) ١٢٦
تحليل الشواهد للاستفهام ١١٣
الأمر:التعريف والأغراض: ١٣٤
تحليل الشواهد لأسلوب الأمر ١٣٦
النهي :التعريف والأغراض: ١٤١
تحليل الشواهد لأسلوب النهي ١٤٣
النداء : التعريف والأغراض ١٤٥
تحليل الشواهد لفن النداء ١٤٧
أحكام المسند والمسند إليه ١٤٩
الشواهد لتقديم المسند إليه والمسند ١٥١
الحذف والذكر للمسند والمسند إليه ١٥٧

دراسة الشواهد للحذف والذكر المسند والمسند أليه ١٥٩
:أسلوب القصر ١٦١
تحليل الشواهد لفن القصر ١٦٤
الفصل والوصل ١٦٩
تحليل الشواهد لفن الوصل والفصل ١٧٦
الإطناب :التعريف للإطناب ١٨٣
تحليل ودراسة الشواهد لفن الإطناب ١٨٧
المساواةً :التعريف: ١٩٥
تحليل الشواهد لفن المساواة ١٩٦
الإيجازً: التعريف: ١٩٨
دراسة وتحليل الشواهد لفن الإيجاز ٢٠٠
بلاغة علم المعاني من خلال الشواهد ٢٠٦
الفصل الرابع
التعريف بعلم البديع ونشأته ٢١١
المحسنات المعنوية ٢١٥
تعريف الطباق ٢١٦
تحليل الشواهد لفن الطباق ٢١٧
تعريف فن المقابلة ٢٢٤
دراسة وتحليل الشواهد للمقابلة ٢٢٦
تعريف أسلوب الحكيم ٢٣١
تحليل الشواهد لأسلوب الحكيم ٢٣٣

المحسنات البديعية اللفظية ٢٣٤
فن الجناس ٢٣٥
تحليل الشواهد لفن الجناس ٢٣٨
فن السجع ٢٤٠
دراسة وتحليل الشواهد لفن السجع ٢٤٣
رد الأعجاز على الصدور ٢٤٧
تحليل الشواهد لفن رد الأعجاز على الصدور ٢٤٨
بلاغة علم البديع من خلال الشواهد ٢٥٠
الخاتمة ٢٥٣
ملحق تخريج الاحاديث النووية ٢٥٧
فهرس الآيات ٢٦٢
فهرس الأحاديث ٢٦٥
فهرس الأعلام ٢٦٨
فهرس الأبيات الشعرية ٢٧٠
فهرس المصادر والمراجع ٢٧١
فهرس المحتوى العام ٢٨١